



المملكة الأردنية الهاشمية

حولية دائرة الآثار العامة

المجلد (٥٨)

عمّان

٢٠١٧

حولية دائرة الآثار العامة

تصدر عن دائرة الآثار العامة، ص.ب ٨٨، عمان ١١١١٨ المملكة الأردنية الهاشمية.

رئيس التحرير
د. منذر جمحاوي

هيئة التحرير
هنادي الطاهر
أروى مساعدة
هالة السيوف
علي الحاج

قام بمراجعة النصوص الإنجليزية
د.ألكسندر واس

قام بمراجعة النصوص العربية
د. اسماعيل ملحم

الاشتراك السنوي

٢٠ ديناراً أردنياً (داخل المملكة الأردنية الهاشمية).
٣٠ دولاراً أمريكياً (خارج المملكة) بالإضافة إلى أجور البريد.

الآراء المطروحة في المقالات لا تمثل رأي دائرة الآثار العامة بالضرورة

تقبل المقالات حتى ٣١ أيار (مايو) من كل عام حسب التعليمات الواردة في هذا المجلد وتُرسل على العنوان التالي:

حولية دائرة الآثار العامة

ص.ب ٨٨

عمان ١١١١٨ - الأردن

فاكس: +٩٦٢ ٦ ٤٦١٥٨٤٨

تعليمات نشر البحوث في حولية دائرة الآثار العامة

تعنى حولية دائرة الآثار العامة بالبحوث المختصة بالتراث الحضاري للأردن والمناطق المجاورة، بما في ذلك تقارير التنقيبات الأثرية ونتائجها.

ترسل البحوث في موعد أقصاه ٣١ أيار (مايو) من كل عام للنشر في مجلد العام نفسه إلى العنوان التالي: حولية دائرة الآثار العامة، ص.ب ٨٨ عمان ١١١١٨ الأردن، هاتف (٤٦٤٤٣٣٦).

ويمكن الاستفسار عن طريق الفاكس رقم (٤٦٥١٥٨٤٨ ٦ ٩٦٢٢+)، أو البريد الإلكتروني: (adaj@doa.gov.jo).

لغة البحث

العربية أو الإنجليزية.

مسودات البحث

يجب ألا تتجاوز مسودة البحث ١٥,٠٠٠ كلمة (٣٠ صفحة تقريباً لتشمل قائمة المراجع، والمواد التوضيحية (الأشكال)، ويرجى تضمين اسم الباحث (أو الباحثين) وعنوانه في نهاية المسودة، ويكون ترتيبها كالآتي:

١- عنوان البحث واسم الباحث (الباحثين).

٢- النص الكامل للبحث.

عنوان الباحث (الباحثين).

قائمة المراجع.

الهوامش إن وجدت.

قائمة شروحات الأشكال.

تسليم النصوص

يُسلم النص على قرص حاسوب، إضافة إلى نسخة مطبوعة يكون تباعد الأسطر فيها مزدوجاً، والرجاء إضافة نسخة محفوظة على شكل Rich Text Format على قرص الحاسوب. كما يجب أن تكون المسودة بشكلها النهائي دون إجراء تغييرات كبيرة لاحقاً.

الصور والرسومات والمخططات

يجب أن ترفق مع النسخة الأصلية عند التقديم. ويجب الإشارة إلى جميع المواد التوضيحية سواء كانت صوراً أم رسومات أم مخططات، باستخدام مصطلح (الشكل) في متن النص، وترقيمها حسب تسلسل ورودها في النص (الشكل ١، الشكل ٢، ... إلخ). ويجب ألا تزيد أبعاد الشكل عن ١٧ × ٢٢ سم، حيث تكون حجمها ٢٥٠ pixels/in للصور الفوتوغرافية، و٦٠٠ pixels/in للرسومات والمخططات، وبالإمكان تقديم الشكل إلكترونياً بصيغة (jpg)، ولا تقبل الأشكال المحملة على برنامج Word.

الهوامش

يفضل الابتعاد عن الهوامش قدر الإمكان، وتوضع مصادر البيبلوغرافيا بين قوسين ضمن المتن، مثلاً: (الفلاحات ٢٠٠١: ٦٥-٦٧) أو (Brown 1989: 32-35) للمراجع الأجنبية.

قائمة المراجع

يجب أن تكون ضمن جدول في نهاية البحث وحسب التسلسل الأبجدي، واتباع النموذج الآتي:

١- في حالة المقالات المنشورة في دوريات:

النوافلة، سامي

٢٠٠٠ تقرير عن حفرة الجي (جايا) في وادي موسى / ١٩٩١. حولية دائرة الآثار العامة ٤٤: ٤٢-٧١.

Zayadine, F. and Farés - Drappeau, S.

1998 Two North - Arabian inscriptions from the Temple of Lat at Wadi Iram. ADAJ 42: 255-258.

٢- في حالات المقالات المنشورة في مجلدات:

الدوري، عبد العزيز

٢٠٠١ فترات التاريخ العربي، نظرة شاملة. ص ٤٣-٥٩ في أبحاث ودراسات في التاريخ العربي، مهداة إلى ذكرى مصطفى الحيارى ١٩٣٦-١٩٩٨. تحرير صالح الحمارنة. عمان، الجامعة الأردنية.

Gabel, H.G.K. and Bienert, H.D

1997 Ba'ja: A LPPNB Regional Center Hidden in the Mountains North of Petra, Southern Jordan, Results from the 1997 Investigations. Pp. 221-262 in H.G.K. Gabel, Z. Kafafi and G. O. Rollefson (eds.) The Prehistory of Jordan II. Perspectives from 1997. Berlin: ex oriente.

٣- في حالة الكتب:

عباس، إحسان

١٩٩٠ تاريخ بلاد الشام من ما قبل الإسلام حتى بداية العصر الأموي، ٦٠٠-٦٦١. عمان: لجنة تاريخ بلاد الشام.

Peacock, D.P. S.

1988 Pottery in the Roman World: An Ethnoarchaeological Approach. London and New York: Longman.

الملكية الفكرية

من حق الباحث (الباحثين).

الفهرس

٧.....كتابات على جدران قصير عمرة الأموي.....
أحمد لاش

٣٩.....إطالة على تاريخ دائرة الآثار العامة من خلال مشروع جذور.....
أحمد لاش وهالة السيوف ونيرمين الفايز

٤٧.....مدفن من العصر البرونزي المتأخر في سحم الكفارات (نتائج التنقيب والمعثورات).....
اسماعيل ملحم

٦١.....كنيسة قرمل.....
رافع حراشه و لورين أبو عزيزة

٨١.....الكشف عن كنيسة بيزنطية في منطقة عويمر جرش.....
تقرير أولي حول نتائج الموسم الأول و الثاني ٢٠٠٣/٢٠٠٤
عبدالرحيم هزيم الدويكات

كل الطرق تؤدي إلى مكة، سيراً على الاقدام، على ظهور الجمال أو عن طريق الآلة البخارية، درب الحج
الشامي، السوري الأردني (القرن السابع إلى القرن العشرين)، قراءة جديدة بالإعتماد على تطبيقات نظم

٩١.....المعلومات الجغرافية.....
كلودين دوفان، محمد بن جدو و جون ماري كاستاكس

كتابات على جدران قصير عمرة الأموي

أحمد لاش

Abstract

Since the beginning of human history, people have wanted to immortalize their names even after their death. During different periods kings, leaders, and wealthy individuals have built memorial structures and often placed their names on these buildings. For the non-elite their way to immortalize their names was in writing them on these buildings usually after they have been abandoned. Even people who cannot read and write tried to draw their family or tribal signs on these monuments.

For the late Umayyad period complex of Qusayr Amra, a world heritage site 90 km south-east of Amman, built in the middle of eighth century A.D, most of its interior walls are covered with wall paintings. Recent vandalism includes graffiti on the paintings and represents a considerable disturbance but these hundreds of graffiti are also a good opportunity to know the history of this part of the desert. For example we can learn of tribal identity, types of names, ways of writing, kinds of repeated words, sentences and the significance of the site in later times, given that some graffiti date to the 13th and 14th century.

We believe that these graffiti are important elements in the monument. This research will highlight the value of such graffiti as historical sources and link it with the political, social, economical and medical situation during that time.

In the last part of this research we will try to read the late Umayyad kufic inscription which revealed in 2012.

للفكر الإنساني عبر مختلف العصور والحضارات، فوجد في ميثولوجيا بلاد ما بين النهرين قصة جلجامش ورحلته للوصول إلى نبتة الخلود وفشله في النهاية للوصول إلى هذه الغاية (باقر ١٩٥٥)، وفي الحضارة الفرعونية كانت فكرة الخلود والحياة الأخرى هي من أهم ما يميّز تلك الحضارة، فأبدع الفراعنة في عمليات التحنيط لحفظ الأجساد من التلف والتحلل بعد الوفاة وأقاموا المقابر الضخمة (والتي من ضمنها الأهرامات) متوخين حمايتها بشتى الطرق من العبث والسرقة، وعاملين على تزويدها بما يحتاجه المتوفى للعبور إلى الحياة الأخرى حياة الأبدية والخلود (درويش ١٩٥٦).

لقد كانت الرغبة في الخلود شعوراً ملازماً للإنسان منذ بدء الخليقة، فرغبته في البقاء وعدم الرحيل عن هذه الدنيا شكلت حاجساً قوياً له، ولعل أقدم القصص التي تحدثت عن هذه النزعة هو ما أوردته الكتب السماوية عن قصة آدم وحواء عندما أغواهما الشيطان على الأكل من الشجرة المحرمة مبرراً لهما ذلك بأنها سوف تمنحهما الخلود الأبدي قال تعالى: "فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِحِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ" (سورة الأعراف، آية: ٢٠)، وقد ظلت نزعة الخلود ملازمة

أن المباني الأثرية قد تكون نقطة جذب أقوى لهؤلاء الناس خاصة بعد أن تكون هذه المباني قد هجرت وخلت من ساكنيها، وهذا ما نشهده في معظم المباني الأثرية، فيكاد لا يخلو مبنى أثري من كتابات حفرت على جدرانه تشير لأسماء أشخاص قاموا بزيارته أو المرور به وفي كثير من الحالات لا يغفل من يقوم بكتابة اسمه على جدران تلك المباني من الإشارة إلى تاريخ حضوره إليها.

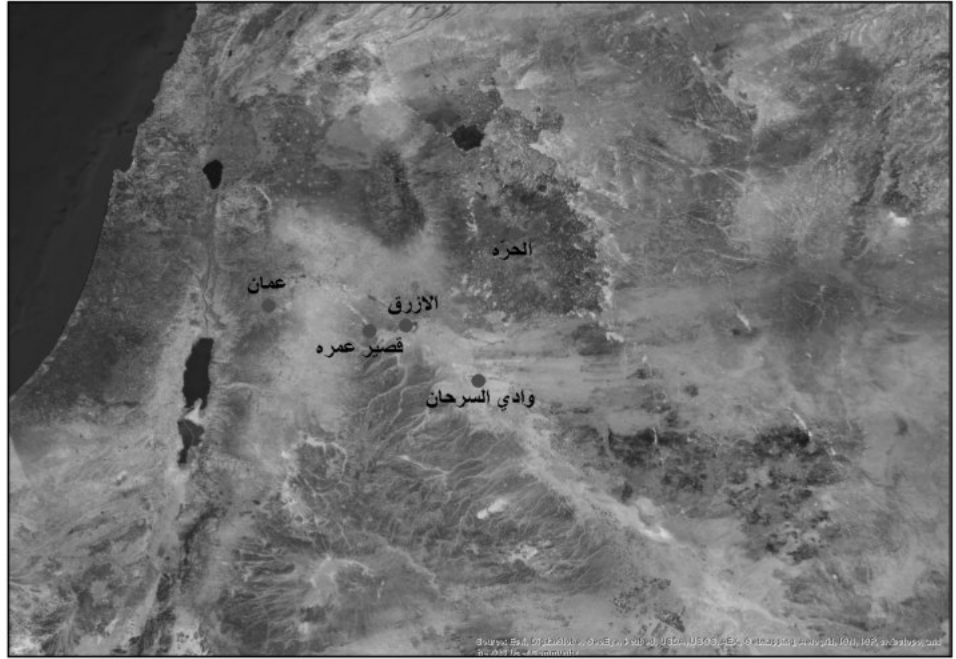
ومع إتفاقنا أن هذه الكتابات التي يحدثها البعض على المباني الأثرية تعتبر شكلاً من أشكال التخريب والتشويه للمعلم الأثري، إلا أنها من ناحية أخرى قد تمدنا بسيل من المعلومات والتفاصيل الدقيقة عن سيرة حياة هذا المبنى ومحيطه بصفته شاهداً حياً على ما شهدته تلك المنطقة منذ فترة هجرانه وحتى التاريخ القريب قبل أن تصبح هذه المباني تحت حماية مكاتب الآثار وأجهزة الدولة المختلفة، فقد تعكس لنا هذه الكتابات طبيعة الناس الذين جاؤوا هذه المباني أو مرّوا بها وأسماء القبائل التي جاورتها، وثقافة هؤلاء الناس ونظرتهم لتلك المباني حسب المعتقدات المحلية، وطريقة الكتابة، وتطور الخط عبر المراحل المختلفة، ومن تواريخ هذه الكتابات قد نستطيع ربطها بأحداث تاريخية حدثت في المنطقة ومعرفة انعكاساتها على المجتمعات المحيطة، وإن كثافة الكتابات التي تعود لفترة معينة قد تمدنا ببعض المعلومات عن تلك الفترة خاصة عندما نجد شحاً في المصادر التاريخية التي تتحدث عن تلك الفترة .

يتركز موضوع هذا البحث على الكتابات الموجودة على جدران قصر عمرة، هذا المبنى الذي يقع في البادية الشرقية من الأردن على مسافة ٩٠ كم إلى الجنوب الشرقي من العاصمة عمان، وحوالي ٣٠ كم إلى الجنوب الغربي من بلدة الأزرق (الشكل ١)، فهذا الموقع الذي يشكل حمماً يعود بناؤه إلى الفترة الأموية المتأخرة (٧٣٠ - ٧٤٣م) والذي يرجح أن من بناه هو الوليد الثاني بن يزيد بن عبدالمك، عندما كان لا يزال أميراً خلال فترة تبدييه في الصحراء أيام خلافة عمه هشام بن عبدالمك (لاش ٢٠١٢). وقد شيّد هذا

باختصار فإن فكرة الخلود ظلت تطارد الإنسان منذ أقدم العصور وحتى يومنا هذا، إلا أن الموت والرحيل عن هذه الحياة هي حقيقة لم يستطع الإنسان تجاهلها، فبقي الصراع في النفس الإنسانية بين حب الخلود وإصطدامها بحتمية الموت والرحيل تلازم النفس الإنسانية عبر العصور، وقد إنعكست هذه الرغبة في تخليد الأسماء في معظم ثقافات الشعوب المختلفة، ففي الثقافة الشرقية والعربية على وجه الخصوص نلاحظ إهتمام هذه الثقافة بالشعر والشعراء وانتشار شعر المديح والهجاء والذي يخلّد أسماء الأشخاص وأفعالهم ما بقيت تلك القصائد، وحتى في عملية الإنجاب والولادة يلاحظ أنه من إحدى دوافع رغبة الإنسان الشرقي بإنجاب الذكور هو الرغبة في إنجاب من يحمل اسمه بعد وفاته ليبقى ذكره ونسله مستمراً بين الناس. وكذلك أقام الملوك والزمعاه والقادة والأثرياء في كل بقاع الأرض الكثير من المباني الضخمة والمنشآت المميزة والتي حرص الكثير منهم على نقش أسمائهم على لوحات تذكارية لتخليدها وربطها مع هذه العمانر لتبقى عبر العصور ويبقى ذكرهم ما بقيت تلك المباني .

فكتابة الأسماء وحفرها على الحجر هي ثقافة يشترك بها جميع البشر مهما اختلفت حضاراتهم وأثقافتهم، وهي رغبة دفينية في النفس البشرية يتساوى فيها الغني والفقير، المتعلم والجاهل، الملك والراعي.

لكن بالنسبة للملوك والأمراء والقادة والأثرياء فإن طريقة تخليد أسمائهم والتعبير عن هذه الرغبة قد تكون أكثر وضوحاً، فإقامة المباني الضخمة والمميزة ونقش أسمائهم عليها قد تكون إحدى هذه الوسائل، بالإضافة إلى الأشعار والنقوش والكتابات والرسوم التاريخية التي تمجّد أعمالهم وتخلّدّها، ولكن كيف يكون الأمر بالنسبة للأشخاص العاديين الذين لا يملكون السلطة أو الجاه أو الثروة أو الشهرة، لكنهم يملكون نفس الرغبة في تخليد أسمائهم أو تخليد لحظة مميزة في حياتهم سواء لحظة سعادة أو حزن أو لحظة تجلّي روحاني، قد تكون الكتابة على الحجاره والصخور المتناثرة هي إحدى هذه الطرق، إلا



(الشكل ١).

ورسومات عديدة تظهر تأثر الفن الإسلامي المبكر بالفنون البيزنطية والرومانية والقبطية كما تحتوي جدران هذا المبنى على كتابات كوفية وكتابات بالأحرف اليونانية (فيبر وبيشه ٢٠٠٧). وقد كان لهذه الجوانب الفنية في قصير عمرة الأثر الكبير لإعتماده من قبل منظمة اليونسكو كأحد مواقع التراث العالمي سنة ١٩٨٥

ومنذ الشهرة العالمية التي نالها قصير عمرة بعد زيارته من قبل المستكشف التشيكي (الويس موزيل) عام ١٨٩٨ وحتى وقتنا الحاضر، تم القيام بالعديد من مشاريع التوثيق والصيانة والترميم لهذا الموقع من قبل بعثات أثرية أجنبية وذلك بالتعاون مع دائرة الآثار العامة، ومن أهم تلك المشاريع مشروع الصيانة والترميم والتوثيق الذي نفذ بالتعاون مع دائرة الآثار العامة ومتحف مدريد الأثري في الفترة ما بين (١٩٧١ - ١٩٧٤)، كذلك مشروع الصيانة والترميم والتوثيق الذي نفذ من قبل دائرة الآثار العامة والبعثة الفرنسية بالتعاون مع المعهد الفرنسي للشرق الأدنى (IFPO) خلال الفترة ما بين (١٩٨٩ - ١٩٩٦)، حيث إشمئل هذا المشروع إضافة إلى أعمال الصيانة والترميم على أهم عمل توثيقي لكافة الرسومات الجدارية في قصير عمرة نفذ من قبل الدكتور كلود فيبر والدكتور غازي بيشة

المبنى ليضم قاعة استقبال تنتهي في جزئها الجنوبي بحنية العرش (Throne apse)، تجاورها غرفتين صغيرتين تغطيهما أرضيات فسيفسائية ملونة، ويتم الدخول إلى غرف الحمام من مدخل يقع في الجزء الشرقي من القاعة الرئيسية ليؤدي إلى غرفة تغير الملابس (Apodyterium) ثم إلى الغرفة الدافئة (Tepidarium) ثم إلى الغرفة الساخنة (Caldarium)، ويتم تزويد هذا الحمام بالماء من البئر الذي يجاور المبنى من الجهة الشمالية والذي يتم استخراج الماء منه بواسطة ساقية خشبية (Saqiya) تجمع المياه في خزان يعلو البئر ثم تنتقل المياه إلى الحمام عبر أنابيب فخارية وضعت داخل جدران الحمام تستمد حرارتها من الموقد (Praefurnium) الذي يقع في الجزء الشرقي من الحمام، كذلك تمتد الأنابيب الفخارية أسفل الحجرة الساخنة والدافئة (الشكل ٢).

إن أهم ما يميز قصير عمرة هو الرسومات الجدارية التي تغطي كامل أجزائه بلا استثناء معبرة عن كافة نشاطات الحياة اليومية في هذا الحمام وأعمال الصيد والطرود والاستحمام ومراحل البناء بالإضافة إلى لوحات تجسد الخليفة وملوك العالم القديم، ورسومات تجسد قبة السماء وما تحويه من أبراج فلكية وأرضيات فسيفسائية



(الشكل ٢).

الصعوبة قراءة الكثير منها ولكن لاحظ د. بيشة ود. أمبر أن بعض هذه الكتابات قد لا تكون حديثة، وقد اقترح عليّ د. بيشة أن أقوم بعملية استقصاء وفرز للكتابات القديمة الموجودة على هذه الجدران ومحاولة قراءتها مستغلاً فترة تواجدي في الموقع للعمل في مشروع صيانة وترميم قصير عمرة الذي نفذ بالتعاون مع دائرة الآثار العامة وصندوق الصروح العالمي والمعهد الإيطالي الأعلى للصيانة والترميم، وكانت تلك بمثابة فرصة عظيمة أتاحت لي للقيام بهذا البحث مستفيداً من الدعم الذي قدمه لي الزملاء العاملين في مشروع الصيانة من الفريق الإيطالي من حيث تأمين المعدات من إضاءة وأبراج معدنية لإستخدامها للصعود إلى الإرتفاعات المختلفة التي يتطلبها العمل لنسخ هذه الكتابات .

ومن الملاحظ في قصير عمرة أن جدرانه مليئة بالكتابات سواء الجدران الداخلية أو الخارجية والتي يقدر عددها بالمئات وعلى إرتفاعات مختلفة في هذه الجدران لتصل إلى الأسقف البرميلة التي تغطي المبنى من الداخل، حيث تظهر الرغبة لدى الكثيرين ممن زاروا هذا الموقع بكتابة إسمائهم وقد يضاف إليها تاريخ القدوم والبعض قد يشير إلى البلدة أو المنطقة التي جاء منها، ومن الملاحظ

وقد ضم هذا الفريق أيضاً الدكتور فريديريك أمبر (فيبر وبيشة ٢٠٠٧) .

ومن خلال تعاون مشترك ما بين دائرة الآثار العامة وصندوق الصروح العالمي والمعهد الإيطالي العالي للصيانة والترميم (ISCR) فقد بدأ في العام ٢٠١٠ تنفيذ مشروع صيانة وترميم لقصير عمرة شمل الأجزاء الخارجية والأجزاء الداخلية المتمثلة بالرسومات الجدارية، علماً أن هذا المشروع مازال مستمراً منذ العام ٢٠١٠ وينفذ بواقع موسمين في السنة الواحدة مدة كل موسم شهرين (De Palma et al. 2012).

وقد تركزت معظم المشاريع والأبحاث والدراسات التي تم تنفيذها في قصير عمرة على دراسة وتحليل المظاهر المعمارية والرسوم الجدارية وكذلك وظيفة المبنى وتاريخه، وقد تكون الدراسة التي أعدها د.غازي بيشة و د.كلود فيبر من أكثر الدراسات التي عنيت بتوثيق كامل التفاصيل المرئية في القصر بما في ذلك الرتوش والمخربشات على الجدران الداخلية للمبنى، إلا أنه بسبب العدد الهائل لهذه الكتابات والمخربشات وكون الكثير منها قد كتبت ملاصقة لبعضها البعض، أو أن بعض الجمل والعبارات قد كتبت فوق بعضها البعض فقد كان من

يتعدى كونه مبنى خاص ملحق به حمام وتغطيه الرسومات الجدارية، فهو ليس مكاناً للعبادة أو يحوي ضريحاً لأحد الأولياء أو الصالحين، ولكنها ربما تكون النظرة العامة لكل ما هو قديم حيث وردت كلمة المبارك في الكثير من النقوش والكتابات التذكارية الأثرية على القلاع والحصون التي بنيت أو أعيد بناؤها في الفترة الأيوبية والمملوكية مثل قلعة الأزرق الأثرية على سبيل المثال (المومني ١٩٨٨)، ومن خلال أعمال المسح الأثري للبادية (الحرّة) نلاحظ أن كلمة المبارك ترد في كثير من الكتابات على الصخور والرجوم المنتشرة في هذه البادية، والكثير من هذه الكتابات تعود للفترة المملوكية، فكلمة المبارك المستخدمة في هذه الكتابات التي انتشرت في تلك الفترة لا يبدو منها إضفاء صبغة القداسة على المكان في نظر العامة ولكن قد تكون نتاج ثقافة أضفت نوع من الإجلال لكل ما هو قديم.

ومن طريقة الكتابة نلاحظ أن كاتب النص قد أغفل كتابة بعض النقاط على بعض الأحرف في كلمات مثل (حضر، في، هذا، المكان، الميارك، ابن، ابو، بكر، ابن، ابن) في حين حرص على تنقيط الكلمات الدالة على التاريخ، أما من الناحية الإملائية فقد أسقط الكاتب حرف الألف في آخر كلمة (هذا) بل استخدم حرف الألف بعد الهاء، كما أنه استخدم حرف الألف في كلمة (ابن) في حين أن الأصح لغوياً هو استخدام كلمة (بن) إلا أن هذا قد يكون مردّه الضعف في مستوى استخدام اللغة العربية لدى كاتب النص، ومن الملاحظات أيضاً حرص كاتب النص على ذكر سلسلة نسبه والتي إحتوت بالإضافة إلى إسمه، اسم الأب وإسم الجد وإسم العائلة، وهي عائلة (صندوق) والتي هي أسرة دمشقية ينسبها البعض إلى نسل الحسين الأصغر ابن الإمام علي زين العابدين ابن الإمام الحسين بن علي حفيد النبي محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، كما أنها تعتبر من العائلات المقدسية (شَراب ٢٠٠٢: ٤٦٧)

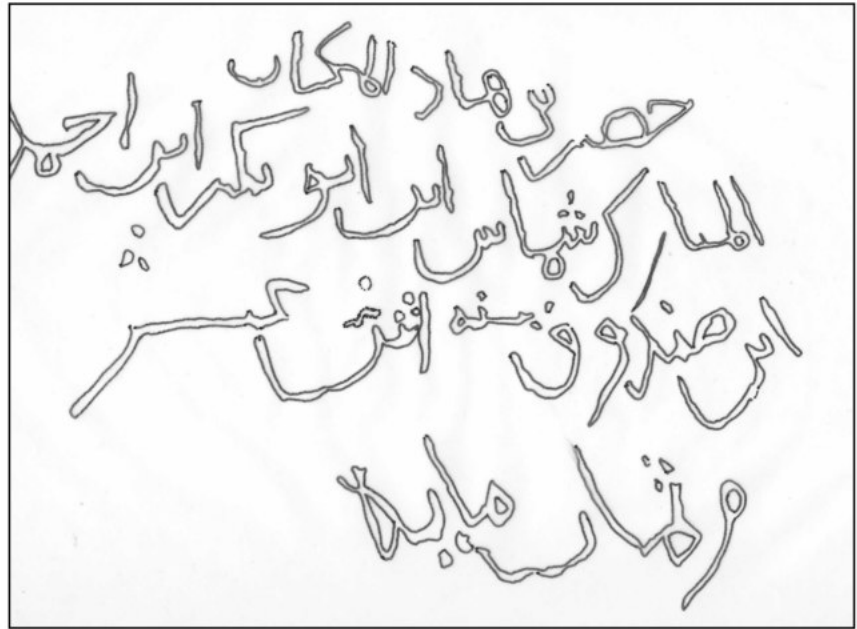
أما بالنسبة لسنة ٨١٢ هجري (١٤٠٩-١٤١٠م) فقد شهدت الكثير من الأحداث، ففي تلك السنة كان الخليفة هو (المستعين بالله ابو الفضل العباس بن محمد المتوكل

أيضاً أن هذا التصرف لم يكن حكراً على من زاروا الموقع من العرب حيث يشاركهم في هذا السلوك من زاره أيضاً من الأجانب أيضاً. فتظهر على جدران المبنى مئات الأسماء وعشرات التواريخ المكتوبة بشكل أرقام فكان أقدم تاريخ مكتوب بالأرقام تم ملاحظته يعود لسنة ١٩٠٩.

ومن خلال عملية الفرز للكتابات القديمة والتي تعود لما قبل القرن العشرين لاحظنا وجود الكثير من الكتابات التي تعود للفترة المملوكية (١٢٦٠ - ١٥١٧م) والتي يبدو بأنها كتبت بأداة معدنية ذات رأس مدبب يشبه المسمار وذلك لتترك الأثر الواضح على طبقة القصارة الملونة، وقد لاحظنا وجود اختلاف بين هذه الكتابات وبين الكتابات الأخرى من حيث طبيعة الخط وطريقة الصياغة فكان أقدم تاريخ تم ملاحظته على هذه الجدران يعود لسنة ٧٣٠ هجري (١٣٢٩ - ١٣٣٠م)، وكما أشرنا سابقاً فقد تم تحديد الكثير من الكتابات التي تعود للفترة المملوكية إلا أن الشيء المميز هو تحديد أربع كتابات مزيلة بتواريخ محددة وتذكر أسماء الأشخاص وأنسابهم، وإن كانت بعض الكلمات غير واضحة في بعض هذه الكتابات إلا أنها كانت ذات فائدة كبيرة في إطار هذا البحث، وفيما يلي إستعراض لأهم هذه الكتابات:

النقش الأول

يقع في الجزء الجنوبي الشرقي من القاعة الرئيسية إلى الجنوب من المدخل المؤدي إلى غرفة تغيير الملابس ونصه هو: "حضر في هذا المكان المبارك شماس ابن أبوبكر ابن أحمد ابن صندوق سنة اثنتا عشر وثمان مائة" (الشكل ٣)، ويلاحظ في هذا النقش الذي يعود لسنة ٨١٢ هجري (١٤٠٩-١٤١٠م) وأن الشخص الذي قام بكتابته حرص على أن يكون على إرتفاع يتجاوز المترين والنصف عن أرضية المبنى كما في بقية النقوش الأخرى والذي قد يكون سببه أن كمية الطم التي في الموقع في ذلك الوقت كانت كبيرة، كما نلاحظ حرص كاتب النقش على وصف هذا المكان بالمبارك علماً أن هذا المبنى لا



(الشكل ٣).

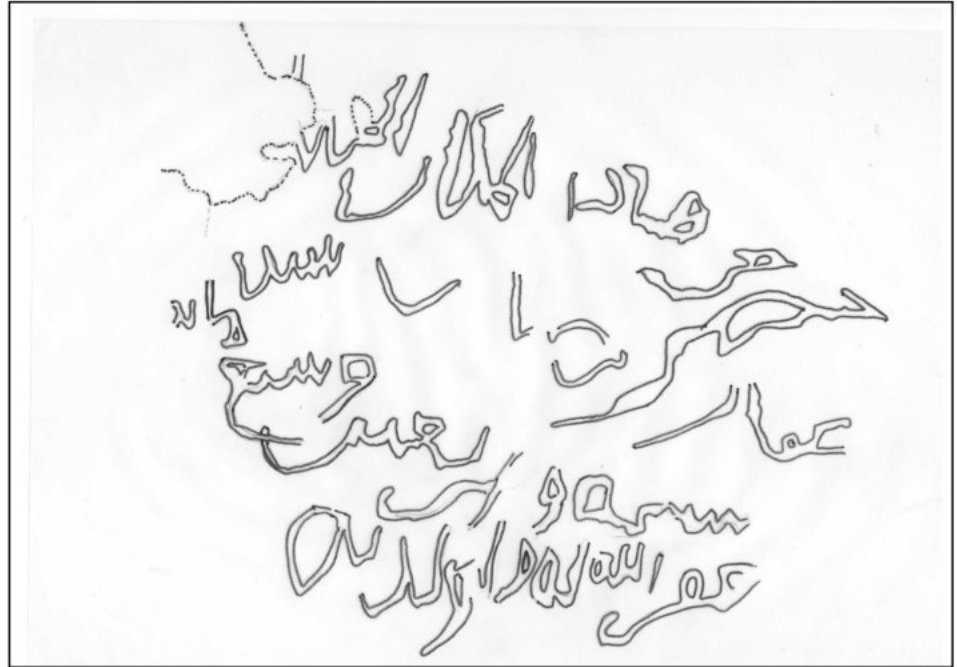
للبحث عن مكان آخر بعيداً عن الحروب والإضطرابات وسلطة الدولة المركزية التي تجبرهم على دفع المزيد من الضرائب، أما انتشار الأوبئة مثل الطاعون فتجبر الناس على الخروج إلى أي مكان يخلوا من هذه الأوبئة فراراً بأرواحهم وقد تكون البادية هي من المناطق الآمنة التي يفر إليها الناس في تلك الحالات . ويبدو أن فكرة الإبتعاد عن حياة الزراعة بسبب كثرة الضرائب أو غزوات البدو قد استمرت لدى بعض الفلاحين حتى فترة متأخرة أقلها للقرن التاسع عشر حيث يذكر بيركهارت الذي زار المنطقة سنة ١٨١٢ أنه عند سؤاله لأحد الفلاحين لماذا لا تزرعون أراضيكم كان جواب الفلاح ولماذا نزرعها" للأعراب أم للأغراب" (بيركهارت ١٩٧٦).

النقش الثاني

يقع في الجدار الشمالي للرواق الغربي من القاعة الرئيسية على إرتفاع يقرب من المترين والنصف من أرضية القاعة ونصه "حضر في هذا المكان المبارك عمار بن سنة ستة واربعين وسبع مايه غفر الله له ولوالديه" (الشكل ٤)، وهذا التاريخ يوافق لسنة (١٣٤٥ - ١٣٤٦م) وهي السنة التي توفي فيها السلطان الصالح عماد الدين اسماعيل بن محمد بن قلاوون وتولى الحكم من بعده أخوه

على الله) أما السلطان فهو(الملك الناصر ابو السعادات فرج بن الظاهر ابي سعيد برقوق) (المقريزي ١٩٩٧: ٢٢٩) ومن أهم أحداث هذه السنة في بلاد الشام هو خروج الأمير شيخ نائب الشام على السلطان مما أدى بالسلطان للسير إليه ودارت معارك طاحنة بينهم في بلدة صرخد جنوب سوريا التي تذكر كتب التاريخ أن الجنود قد عاثوا فيها وفي القرى المحيطة بها فساداً ونهبوها (المقريزي ١٩٩٧: ٢٣٣) وقد انتهت هذه المعارك بالصلح بين السلطان والأمير شيخ، كما وشهت هذه السنة أيضاً معارك بين الأمير شيخ وبين الأمير بكتمر الذي ولّاه السلطان على دمشق حيث فرّ الأمير بكتمر إلى صفد وتبعه هناك الأمير شيخ وهزمه، كما يذكر المقريزي أنه في هذه السنة أيضاً تم فرض شعير (ضريبة) يقوم بها أهل كل ناحية من قرى المرح والغوطة وبلاد حوران (المقريزي ١٩٩٧: ٢٣٠) إلا أن أهم الأخبار عن تلك السنة أيضاً هو انتشار الطاعون بحمص وحماه وطرابلس والذي مات به الألوف من الناس (المقريزي: ١٩٩٧: ٢٣٠).

وهذا يدلنا على أن الحياة في تلك السنة بالنسبة لأهل الشام لم تكن على أحسن حال، فكثرة النزاعات والحروب بين الأمراء وانتشار الطاعون وزيادة الضرائب على الناس تشكل مجتمعة عوامل ضغط على السكان المحليين، تدفعهم



(الشكل ٤).

واضح وشكّل صعوبة في قراءته إلا أن تاريخ كتابة النقش كانت واضحة، أما ما تمكنا من قراءته من هذا النقش فكان على النحو التالي "حضر في هذا المكان المغير ابن الفحيلي من مراوانه وانه سنة ستة وأربعين وثمان مائة" (الشكل ٥)

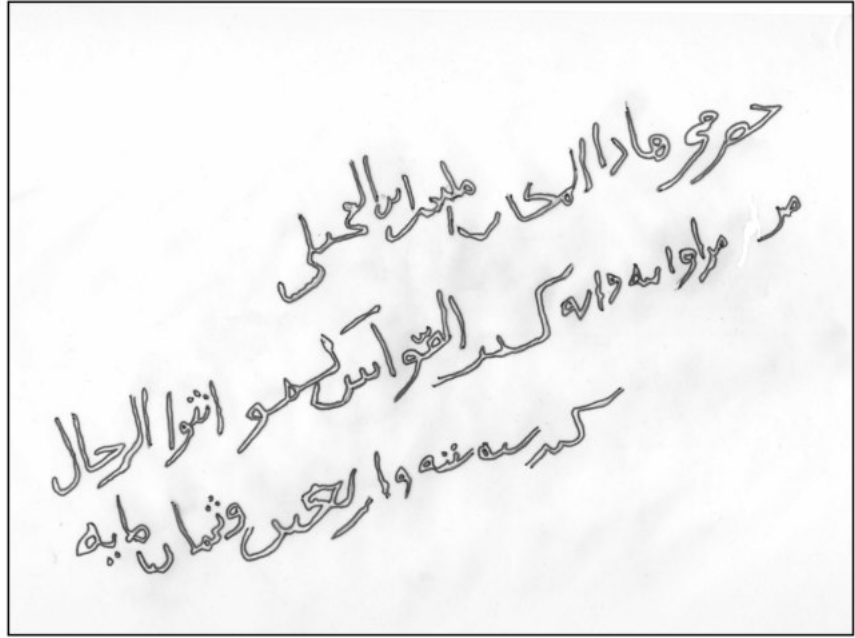
وهذه السنة توافق سنة (١٤٤٢ - ١٤٤٣ م)، أما بالنسبة للملاحظات على هذا النقش، فمن الناحية اللغوية يلاحظ أن كاتب النقش لم يراعِ تنقيط الأحرف إلا في الكلمات التي تشير إلى تاريخ النقش في حين أهمل تنقيط الأحرف في باقي الكلمات، وبالنسبة لكلمة (هذا) فهي مكتوبة كما هو في معظم النقوش التي تعود لهذه الفترة أي بإضافة الألف بعد الهاء لتصبح الكلمة بهذا الشكل (هادا). أما ما يثير الإهتمام في هذا النقش فهو ورود إسمين لقبيلتين وهما (الفحيلي) و(مراوانه)، فكاتب النقش عرّف على نفسه بأنه المغير ابن الفحيلي من مراوانه، فهل كان كاتب النص يعني باسم (الفحيلي) قبيلة الفحيلي، لأن قبيلة الفحيلي من القبائل المعروفة في منطقة حوران (أوبناهايم ٢٠٠٧) كما ويسكن جزء منهم في قرية الفحيلية في محافظة المفرق الأردنية وفي منطقة الجوف شمال المملكة العربية السعودية وفي تل كلخ في سوريا، وفي قضاء طبريا

الملك الكامل سيف الدين شعبان بن محمد بن قلاوون الألفي الصالحي (المقريزي ٤: ١٩٩٧)

ويلاحظ من أسلوب الكتابة في هذا النقش أن الكاتب لم يستخدم التنقيط على الأحرف، مع الإشارة إلى أن بداية تنقيط الأحرف تعود للقرن الثامن الميلادي وهذا النقش يعود للقرن الرابع عشر للميلاد، كما يلاحظ وجود بعض الأخطاء الإملائية في كتابة بعض الكلمات مثل كلمة (هذا) والتي كتبت بإضافة ألف بعد الهاء لتصبح (هادا) وكذلك في كلمة (سنة) والتي استخدم الكاتب بها التاء المفتوحة بدلاً من التاء المربوطة لتصبح الكلمة (سنت) وقد يشير هذا إلى ضعف في قواعد الكتابة لدى كاتب النقش، كما يلاحظ بأن كاتب النقش قد خصّ نفسه والديه في طلب المغفرة من الله وقد شاع هذا الأسلوب من الأدعية في كثير من النقوش التي تعود إلى تلك الفترة وخاصة في البادية الشرقية (الحرّة).

النقش الثالث

يقع على الجدار الشرقي لحنية العرش على ارتفاع يتجاوز المترين ويبدو أنه قد كتب بأداة حادة ولكن ليس بشكل غائر كثيراً مما جعل الكثير من الكلمات لا تبدو بشكل



(الشكل ٥).

بالكامل باستثناء تاريخ كتابة النقش والتي نصها" سنة ثلاثين وسبع مائة" (الشكل ٦) أي ما يوافق سنة (١٣٢٩ – ١٣٣٠م) أما باقي أجزاء النقش فكما أسلفنا سابقاً لا يمكن قراءتها وذلك بسبب التدمير الكبير الذي حصل على هذا الجزء من الجدار نتيجة تراكم الكتابات فوق بعضها البعض.

ومن خلال أعمال المسح التي قمنا بها للنقوش الموجودة على جدران قصير عمرة كانت هذه هي النقوش التي لاحظنا أنها تحمل تواريخ محددة، إلا أنه تم ملاحظة وجود العديد من النقوش الأخرى والتي من خلال مقارنة أسلوب كتابتها وصياغتها يتضح أنها تعود لنفس الفترة وهي فترة العصر الإسلامي الوسيط (الفترة المملوكية)، حيث تقع معظم هذه الكتابات على الطرف الشمالي للقوس الغربي في الرواق الأول في القاعة الرئيسية، ومن أهم هذه النقوش:

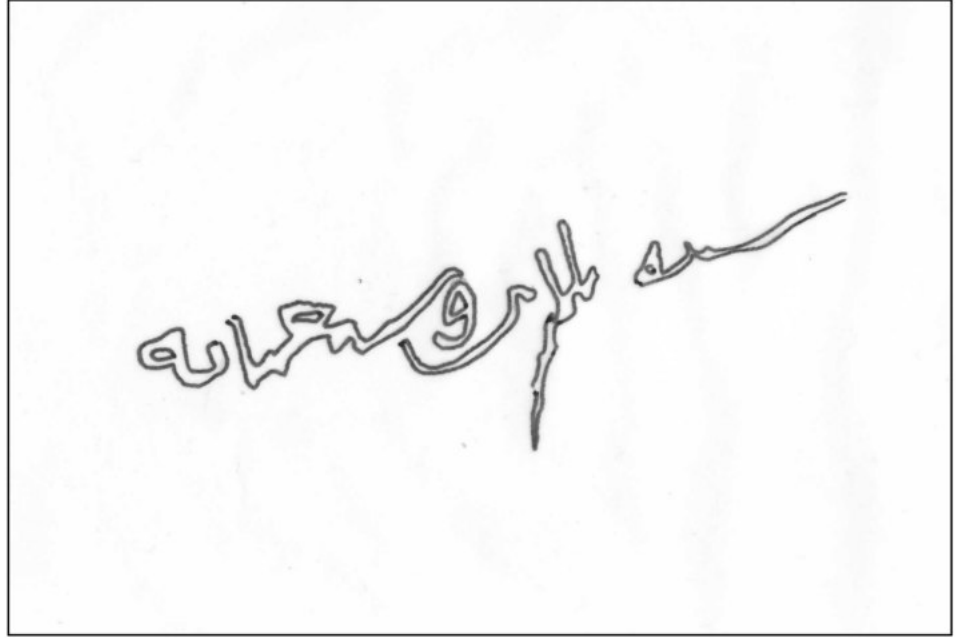
النقش الخامس

وهو يرتفع حوالي ثلاث أمتار عن مستوى أرضية المبنى، وفي هذا الجزء من المبنى تتداخل وتتقارب النقوش مع بعضها البعض، أما نص النقش فهو: "حضر شامان ابن ربيعة من الهباس غفر الله له ولوالديه ولمن

وأصولهم من الجزيرة العربية من أحفاد بني كلب (عمّاري ٢٠٠١: ٤٤٩) لكن هل قصد كاتب النص بكلمة الفحيلي هذه القبيلة أم أنها وردت كإسم لوالده خاصة أنه أشار إلى نفسه بالمغير ابن الفحيلي من مروانه، ومراوانه هو اسم عشيرة تعتبر امتداد لعشيرة الخريشه من بني صخر (عمّاري ٢٠٠١: ٥٢٠) وهم يقيمون عند جسر الجامع، في حين يذكر القلقشندي بأن المرwane هم بطن من درما من ثعلبة طى من القحطانية، منازلهم مع قومهم ثعلبة بمصر مما يلي الشام (القلقشندي ١٩٩٧: ١٥٩) ولكن هل هذه هي العشيرة المذكورة في هذا النقش؟؟ علماً أنه يوجد اسم لقبيلة مروانه في مدن سورية مثل حمص وحلب وحماه والحسكة، هذا ما لا أستطيع أن أكده أو أن أنفيه إذ أنني لست مختص بتاريخ العشائر والقبائل ولكن قد تكون هذه النقوش ذات فائدة كبيرة للمهتمين بتاريخ القبائل العربية وتفرعاتها وأماكن امتدادها وتواجدها خلال الفترة المملوكية، وهذه هي إحدى النقاط التي نود التركيز عليها من خلال هذا المقال.

النقش الرابع

يقع على الجانب الغربي للمدخل الرئيسي المؤدي للقاعة الرئيسية على ارتفاع يقرب من المترين وهو مدمر



(الشكل ٦).

النقش فقد فقدت بعض الكلمات مثل كلمة (هذا) بعد كلمة (حضر في) كذلك كلمة (المبارك) بعد كلمة (المكان) أما بالنسبة للأسماء التي وردت في هذا النقش بالإضافة إلى اسم الشخص (علي بن رواح) فقد عرف كاتب النقش على نفسه بلقب (الزيدي) وهذا اسم تشترك فيه الكثير من القبائل المنتشرة في البلاد العربية إلا أن كاتب النقش قد حدده بأنه من عرب (زيد الحافي) وقبيلة الحافي من القبائل المنتشرة في شبه الجزيرة العربية وهم ينسبون أنفسهم لبني قضاة وينفرد منها العديد من العشائر. كما تعتبر قبيلة الحافي من قبائل فلسطين ومنازلهم في مدينة اللد وفي جنين (عمّاري ٢٠٠١: ١٦٧)، ويصنّفهم عمر كخاله على أنهم بطن من قضاة من القحطانية (كخاله ١٩٤٩: ٢٣٥) ويذكرهم الزيبيدي بأنهم يقيمون في ريف مصر (الزيبيدي ١٩٦٥: ٩٤).

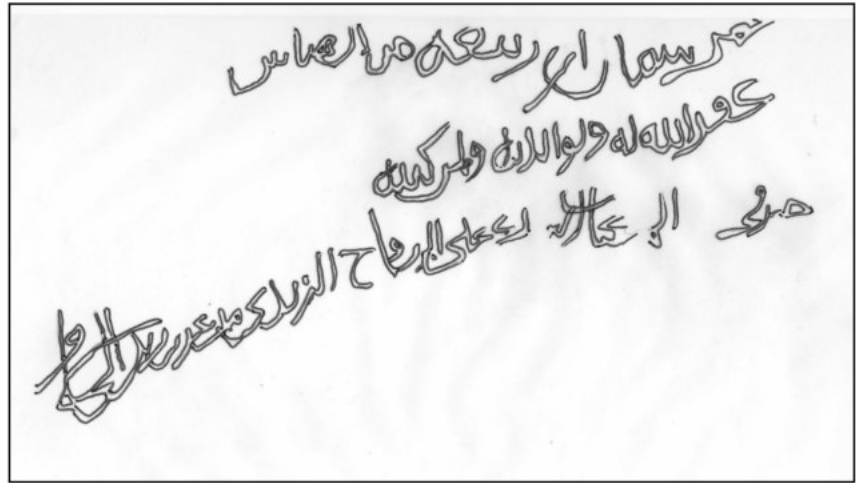
النقش السابع

وهو موجود أسفل النقشين الخامس والسادس، ونصّه "حضر ثابت ابن... لمان من الرميلى غفر الله له ولوالديه ولمن قرأه ولمن كتبه ولجميع المؤمنين" (الشكل ٨)، ويلاحظ وجود حرف مفقود بعد كلمة (ثابت ابن) والذي

كتبه" (الشكل ٧)، وقد كان من الصعوبة العثور ضمن المراجع المتوفرة على ما يفيدنا عن أصل وامتداد قبيلة الهباس إلا أنه قد ورد في الموقع الرسمي لقبيلة شمّر على الشبكة العنكبوتية (الموقع الإلكتروني) أن الهباس هم فخذ من قبيلة شمّر المشهورة، مناطقهم شمال الجزيرة العربية (الموقع الرسمي لقبيلة شمّر)، ومن الملاحظات الإملائية على هذا النص خلوه من التنقيط كما في باقي النقوش، كذلك اسم شامان كتب بدون الالف بعد حرف الشين ليصبح (سمان)، إلا أن أهم ملاحظة ملفتة للانتباه في سياق هذا النقش أنه يبدو أن السيد شامان لم يكن يجيد الكتابة ويبدو أيضاً أنه قد طلب من أحدهم كتابة هذا النقش له ولهذا شمله بدعاء طلب المغفرة له من الله عز وجل في سياق طلب المغفرة لنفسه ولوالديه، ولهذا دلالة على رغبة بعض الناس بتخليد أسمائها بطريقة أو بأخرى حتى لو لم يكونوا يجيدون الكتابة.

النقش السادس

وهو أسفل النقش الخامس مباشرة ونصّه "حضر في ... المكان الم...ك علي ابن رواح الزيبيدي من عرب زيد الحافي" (الشكل ٧) وبسبب وجود تدمير لأجزاء من هذا



(الشكل ٧).

النقش الثامن

وهو يقع أعلى النقش الثاني في الواجهة الشمالية للرواق الغربي من القاعة الرئيسية (الشكل ٩)

ونصه (حضر في هذه المكان موسى ابن

حضر في هذا المكان

موسى ابن قحيطه من الهدف)

وكما يتضح من صورة النقش فيبدو أن السيد موسى قد بدأ بكتابة السطر الأول من عبارته إلا أنه لاحظ أن الحيز المتبقي من القصارة الملونة لا يكفي لتكملة الجملة ولهذا فقد أعاد كتابة العبارة من جديد بسطر أسفل السطر الأول، ويبدو أنه قد قسم العبارة إلى سطرين، أشار في السطر الأول إلى حضوره إلى المكان، في حين خصص السطر الثاني لإسمه فقط، كما يبدو أن السيد موسى قد تدارك الخطأ الإملائي الذي وقع به عند بداية كتابته للعبارة عندما استخدم كلمة (هذه) في السطر الأول بدلاً من كلمة (هذا) كونها تعود على المكان والذي هو مذكّر فاستخدم الكلمة الصحيحة وهي (هذا)، أما بالنسبة لإسم (الهدف) الوارد في هذا النقش فإننا لم نستطع تحديد ما إذا كانت اسم موقع جغرافي أو اسم قبيلة كوننا لم نجد لها ضمن المصادر المكتوبة التي اختصت بأنساب القبائل إلا أنها ترد في منتديات قبيلة الدعاجين على الشبكة العنكبوتية (الموقع الإلكتروني) بأنها من قبائل شبه الجزيرة العربية وهي ترد

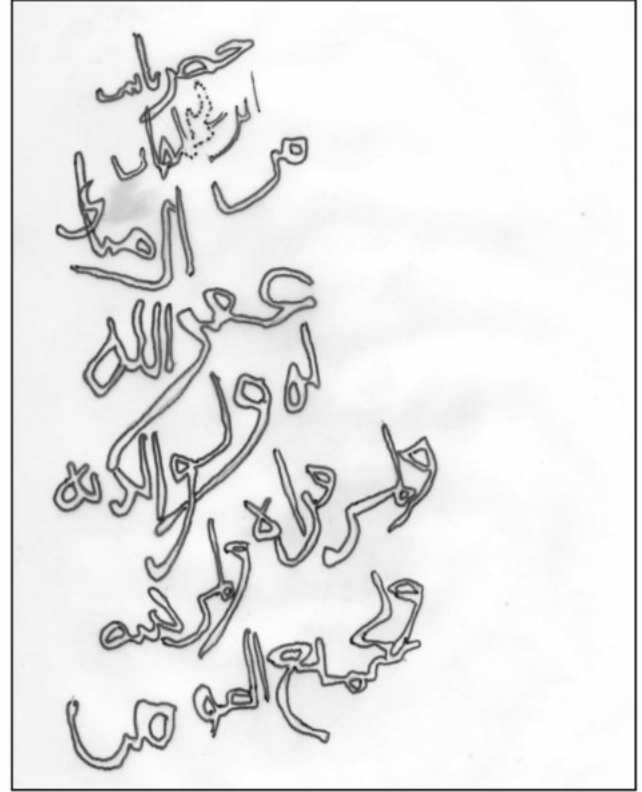
يبدو بأنه حرف السين ليصبح النص (حضر ثابت ابن سلمان)، ويلاحظ أن الإسم المذكور في النقش ينسب نفسه أنه من الرميلى، والرميلى أو الرميلات وهي من القبائل التي تنتشر في منطقة العريش في سيناء وينسبون أنفسهم إلى قبيلة عنزة المشهورة من قبائل الجزيرة العربية ويذكر أفراد هذه القبيلة بأن اسم الرميلى لحق بهم نتيجة استقرار جدهم في مدينة الرملة الفلسطينية، كما يذكر عمر كخالة بأنهم بطن من ولد علي من عنزة إحدى قبائل الحجاز ومنازلهم بين العلا وخيبر (كخالة ٤٤٨:٤٤٩:١٩٤٩).

ويلاحظ في هذا النقش كما في النقش الخامس بأن صاحب النقش يبدو أنه لا يجيد الكتابة وعلى الأرجح بأنه قد طلب من أحدهم أن يقوم بكتابة هذا النقش له ولذلك شمله بدعاء طلب المغفرة من الله كما طلب في هذا النقش المغفرة من الله له ولوالديه ولمن قرأ هذا النقش ولجميع المؤمنين. كما وتنتشر على هذا الجزء من القوس العديد من النقوش التي كتبت أسفل بعضها البعض والتي يبدو بأنها كتبت بطريقة متشابهة (قد يكون من قام بكتابتها هونفس الكاتب ولكن لأسماء أشخاص مختلفين، إلا أن معظم هذه النقوش غير واضحة ولكن معظمها يبدأ بكلمة (حضر) والتي يبدو بانها تؤرخ لحضور أشخاص إلى هذا المكان بنفس الفترة ورغبتهم بالإشارة إلى أسمائهم على جدران هذا المبنى.

أحمد لاش: كتابات على جدران قصير عمرة الأموي

ومن الأمور المثيرة للإهتمام أن البادية الشرقية وبالذات منطقة الأزرق، قد شهدت نشاطاً وتواجداً عسكرياً في الفترة الأيوبية فأعيد فيها بناء قلعة الأزرق سنة ٦٣٤ هجرية (١٢٣٦م) خلال فترة حكم الملك الناصر داود وبأمر من الاستادار عز الدين أيبك والي صلخد في ذلك الوقت (Lash ٢٠٠٨) وذلك تحسباً للتهديد التنري لبلاد الشام إلا أننا لم نلاحظ وجود أي كتابات في قصير عمرة تعود إلى ذلك التاريخ أوحى للقرن السابع الهجري على عكس ما هو موجود في منطقة الحرّة إلى الشرق والشمال الشرقي من الأزرق، علماً أن قصير عمرة لا يبعد أكثر من ٣٠ كم إلى الجنوب الغربي من قلعة الأزرق وتفسير هذا قد يحمل عدة إحتتمالات، فقد توجد كتابات مؤرخة لتلك الفترة إلا أننا لم نلاحظها بسبب التدمير أو أنه يوجد كتابات إلا أنها من ضمن الكتابات الغير مؤرخة وهي كثيرة، أو أن النشاطات العسكرية والسكانية وطرق العبور في تلك الفترة كانت متركزة إلى الشرق من قصير عمرة، أي من الأزرق ثم عويند ثم إلى الخرانه والموقر دون المرور بقصير عمرة.

وكما أشرنا في بداية هذا المقال فإن الفترة الأيوبية المملوكية شهدت الكثير من الأحداث السياسية من



(الشكل ٨).

كإحدى الأفخاذ التي تنفرع من قبيلة (عتيبة) المشهورة في شبه الجزيرة العربية (منتديات قبيلة الدعاجين: نسب قبيلة عتيبة).



(الشكل ٩).

* في سنة ٧٢٧ كثر مرض الناس بحمّيات دموية تفشت بين الناس حتى لم يكد يسلم منها أحد (المقريزي: ١٩٩٧: ٩٥)
* في سنة ٧٠٢ ضرب زلزال كبير شرق الأردن ودمّر الكثير من المنشآت في الكرك ووادي موسى والعقبة والسلط وعجلون كما شهدت تلك السنة موقعة شقحب بطرف مرج الصفر خارج دمشق، تلك الموقعة الطاحنة التي تغلب فيها المماليك على التتار وأوقعوا بهم هزيمة نكراء أعادت إلى الأذهان إنتصار عين جالوت (غوانمه: ٢٠٠١: ١٥٢)

هذه عينة من بعض الأحداث والكوارث الطبيعية التي قد تكون كفيلاً بدفع الناس للإبتعاد عن التجمعات السكنية حفاظاً على حياتهم من الأخطار أو تشجيعهم على سلوك طرق التنقل عبر هذه المناطق وهذا ما يدفعنا إلى ترجيح رأي الدكتور غازي بيّشه في أن بقايا المسجد الصغير الذي يبعد حوالي ٦٠٠ متر إلى الغرب من قصر عمرة (Genequand 2002) يعود في بنائه إلى الفترة المملوكية والذي يبدو أنه قد بني على غرار المساجد الصحراوية المفتوحة والغير مسقوفة، وللأسف فإن بقايا هذا المسجد لم يعد لها وجود حالياً ودمّرت بالكامل.

علامات القبائل (الوسم)

وكما يقوم المار أو الزائر للمكان بكتابة اسمه واسم قبيلته أو بلدته على جدران المبنى لإشباع الرغبة في تخليد الإسم، فإن لدى البدوي المتواجد في هذه المنطقة أو المتنقل فيها نفس هذه الرغبة حتى ولو لم يكن يتقن الكتابة والقراءة، ولكن كيف سيكون تصرف البدوي في هذه الحالة؟؟ فبالنسبة لشخص لا يعرف الكتابة أو حتى الأحرف فإن أكثر شيء يرمز للهوية الشخصية والقبلية بالنسبة له هو (الوسم) والوسم هو الإشارة أو الرمز الذي تستخدمه القبيلة للدلالة على نفسها وتقوم بوضعه كعلامة على حيواناتها وبالذات على الإبل للتعريف بأن هذه الحيوانات تعود إلى هذه القبيلة، وبالنظر إلى جدران قصر عمرة نجد أنه يغطيها المئات من الوسوم (الشكل ١٠) والتي كما أشرنا سابقاً قد تكون كتبت بدافع الرغبة بتخليد

نزاعات وحروب واقتتال داخلي بين الأمراء، بالإضافة إلى الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية وموجات الأوبئة والأمراض (وبالذات وباء الطاعون الذي ضرب المنطقة على فترات متتالية خلال تلك الفترة)، قد تكون هذه العوامل مجتمعة شجعت العديد من الناس إلى الإنتقال من التجمعات السكانية في المدن والقرى إلى البادية وقد تكون البادية الشرقية من الأردن قد شكلت ملجأً آمناً للكثير من سكان بلاد الشام أو شهدت نوع من النشاط السكاني خلال تلك الفترة سواء بالإستقرار بها أو بالمرور منها فيلاحظ انتشار هذا النوع من النقوش والكتابات ليس فقط على جدران قصر عمرة بل في معظم أجزاء الحرّة الشمالية الشرقية .
بالإضافة إلى الكثير من حالات الإقتتال الداخلي بين الأمراء في منطقة الشام وخروج بعضهم عن سلطة السلطان في القاهرة وثقل الضرائب على الناس في بعض الفترات فقد كان هناك الكثير من الأحداث الهامة التي نرجح أنها قد تركت أثراً مباشراً على سكان منطقة بلاد الشام وقد تكون دفعت البعض منهم للتوجه إلى البادية، فمن الأمثلة على هذه الأحداث:

* شهدت سنة ٨١٢ للهجرة حالات اقتتال بين السلطان ونائب الشام وكذلك بين الأمراء في الشام وتخللها تخريب لبعض المدن والقرى، كما شهدت زيادة في الضرائب وإنتشار لمرض الطاعون (المقريزي: ٢٢٣: ١٩٩٧)

* في سنة ٧٥٠ للهجرة خرجت العربان عن الطاعة لضعف السلطة المركزية واجتاحت مدن الكرك والأغوار والقدس والخليل والرملة (غوانمه: ٢٠٠١: ٢٦٠)

* في سنة ٧٤٨ للهجرة انتشر وباء الطاعون في بلاد الشام وأهلك الكثير من أهالي حلب والكرك وأغوار الأردن والبلقاء وعجلون (غوانمه: ٢٠٠١: ٢٥٨)

* في سنة ٧٤٧ انتشر الجراد في بلاد الشام وغلت الأسعار بشكل كبير جداً (غوانمه: ٢٠٠١: ٢٥٥)

* في سنة ٧٢٨ كان مطر كثير وتسبب سيل جارف بإغراق مدينة عجلون وتدمير الكثير من المنشآت (غوانمه: ٢٠٠١: ١٢٨)



(الشكل ١٠).

نفوذ قبائل على حساب قبائل أخرى كما هاجرت قبائل من مناطق إلى مناطق أخرى وخلال الفترات الزمنية المختلفة قد تظهر قبائل وتختفي وتتلاشى قبائل أخرى، وقد تكون بعض المناطق هي مناطق متنازع عليها بين القبائل وتتبع كل فترة لمن ترجح كفه من القبائل على حساب الآخر، وقد يكون هذا هو حال المنطقة التي يقع فيها قصير عمرة، وهي منطقة وادي البطم القريب من واحة الأزرق، ولا يخفى ما يشكله وادي ملق بأشجار البطم وواحة غنية بالمياه بالنسبة لقبائل بدوية تستوطن وتنتقل في الصحراء القاحلة.

ومما لاشك فيه أن سياسة التشجيع على توطين البدو التي اتبعت من قبل الحكومات الأردنية عبر السنوات السابقة بالإضافة إلى تطور أساليب الحياة وما لها من إيجابيات إلا أنها شكلت تهديداً على اختفاء ثقافة البداوة وبالذات حياة التنقل في الصحراء ورعي الإبل، فإن معرفة وسم القبيلة أصبح من الأمور الصعبة في الوقت الحاضر حتى بالنسبة لأبناء القبيلة أنفسهم، فكان هذا الجزء من البحث هو لتوثيق بعض وسم القبائل التي كانت أو مازالت متواجدة في شرق الأردن ومحاولة لتسليط الضوء على هذا الموروث الثقافي للقبائل البدوية في شرق الأردن

اسم القبيلة أو بدافع الفخر بالقبيلة ومحاولة إثبات إمتداد القبيلة في هذه المنطقة وسيطرتها عليها فيكون وضع الوسم على المبنى كنوع من الإشارة إلى بسط نفوذ هذه القبيلة على هذه المنطقة، وفي الحقيقة فإن هذه الوسوم نجدها منتشرة في معظم أجزاء البادية على الحجارة والصخور وكذلك نجدها أيضاً على جدران المباني الأثرية المنتشرة في الصحراء، وحيث إن الإنسان بطبعه يميل للتعبير عن نفسه بالكتابة أو الرسم فإن شكل وسم القبيلة هو أول ما يخطر ببال الراعي ليخطه بالإضافة إلى قيامه برسم ما يخطر بباليه من بيئته الطبيعية من أشكال تدل على الصيد أو الفروسية أو الحيوانات الموجودة في بيئته أو ما شابه وهذه طبيعة إنسانية مارسها الإنسان على جدران الكهوف قبل أن يبتكر الكتابة بالآلاف السنين، ونرى في البادية الشرقية شواهد على هذه الممارسات منذ العصور الحجرية مروراً بما يعرف بالفترة الصيفية وحتى العصر الحديث، فعند الرجوع إلى هذه الوسوم نكون قد حصلنا على سيل من المعلومات عن القبائل البدوية وأماكن انتشارها، خاصة وأن تاريخ هذه القبائل وتنقلاتها في معظمه هو تاريخ شفهي يتم تداوله من جيل إلى جيل، فالبادية تشهد فترات إمتداد

القبيلة من الوسم على الجمل أو الناقة هي أكثر سهولة من تحديده عندما يكون الوسم مرسوم على جدار أو حجر لأنك لا تستطيع تحديد إتجاه الوسم أو موضعه وإذا ما كان هذا الوسم هو الوسم الرئيسي أو الوسم الفرعي، وهي إحدى العلامات الرئيسية لتفريق وسم عن آخر، فهناك علامات وسم متشابهه ومتكررة لدى الكثير من القبائل مثل المطرق والباكرة والهلل والباب الخ.....

ومما يزيد الأمر صعوبة هو تشابه بعض وسم القبائل في شرق الأردن مع وسم قبائل في شبه الجزيرة العربية والتي قد تكون تشترك معها في نفس الجذور القبلية، ومع هذا فهناك بعض وسم القبائل الموجودة على جدران قصير عمرة كان من الممكن تحديد القبيلة أو الفخذ التي تعود إليه وذلك لوضوح تلك الوسم وتفردتها بالشكل وكذلك بالرجوع إلى المصادر التاريخية التي تحدثت عن إمتداد بعض القبائل البدوية في منطقة شرق الأردن وخاصة المصادر التي تعود للفترة المملوكية والعثمانية تصبح الأمور أقل صعوبة .

فالبادية الأردنية شهدت الكثير من تنقلات القبائل البدوية منذ الفترة التي سبقت ظهور الإسلام إلا أن حركة القبائل البدوية من شبه الجزيرة العربية قد زادت جداً خلال فترة الفتوحات الإسلامية وما بعدها حيث كانت هذه القبائل تشكل العصب الرئيسي لجيوش الفتح الإسلامي، كما لعبت القبائل البدوية دوراً رئيسياً في التوازنات السياسية التي إتخذتها الأنظمة الحاكمة عبر التاريخ الإسلامي ابتداءً بالفترة الأموية مروراً بالفترة العباسية والأيوبية المملوكية والعثمانية وحتى التاريخ الحديث المعاصر.

ويبدو أن الفراغ السياسي والإداري المدني الذي خلفه سقوط دولة المماليك وسيطرة الدولة العثمانية على المنطقة سنة ١٥١٧ بالإضافة إلى الظروف الطبيعية والمناخية إلى جانب الأحوال الإجتماعية خلال القرن السابع عشر والثامن عشر الميلادي قد ساهمت بموجة من التحركات القبيلة من شبه الجزيرة العربية بإتجاه بادية الشام والعراق، فقد شهدت البادية الأردنية الشرقية في فترة من الفترات سيطرة قبائل

ومحاولة لحث أهل الإختصاص من أبناء البادية والملمين بتاريخ القبائل وأنسابها لتوثيق هذه العلامات المهمة فنحن بكل الأحوال لا نستطيع أن ندعي معرفتنا بتاريخ القبائل وأنسابها أكثر من أبناء هذه القبائل أنفسهم والمعلومات التي لدينا هي حصيلة مجهود شخصي يعترتها الكثير من النقص قمنا بجمعها عن طريق المقابلات الشخصية مع بعض أبناء القبائل البدوية، وفي المقابل كان أكبر عون لنا في هذا البحث هو ما وثقه بعض المستشرقين الغربيين الذين زاروا المنطقة وأمضوا سنوات طويلة بين أبناء القبائل البدوية وعملوا على دراسة تاريخ وثقافة هذه القبائل وتطرقوا في دراساتهم لتوثيق بعض الوسم لهذه القبائل أمثال المستشرق السويسري بيركهارت والذي كان يعرف باسم الشيخ ابراهيم، والمستشرق التشيكي الويس موزل والذي كان يعرف باسم الشيخ موسى، إلا أن أهم مصدر في بحثنا هذا كان كتاب (البدو) للمستشرق الألماني ماكس أوبنهايم والذي عمل لسنوات طويلة على توثيق أحوال القبائل البدوية في كل من العراق وبلاد الشام والجزيرة العربية وسيناء وقد شملت دراسته وسم القبائل وصيحات الحرب لديها وأماكن تواجدها، كما كان لبعض مواقع التواصل الإجتماعي دور في هذا البحث، فقد قام بعض الإخوة الناشطين من أبناء قبيلة بني صخر بتصميم موقع للقبيلة على شبكة التواصل الإجتماعي عملوا به على توثيق أهم الوسم لقبائل بني صخر وأفأذاها مع الصور التوضيحية وكذلك قام بعض أبناء القبائل الأخرى بعمل مدونات خاصة لقبائلهم على الشبكة العنكبوتية (الموقع الإلكتروني) تحدثوا بها عن قبائلهم وتفرعاتها وتاريخها ووسومها، قد أفادتنا المعلومات التي وفروها فائدة كبيرة في بحثنا هذا.

فالصعوبة بتحديد هذه الوسم أنها كثيرة الأشكال وفي الكثير منها تشابه وتقارب كبيرين إلا أن الإختلاف قد يكون في موضع الوسم على الجمل أو الناقة فلكل قبيلة وسم رئيسي متعارف عليه بالعادة يوضع على فخذ الجمل أو الناقة ويرافقه وسم ثانوي ويسمى الشاهد ويوضع بالعادة على وجه الجمل أو الناقة أو على الرقبة، فعملية تحديد

مع الأبجديات العربية القديمة للتأكد فيما إذا كان يوجد فعلاً تطابق فيما بينها، وهذا بعد ذاته مبحث مستقل لا يتسع المجال في هذه المقالة للخوض فيه، وقد قمنا كما هو مبين (الشكل ١١) الذي يبين أشكال الأحرف في بعض الأبجديات العربية القديمة بتحديد بعض الأحرف التي تتطابق في شكلها مع أشكال بعض الوسوم لبعض القبائل البدوية حيث أشرنا لهذه الأحرف بدائرة حولها باللون الأحمر.

وبالرجوع إلى أشكال الوسوم في الجداول أعلاه والوسوم الموجودة على جدران قصير عمرة نلاحظ بأن كثير من الوسوم الموجودة على جدران قصير عمرة تعود إلى قبيلة بني صخر بتفرعاتها، كذلك يوجد وسوم تعود لقبائل الحويطات و عنزة والسرحان (الشكلين ١٢ و ١٣).

النقش الكوفي

أما المحور الأخير في هذا البحث فهو موضوع لا نستطيع إغفاله عند الحديث عن الكتابات على جدران قصير عمرة وهو النقش الكوفي الذي تم الكشف عنه في موسم ٢٠١٢ خلال أعمال الصيانة التي تم تنفيذها في قصير عمرة من قبل فريق من المعهد الإيطالي العالي للصيانة والترميم (ISCR) ودائرة الآثار العامة وصندوق الصروح العالمي (De Palma et al. 2012).

حيث شكّل هذا النقش أول إشارة صريحة على ارتباط قصير عمرة بفترة الخليفة الأموي الوليد الثاني بن يزيد بن عبد الملك والتي على الأغلب تعود للفترة التي كان الوليد بن يزيد ما يزال أميراً متبدياً في هذه البادية (لاش ٢٠١٢) فإلى جانب الأهمية الكبيرة لهذا النقش من حيث إشارته الصريحة لإسم الوليد بن يزيد إلا أنه قد يعتبر من أكثر النقوش صعوبة من حيث قراءته (الشكل ١٤)، فالنقش ليس غائراً أو محفوراً على حجر إنما كتب بالدهان شأنه شأن باقي رسومات الفريسكو التي تغطي جدران المبنى ونظراً لتأثر الدهان الذي كتب به بالعوامل الطبيعية والبشرية التي أثرت على المبنى فقد فقدت بعض الأحرف من هذا النقش ولهذا فعند محاولة قراءة هذا النقش لا نستطيع أن نركن إلى

السردية على أجزاء واسعة منها ثم شهدت نفوذ أكبر لقبائل عنزة وبني صخر والذين تقدموا من شبه الجزيرة العربية باتجاه الشمال، لتتجه قبائل عنزة في البادية الأردنية شرقاً في حين توجهت قبائل بني صخر نحو الغرب (أوبنهايم ٢٠٠٧) وكذلك شهدت البادية الجنوبية والجنوبية الشرقية امتداد لقبائل الحويطات، وعبر وادي السرحان كذلك كان نفوذ قبائل السرحان، ونظراً لسعي هذه القبائل للسيطرة على مناطق توفر المرعى والمياه والطرق التجارية وطرق الحج، فقد كان التنافس والصراع والتحالفات في بعض الأحيان هو السمة الرئيسية للعلاقة بين هذه القبائل فكانت السيطرة على أجزاء من البادية الأردنية تغلب عليها صبغة المدّ والجزر ورجوح كفة قبيلة على الأخرى.

ولقد عملنا بالرجوع إلى المصادر التي أشرنا إليها سابقاً على عمل جداول بوسوم القبائل البدوية المنتشرة في شرق الأردن (الجدول من ١-٩)، وكان المصدر الأساسي والرئيسي للمعلومات الواردة في هذه الجداول هو ما أورده المستشرق الألماني ماكس أوبنهايم كما أشرنا سابقاً، والقبائل والأفخاذ المذكورة في هذه الجداول لا تشمل كل القبائل المتواجدة في شرق الأردن إنما القبائل والأفخاذ التي استطعنا توثيق وسمها، فهناك العديد من القبائل وأفخاذها التي لم نتمكن من معرفة وسمها ولهذا السبب هي ليست مذكورة في هذه الجداول، وأكرر بأن هذه الجداول هي محاولة بسيطة تحتمل النقد والمراجعة والغاية منها هو تسليط الضوء على هذا المبحث (الوسم) متمنياً من أصحاب الإختصاص بتاريخ وأنساب القبائل البدوية المساعدة بتوثيق مآلديهم من مخزون من المعلومات بهذا الشأن حفظاً له للأجيال الحالية والقادمة ولما لها من دلالات تاريخية قد تساعد على فهمنا بارتباط أشكال الوسوم للقبائل البدوية بالأحرف العربية القديمة فكثير من الوسوم المتوفرة لدينا تتطابق وتتشابه مع أحرف ثمودية وصفوية ومع بعض الأحرف النبطية والمؤابية والآرامية والتدمرية وحتى الأحرف العربية الجنوبية، لذا فنحن بأمر الحاجة لأن نحصر كل ما هو معروف لدينا من وسوم ومقارنتها

جدول ١ : جدول يوضح إشارات (الوسم) لبعض القبائل في شرق الأردن.

السرحان

ملاحظات	الوسم	الفخذ
على الجهة اليمنى من الرقبة	///	الراشد
على الجهة اليمنى من الذقن أو الجهة اليمنى من الرقبة	T	الهلج
بين السالف الأيمن و العين	III	الحاباب
على الجهة اليمنى من الذقن أو على أعلى الرقبة	oo	العصم

العيسى

ملاحظات	الوسم	الفخذ
بين العين و الذقن و / على الذقن الأيسر	≡	الماضي
تحت العين و \ على الذقن الأيمن	CCC	العلي

بني خالد

الوسم عندهم هو تعليم الأغنام بجرح على الأذن اليسرى أو شق طول الأذن أو قص نهاية الأذن وكذلك توجد لديهم علامات تشبه الوسم مثل المطراقين // وكذلك الشكل (H) أو بنهايم (2:277)

صخور الغور

ملاحظات	الوسم	الفخذ
على الخد الأيمن	<	اللبون
على الخد الأيمن	E	الطهيرات
على الورك الأيمن و هذا وسمهم القديم أما الجديد فهو جروح مختلفة	T	المراونه
ثلاث مطارق على الجهة اليمنى من الرقبة	///	العنسية

الغزاوية

ملاحظات	الوسم	الفخذ
على الخد الأيمن	٥	اليقوب
على الورك الأيسر	١	الديبس
على الورك الأيمن	٢	الرباحنة
على الجهة اليمنى من الرقبة	١١	الكفارنة
على الخد الأيسر	١	العباسية
على الرقبة و على الكتف	٥	الطويسات

البواتي : و سميم هو المطرق / على الفخذ الأيسر . و هم قبيلة مستقلة موجودون في الغور أوبنهايم (2:28)

المشالخة : كانوا يسيطرون على عجلون ثم تراجعوا إلى الزاوية بين نهر الأردن و الزرقاء أوبنهايم (2:291)

ملاحظات	الوسم	الفخذ
على الورك الأيمن	٥	الديات
على الخد الأيمن	≡	النجاروة
(باكورة) على الورك الأيمن	٥	الغراغير

البلاونه : غور البلاونه

ملاحظات	الوسم	الفخذ
على الخد الأيمن	C	المخالده
على الفخذ الأيسر و للغنم على الأذن اليسرى	/٥	الخناطله
(مطرقين) على الجهة اليمنى من الأنف	//	الفقرا


بنى حسن

ملاحظات	الوسم	الفخذ
(مطرق) على الخد الأيسر و  على الأذن اليسرى	/	الحراشه
على الإذن اليسرى	٥	الخزاعله
على الإذن اليمنى	٢	الزيود
(مطرق) على الجهة اليمنى من الأنف و على الأذن اليمنى	/	المعلى
على الجبهة	ن	النواصرة

العدوان:

ملاحظات	الوسم	الفخذ
على الخد الأيمن	/	الصالح
على الخد الأيمن	٥	النمر
على الخدين الأيمن و الأيسر	/	الكايد
على الإذن اليسرى و مطرق / على الأنف	٥	اللوزيين
على الأذن	٥	الثوابية
على الجهة اليسرى من الرقبة	٣	السلامات

عرب البلقاء

أ الدعجة : وسم الدعجة الرئيسي هو () على الأنف و مطرق (/) على الأذن اليمنى

ملاحظات	الوسم	الفخذ
على الأذن اليسرى	/	الشبيكات
على الخد الأيمن	٢	الخصيلات

ب اللديات :

ملاحظات	الوسم	الفخذ
على الخد الأيمن	١	الحديد
مطرقين على الخد الأيمن	==	الرقاد
على الخد و مطرق / على الأذن اليسرى	>	المراشده
على الورك الأيمن	⌊	الدبابنه
على الجهة اليمنى من الأنف	س	الشوابكه
(مطرقين) على الفخذ الأيسر	==	السيوف

ج العجارمه:

ملاحظات	الوسم	الفخذ
على الأنف نحو الأعلى	٧	المطيريين
على الأنف و الخد الأيسر	س	الشهوان
على الخدين الأيمن و الأيسر	س	السواير

د الشواكرة

ملاحظات	الوسم	الفخذ
على الأذن اليسرى	—	الشخاترة

و . العوازم : الوسم عبارة عن فتحة على الأذن اليمنى و مطرق (/)

ز . الأزايده : الوسم عبارة عن (—) على الأذن اليسرى

ح . الزفقة : الوسم عبارة عن (=/) على الخد الأيمن و (\) فوق العين

عشيرة عباد : وسم القبيلة الرئيسي هو ثلاث مطارق (///) على الورك الأيمن وفي بعض الأحيان على الخد الأيمن

ملاحظات	الوسم	الفخذ
على الأنف و الخد الأيسر	∨	البقور
على الأذن اليسرى	٥	الحجاجه
على الأذن اليمنى و الفخذ الأيمن	٩	الرحامنه
على الأذن و الفخذ الأيمن	□	الدويكات
على الأنف	∧	الشراب
على الأذن اليمنى	/	العوامره
على الخد الأيمن	/	العلوين
على الأنف	⊥	المناصير
على الورك الأيمن و على الفخذ الأيمن	∨	الفقها

السلايطة : ويتواجدون شرق البلقاء من وادي التمد حتى اللجون أما وسمهم فهو الشارب (—) و يوضع على الخد الأيسر أو بنهايم (2:361)

الحمائدة : على الجانب الشرقي للبحر الميت و تمتد من زرقا ماعين في الشمال و حتى وادي بني حماد في الجنوب أو بنهايم (2:363)

ملاحظات	الوسم	الفخذ
على الخد الأيمن	//	الهواوشه
على الخد الأيمن	∪	الحمادين
	∪	الغبيلات
على الخد الأيمن	∪	الطوالبه
على الخد الأيمن	∪	البريزات
على الأذن اليمنى	٥	الجماعين
على الأنف	∩	الضرابعة

يتبع قبيلة الحمائدة

الحبصه	0	يساراً
الديارنه	U	على الصدغ الأيمن

العمرو: كانوا حتى بداية يسيطرون على منطقة الكرك و الطفيله و على امتداد طريق الحج من عمان إلى القطرانه أما الآن لم يبقى منهم سوى عدد بسيط شمال الكرك قرب البالوع جنوب الموجب . أوبنهام (2:386)
أما وسمهم فهو بشكل () يوضع على الخد الأيمن

عشائر الكرك :

العشيرة	الوسم	ملاحظات
الضمور	9	على الخد الأيمن و الأذن اليسرى
الصعوب	— ٨ —	(خطام) يوضع فوق الأنف و على الأذن اليمنى
الطراونه	U	(باكوره) على الخد الأيمن و الأذن اليمنى
المجالي	— 1 —	(ناطح) و هذا ما وصفه أوبنهام (2:375) أما عند موزيل فشكل الوسم هو (— C)
الطنشات	— 1 —	من الأنف إلى الخد الأيمن
المحادين	— 1 —	

أما وسم القبائل المسيحية في الكرك فهو الصليب (+) أوبنهام (2:395)

أما القبائل المرتبطة بالكرك فمنها:

الغوارنه : و وسمهم الشارب (—)

البصيروية : و وسمهم هتام (|)

الخرشه : و وسمهم هو ()

بني عطية :

و وسمهم هو الذراع (|) و يوضع على الورك الأيمن

قبائل الطفيلة :

القبيلة	الوسم	ملاحظات
الحميدات	م	على الأنف و الخد و مطرق على الأذن
الكلالده	ر	على الخد الأيمن
وهيبات	ا	(ناتج) على الأنف و (+) على الأذن اليسرى

كما يوج قبائل متواجدة في منطقة بصيرة و سميم هو (م) و يسمى خطام و يوضع أفقياً فوق الأنف ومن هذه القبائل : عيال سليمان و المسعدين و الرفوع و السفاسفه أوبنهام (2:404)

الحجايا :

و سميم هو (□) على الورك الأيمن

المناعين و سميم هو (□) على الخد الأيسر

الحويطات : و الوسم الرئيسي هو الأفيحج أو الفاحج

الفخذ	الوسم	ملاحظات
حويطات ابن جازي	ا	على الورك الأيسر
ابو تايه	ب	
العمران	ت	على الجهة اليسرى من الرقبة

قبيلة عنزة :

أ_ الفقرا : أما و سميم فهو (||)

و منهم فخذ الفهيات و سميم هو (٩) و تسكن هذه القبيلة منذ وقت طويل في محطة مدائن صالح

ب_ ولد علي : وهم عدة أفخاذ ، و لكل فخذ شكل وسم مختلف و من هذه الأشكال :

ا ب ج د هـ و ز ح ط

ج_ ولد سليمان : و سميم هو (||)

بنى صخر : الوسم الرئيسي هو الطويقي أو (الدبوس)

الفسخ	الوسم	الوصف
الفايز	ا١٥	الطويقي
الزبن	ا١٦	
الخصير	ا١٧	الهجار و المطرق على الفخذين
الجبور	ا١٨	على الورك الأيمن
الخريشة	ا١٩	صندوق
الغبين	ا٢٠	دبوس بخصرين
العود (فخذ من الغبين)	ا٢١	باب على صفحة الكتف
الغفل (فخذ من الغبين)	ا٢٢	الوسم الرئيسي دبوس بخصر واحد و يوضع محجان () على القدم الأمامية
الدغيم	ا٢٣	شاهد على الرقبة أو على الأنف
الكنعان (فخذ من الزبن)	ا٢٤	الدبوس و الشاهد على الفخذ و (ا٢٥) باكورة بين الأذن و العين
السندات من الحماد	ا٢٦	الحنية على الرقبة
مزينه من الحماد	ا٢٧	الشاغور تحت الأذن و (ا٢٨) الهجار " المزيني " على الفخذ الأيسر
الحوالي (من الجبور)	ا٢٩	الباكورة و المحجان على الفخذ
السطام	ا٣٠	الدبوس و المطرق على الفخذ و (ا٣١) الشاهد و الباكورة على الوجه
الفاضل (من الشموط)	ا٣٢	العقدة تحيط برقبة الناقة مثل الطوق
الدهام	ا٣٣	المحاجين متقابلات على الفخذ الأيمن و (ا٣٤)
الشرعة	ا٣٥	مطرقين بين الأذن و العين الهلال على الفخذ الأيمن و (ا٣٦) مطرق على الوجه

جدول ٩.

الفخذ	الوسم	الوصف
الدويلات (من الغياليين)	+	العرقاه على الفخذ الأيمن و (\) الشاهد بين الأذن و العين
النويران (من العثمان من الزين)	⊕	الدبوس و الرديف و الناخس يخرج من الرديف
الرقبان (من الطبطب)	⊖	الدبوس و الذراع على اليد اليسرى
الفهيد	//	على الوجه الأيسر و شاهد () على الرجل اليسرى
الدخان	/	مطرق على الوجه و نقطه و مطرق (/) على الرجل اليسرى
المحمد	(—)	على الوجه و (—) على الفخذ الأيسر
الدهيثم	⊙	على الفخذ الأيسر (⊙) باكورة على الأذن اليسرى

للقاعة الرئيسية على إرتفاع يصل إلى حوالي أربعة أمتار عن أرضية المبنى مما يشكل صعوبة حتى في ملاحظة وجوده من قبل زائر المبنى فما بالك بقراءته!! حيث وضع في إطار يقترب طوله من المتر وعرضه من ٥٠ سم علماً أن النقش يتكون من ثلاث أسطر وحوالي واحد وعشرين كلمة (الشكل ١٤).

والنقش مكتوب باللون الأبيض على خلفية زرقاء وكما أشرنا سابقاً فإن أجزاء من الدهان الأبيض الذي كتبت به الأحرف يبدو أنها فقدت بفعل العوامل الطبيعية التي أثرت على الدهان خلال ثلاثة عشر قرناً من الزمان، إلا أن ما يلاحظ عند التدقيق في صورة النقش وتكبيرها هي أن الأجزاء المفقودة من الدهان الأبيض قد تترك أثراً على الخلفية الزرقاء تدل على بقايا الحرف أو الجزء المفقود منه بحيث تكون ما يشبه الظل فوق الأرضية الزرقاء (وقد قمنا بالتعبير عنها بشكل نقاط عند تفرغنا للنقش)، وهذا ما قد يساعد في معرفة بعض الأحرف المفقودة ومحاولة ربطها مع ما هو متبقي من أحرف للوصول إلى القراءة التقريبية للكلمة، ولكن تكمن الصعوبة الأكبر عندما تكون أجزاء من

ما تبقى من هذه الأحرف إنما يجب التدقيق في كل جزئية منه ومحاولة تحديد إذا ما كان يوجد حرف أو حتى جزء من حرف مفقود والذي قد يتسبب بقراءة مختلفة جداً في حال إعماده أم لا، وفي الواقع فإن الفريق الفني العامل في الموقع قد عمل بكل احترافية للكشف عن ما هو متبقي من هذا النقش كما قام الدكتور فريديريك إمبر بعمل قراءة أولية لهذا النقش نشرت في حولية دائرة الآثار العامة (ADAJ) في العدد ٥٦ من خلال المقال الذي تحدث عن أعمال الصيانة والترميم لقصير عمره خلال المواسم ٢٠١٠ - ٢٠١٢، والدكتور إمبر عالم مختص نكن له كل الإجلال والتقدير إلا أننا قد نختلف معه فيما ذهب إليه من خلال قراءته الأولية لهذا النقش، وإن كان رأينا هذا يأتي من باب الإجهاد الذي لا يفسد للود قضية، ولهذا إرتأينا أن نشير إلى ملاحظتنا وقراءتنا لهذا النقش لنفتح الباب لمزيد من البحث والتحليل لهذا النقش الهام والذي يعود لفترة مهمة من التاريخ الإسلامي ما تزال تشهد الكثير من الاختلاف والجدل بشأنها.

فأول ما يلاحظ على هذا النقش هو موقعه من المبنى فهو يقع في أعلى الواجهة الجنوبية من الرواق الغربي



(الشكل ١٣).



(الشكل ١٢).

بيت الخلافة، إلا أنه ليس من السهولة إعتقاد هذه القراءة لإختلاف شكل "الهاء" في هذه الكلمة عن شكلها في باقي الكلمات الواردة في هذا النقش مثل كلمات (الخلافة، اختصه، دمه، لأمته)، وإن كان هذا الإختلاف يظهر أيضاً في كلمة (لعله) في السطر الثالث من النقش، حيث تختلف شكل الهاء في آخر الكلمة عنها في باقي الكلمات التي أشرنا إليها سابقاً. ومن الإختلافات الجوهرية التي قد يحدثها فقدان جزء من الحرف عند قراءة النص هو ما نشاهده في كلمة (الوليد) فقد أثار استغرابنا صيغة النقش إذا قرأناه مما هو ظاهر من أحرف بحيث تكون قراءته (اللهم أصلح الوليد بن يزيد)، فوضع نص بهذا الشكل في مبنى بني واستخدم من قبل الوليد بن يزيد تبدو غير مستساغة، كما أن هذه القراءة لا تتجانس مع بقية الكلمات في هذا النقش، وإن كانت بعض النقوش الإسلامية قد وردت بها كلمة (أصلحه) كما في نقش الموقر الذي يعود لفترة يزيد بن عبد الملك والذي يشمل بالدعاء لله بأن يصلحه ويحفظه ويمد في عمره ويتم عليه نعمته وكرامته (Hamilton :1946) وهذا ما دفعنا للتركيز أكثر على هذه الكلمة من النقش فعند تكبير حرف الألف في كلمة "الوليد" لاحظنا وجود ظل لبقايا الدهان الأبيض المفقود أسفل حرف "الأف" بحيث يبدو سن الحرف من الأسفل متجهاً إلى الأعلى بزواوية شبه حادة وليس بزواوية قائمة كما هو في كلمات (أصلح، اختصه، العالمين) أو كما هو متعارف عليه في كتابة حرف الألف

الأرضية الزرقاء مفقودة وعندها نكون مضطرين لتخمين ما هو الحرف المفقود بما يتوافق مع سياق الكلمة أو الجملة وهذا ما لا يفلح دائماً. والأمر الآخر الملاحظ في هذا النقش أنه يبدو أن كاتب النقش أو من رسمه لم يكن يستخدم نسقاً واحداً في كتابة بعض الأحرف وخاصة في نهايات الكلمات كما هو الحال في حرف (الهاء)، كما يلاحظ إختلاف حرف العين عما هو شائع في الخط الكوفي في الفترة الإسلامية المبكرة وهو بشكل العين المفتوحة، بينما في هذا النقش نلاحظ بأن حرف العين كتب بشكل مغلق كما في كلمات (العالمين، لعله، جميع).

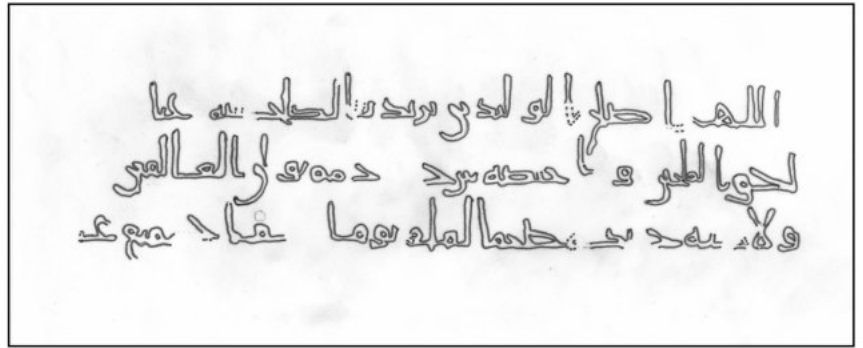
وعندما قمنا بتفريغ النص مع محاولة ملئ بعض الأجزاء المفقودة من الأحرف أصبح نص النقش كما هو موضح في (الشكل ١٥)

أما القراءة الأولية له فكانت على النحو التالي:

(اللهم "الله" أصلح بالوليد بن يزيد بيت الخلافة عمّا لحق بالملحين (الفالحين) وأختصه ببرد دمه ثواب العالمين ولأمته حميد مطيعاً لعلّه يوماً"..... ف "أ" جميع "ع ب") وفي أول كلمة من هذا النقش (اللهم) لا يظهر حرف الميم في آخر الكلمة ولا نستطيع أن نجزم فيما إذا كان حرف الميم قد إختفى من النص بفعل العوامل الطبيعية، أم أنه لم يكتب أصلاً لتصبح الكلمة هي "الله" بدلاً من "اللهم" وفي هذه الحالة تتحول الجملة من دعاء بأن يصلح الله بالوليد بيت الخلافة، إلى جملة إخبارية بأن الله قد أصلح بالوليد



(الشكل ١٤).



(الشكل ١٥).

أما الكلمة الأخيرة في السطر الأول فهي (عمًا) وإن كان حرف الميم غير واضح الشكل إلا أن سياق الكلمة اللاحقة لها في بداية السطر الثاني من النقش وهي كلمة (لحق) تجعلنا نرجح أن الحرف الذي يتبع حرف (العين) هو حرف الميم، بحيث تصبح قراءة السطر الأول من النقش هي: (اللهم أصلح بالوليد بن يزيد بيت الخلافة عمًا) وأول كلمة في السطر الثاني هي كلمة (لحق) فيصبح النص هو (عمًا لحق)، أما الكلمة الثانية في السطر الثاني فهي تحتمل قراءتين وذلك لتشابه قراءة حرفي (الميم) و(الفاء) في تلك الفترة، وبهذا تكون الكلمة هي (الملحين) أو (الفالحين) حيث رجح الدكتور خالد الجبور عند مشاهدته للنقش بأن تكون الكلمة هي (الفالحين). وفي تلك الحالتين فقد وضعنا هذه الكلمة أمام سؤال لم نستطع الإجابة عليه

بالخط الكوفي في الفترة الإسلامية المبكرة بحيث يكون سن الحرف بالأسفل على شكل زاوية شبه قائمة، وبهذا تصبح الكلمة هي (بالوليد) وليس (الوليد) وهذا كفيل بأن يغير المعنى الكلي للنقش، خاصة إذا دققنا في الكلمة التالية لكلمة (يزيد) لنجد أنها عبارة عن كلمتين وليست كلمة واحدة فكما هو واضح في صورة النقش المبينة في (الشكلين ١٥ و ١٤) فإنه يظهر في بداية الكلمة سنين لحرفين ثم جزء مفقود ثم حرف الألف والتي يتبعها حرف (اللام) من الكلمة الأخرى، فلو اعتبرنا أن الحرف المفقود بين السنين الأولين وحرف الألف هو حرف (التاء) فإن الكلمة سوف تصبح (بيت) إلا أن كاتب النقش قد أوصلها بحرف الألف من الكلمة اللاحقة على إعتبار أنهما كلمة واحدة وهي (بيت الخلافة) وإن كان يبدو أن جزءً من حرف (الفاء) في كلمة الخلافة شبه مفقود.

(الدال) وإذا حاولنا ملئ الفراغ مكان الحرف المفقود بحرف (الميم) تصبح الكلمة هي (حميد) ثم تتبعها كلمة حرفها الأول شبه مفقود أيضاً إلا أنه من بقايا الدهان نرّجح بأنه حرف (الميم) ثم يتبعه أحرف (الطاء والياء والعين والألف) لتصبح الكلمة (مطيعاً) ثم كلمة (لعله) "وهنا يظهر حرف الهاء في آخر الكلمة مختلفاً عنه في بقية النص ثم يتبعها كلمة (يوماً) ثم ينقطع عندنا النص بسبب التدمير في هذا الجزء إلا أن ما يظهر من الكلمة المفقودة في هذا الجزء هو حرف (الفاء أو القاف) وحرف الألف، ثم كلمة (جميع) ثم ينقطع النص عند كلمة تبدأ بحرفي (العين والباء) والتي قد تكون كلمة (عبيد أو عباد)، وبهذا فقد تكون قراءة السطر الأخير هي (ولأتمته حميد مطيعاً لعله يوماً ف أ جميع ع ب) قد تكون هذه قراءة مختصرة لهذا النقش والذي لم نكن لنستطيع أن نبحت في موضوع الكتابات على جدران قصير عمرة دون الإشارة إليه، والذي أستطيع أن أدعيه، أن هذا النقش قد يكون أحد أهم النقوش الكوفية المكتشفة مؤخراً، وقد يكون أصعبها قراءةً، وإن ما قدمناه من قراءة لهذا النقش لا تتعدى وجهة نظرنا البسيطة في قراءته قراءةً أولية، وهي دعوة أيضاً لجميع المهتمين والباحثين لمزيد من البحث والتدقيق في هذا النقش، لما قد تثيره قراءة هذا النقش بالشكل النهائي من مواضيع ربما لم يتم التطرق إليها عند كتابة تاريخ هذه الفترة المهمة من التاريخ الأموي.

الخلاصة

في نهاية هذا البحث نود أن نضع بين يدي القارئ الكريم الملاحظتين التاليتين:

* خلال ما يزيد عن ١٣٠٠ عام ظل قصير عمرة الذي شيّد في فترة إسلامية مبكرة قابلاً في البداية الأردنية برسوماته الجدارية التي تمثل كل النشاطات الإنسانية التي قد تمارس في محيط هذا المبنى، من أعمال صيد وبناء واستحمام، فالرسومات الفنية لم تقتصر على تصوير الحيوانات أو الأشكال الأدمية بل حتى أنه لم يكن مُستكراً على من قام بعمل هذه الرسومات أو من استخدم هذا

بالرغم رجوعنا إلى كثير من المصادر التاريخية التي تتحدث عن تلك الفترة فمن هم (الملحين) أو (الفالحين) الذين أشار إليهم كاتب النقش والذي يبدو أنه قد لحقهم الغبن من قبل بيت الخلافة والذي يتوجه كاتب النقش بالدعاء إلى الله بأن يصلحه بالوليد بن يزيد، والذي يشكل هجوماً صريحاً على بيت الخلافة الذي تزعمه هشام بن عبد الملك في تلك الفترة، وإن صحّت قراءة النقش بهذا الشكل فإن هذا يطرح العديد من الإستفسارات بالنسبة لأمر كثيرة كانت موجودة إبان فترة الخلاف بين الوليد بن يزيد وعمه الخليفة هشام بن عبد الملك والتي يبدو أن كتب التاريخ لم تتطرق لها عند حديثها عن تلك الفترة .

أما بقية النقش في السطر الثاني والثالث فتركزت بالدعاء للوليد بأن يختصه الله ببرد دمه ثم تأتي بعد كلمة (دمه وقبل كلمة العالمين) كلمة غير واضحة يرّجح الدكتور الجبور أن تكون كلمة (ثواب) لتصبح العبارة (ثواب العالمين) إلا أنه بالرغم من صعوبة توافم العبارة بهذا الشكل مع بقية النص إلا أننا لا نجد قراءة ثانية لها، إلا إذا اعتبرنا وجود خطأ كتابي عند ملئ النص باللون الأبيض بحيث امتد خط اللون الأبيض قبل حرف (الواو) فأصبح جزء من كلمة بدلاً من أن يكون حرف منفصل وبهذا تكون القراءة هي (ولربالعالمين) أي لرب العالمين (كلمة واحدة) وفي هذه الحالة عند ربطها بالكلمة التي تليها وهي أول كلمة في السطر الثالث تصبح القراءة (ولرب العالمين ولأتمته) وليس من السهولة اعتماد هذه القراءة أو تلك وهذه هي واحدة من الصعوبات التي تواجه القارئ لهذا النقش

السطر الثالث هو أكثر الأجزاء التي تعرضت للتدمير في هذا النقش بحيث تختفي بعض الأحرف بشكل كلي من بعض الكلمات وهنا نبدء بالدخول في عملية البحث عن بقايا أي جزء من الحرف ومحاولة ملئ الفراغ بالحرف المناسب ليتجانس مع سياق الكلمة، فيبدأ هذا السطر بكلمة (ولأتمته) وإن كان حرف (الميم) شبه مختفي، ثم تتبعها كلمة يظهر منها حرف (الحاء) ثم شبه تدمير في هذا الجزء بحيث يبدو وكأنه يوجد حرف مفقود، ثم حرف (الياء) ويتبعه حرف

في نهاية هذا البحث لا بد لي من أن أتقدم بجزيل الشكر والإمتنان لكال من ساعدني في إتمام هذا البحث، وأخص بالذكر الدكتور غازي بيته و الدكتور هاني الهياجته لتفضلهم بقراءة مسودة هذا المقال وابداء ملاحظاتهم القيمة عليه، كما اتقدم بالشكر للإخوة الذين زودوني بما لديهم من معلومات وملاحظات عن علامات الوسم للقبائل البدوية في شرق الأردن ومن هؤلاء الإخوة: لزام العثمان وموفق الفايز ورميح الفايز وعارف الدهيثم وعقاب النواصره وصالح النواصره وأبو سلطان الرويلي كما وأعتذر لكل من سهوت عن ذكر اسمه.

المراجع

- القرآن الكريم
ابن خلكان، أحمد بن محمد
١٩٧٨ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت.
القلقشندي، أبي العباس أحمد
١٩٨٠ نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق، إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
المقريزي، أحمد بن علي
١٩٩٧ السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.
أبو خوصة، أحمد
١٩٩٤ موسوعة قبائل بئر السبع وعشائرها الرئيسية، شركة الشرق الأوسط للطباعة، عمان.
أوبنهايم، ماكس
٢٠٠٧ البدو، تحقيق ماجد شبر، دار الوراق للنشر المحدودة، المملكة المتحدة.
باقر، طه
١٩٥٥ مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، الجزء الأول، الطبعة الثانية.
باقر، طه
ملحمة جلجامش أوديسة العراق الخالدة
البخيت، محمد عدنان
٢٠٠٩ مملكة الكرك في العهد المملوكي ٦٤٨ هـ / ١٢٥٠

المبنى أن يتم تصوير نساء شبه عاريات يقمن بالإستحمام أو الرقص ورسومات تُظهر التأثير بالميثولوجيا اليونانية. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن تصوير الأشكال الأدمية أو الحيوانية لم يكن مقتصرًا في الفترة الأموية على قصير عمرة، فإننا نجد في مباني أخرى مثل قصر الحير الغربي وخربة المفجر في أريحا، كما تم تصوير الخليفة على الدنانير الإسلامية الأولى التي ضربها عبدالملك بن مروان (صالح ٢٠١٤)، وكذلك كان شائعًا تصوير الإنسان والحيوان في المخطوطات والمنمنمات التي ظهرت في الفترات الإسلامية المختلفة (النعيمي ١٩٧٩)، وإذا كان البعض في أيامنا هذه يُنكر هذه الرسوم والتصاویر الموجودة على جدران قصير عمرة ويرمي أصحابها بالإثم والبعد عن الدين، فما بال هذه الرسوم حوفظ عليها من قبل الآلاف من المسلمين ممن مروا بقصير عمرة عبر أكثر من ١٣٠٠ عام، فلم يستنكروها أو يعملوا على تدميرها أو إزالتها بل على العكس فإن الكثيرين ممن حضروا لهذا الموقع حاولوا تسجيل أسمائهم على جدرانها وبعضهم أتبع هذه الأسماء بالدعاء له ولوالديه وللمسلمين كما أوضحنا في هذا البحث حتى أن الكثير من هذه الكتابات نعتت الموقع بالمكان المبارك!!!! ونحن هنا لا نريد الخوض في مسائل فقهية حول تحريم التصوير من عدمه ولكننا لم نستطع أن نمرّ على هذه المسألة دون الإشارة إليها، فالفقه له علماءه وأهله الأجلاء والذين هم أعلم منا في مسائله.

* كما أننا نريد أن نوصل فكرة من هذا البحث وهي أن المبنى الأثري ليس عبارة عن جدران وأرضيات ورسومات وفسيفساء إلخ.... تعود لحقبة زمنية محددة، إنما هو شاهد حي على المنطقة التي وجد بها منذ فترة بنائه وإلى يومنا هذا وسيستمر بحفظ المعلومات عن كل ما يمر حوله طالما بقي موجوداً فلا يصح إهمال أي جزئية فيه وإن كانت عبارة عن ما قد نعتبره (خربشه) خطها راعي أغنام بسيط بيديه على حجر أو على جدار، فكل جزئية قد تفتح لنا سيل من المعلومات والإستفسارات والنتائج لتسبر غور الباحث عن معلومة أهملتها أو حورتها كتب التاريخ.

فيبر، كلود وبيشه، غازي
 ٢٠٠٧ رسومات قصير عمرة حمام أموي في البادية
 الأردنية، المعهد الفرنسي للشرق الأدنى و دائرة
 الآثار الأردنية، لبنان، بيروت.
 كحالة، عمر رضا
 ١٩٤٩ معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، المطبعة
 الهاشمية، دمشق.
 لاش، أحمد
 ٢٠١٢ قصر طوبة شاهد حي على سقوط دولة بني أمية،
 حولية دائرة الآثار العامة ٥٦: ٩ - ٢٩.
 المحاميد، باسم والطاهر، هنادي
 ٢٠١٣ عمان اللقاء في نهاية الفترة المملوكية وبداية الفترة
 العثمانية في ضوء أعمال التنقيب لموقع أم زويتينة،
 حولية دائرة الآثار العامة ٥٧: ١٥ - ٢٠.
 المومني، سعد
 ١٩٨٧ القلاع الإسلامية في الأردن الفترة الأيوبية
 المملوكية، دار البشير، عمان.
 النعيمي، ناهده
 ١٩٧٩ مقامات الحريري المصورة، دار الرشيد للنشر، بغداد.
 ولسون، جون
 الحضارة المصرية، ترجمة، أحمد فخري. مكتبة النهضة
 المصرية، القاهرة .

Bibliography

De Palma, G. *et al.*

2012, **Qusayr Amra World Heritage Site, Preliminary Report 2010 – 2012**, *ADAJ* 56: 309-340.

Genequand, D

2002, **Une Mosquee A Qusayr 'Amra**, *ADAJ* 46:583-589

Lash, A

2009, **Restoration and Excavation at Azraq Castle during 2008**, *ADAJ* 53:423-433.

Musil, A

1907, **KUSEJR AMRA**, WIEN, Druckunt Trlaj Derk.k. Hof-Und Staatspruske REI

- ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م، وزارة الثقافة، عمان.
 بيركهارت، يوهان
 ١٩٦٩ رحلات بيركهارت في سوريا الجنوبية، ترجمة
 أنور عرفات، المطبعة الأردنية.
 جمعة، إبراهيم
 دراسة في تطور الكتابات الكوفية على الأحجار في مصر في
 القرون الخمسة الأولى للهجرة، دار الفكر العربي، القاهرة.
 الحيارى، مصطفى
 ١٩٩٤ القدس في زمن الفاطميين والفرنج، مكتبة عمان، عمان.
 خليفات، نجاح
 ٢٠١٢ الأنساب العربية، دار اليازوري، العلمية للنشر و
 التوزيع، عمان.
 درويش، محمود
 ١٩٥٦ صور من حضارة مصر القديمة، مكتبة النهضة،
 مصر.
 دائرة الآثار العامة و صندوق الصروح العالمي
 ٢٠١٤ خطة إدارة موقع قصير عمرة، عمان.
 الزبيدي، محمد مرتضى
 ١٩٦٥ تاج العروس من جواهر القاموس، دار مكتبة
 الحياة، بيروت.
 زيادين، فوزي
 ١٩٧٧ قصير عمره الأموي، دائرة الآثار العامة، تقرير
 غير منشور، عمان، الأردن.
 شكري، إيمان
 ٢٠٠٢ السلطان برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة
 من مخطوط عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ليدر
 العيني، تحقيق إيمان شكري، مكتبة مدبولي، القاهرة.
 صالح، عبد العزيز
 ٢٠١٤ الإعلام عن طريق النقود في عهد عبد الملك بن
 مروان، كرسي سمير شَمَا لدراسة المسكوكات و
 الحضارة الإسلامية، جامعة اليرموك.
 عمّاري، حنا
 ٢٠٠١ قاموس العشائر في الأردن وفلسطين، دار
 اليازوري العلمية للنشر و التوزيع.
 غوانمة، يوسف
 ١٩٨٢ التاريخ السياسي لشرق الأردن في العصر
 المملوكي، دار الفكر للنشر و التوزيع، عمان.

إطالة على تاريخ دائرة الآثار العامة من خلال مشروع جذور

أحمد لاش وهالة السيوف ونيرمين الفايز

Abstract

In June 1923 the government of Transjordan took the decision to establish the Department of Antiquities to be one of the first governmental departments in Transjordan. The aim was to protect and preserve the archaeological remains in Jordan. Since that time, many major things changed—the British Mandate, the Declaration of Independence in 1946, unity with the West Bank in 1950 (thus then the responsibility of the Department of Antiquities), the loss of the West Bank in 1967, and more recently the technological revolution. In these almost 95 years, many archaeological field projects, research, and important discoveries have taken place in Jordan, resulting in tens of thousands of hard copies of reports and documents. In this paper, we will highlight the main eras in the history of the Department of Antiquities of Jordan through Roots project which started in 2015 in order to sort, digitize, preserve and study these documents.

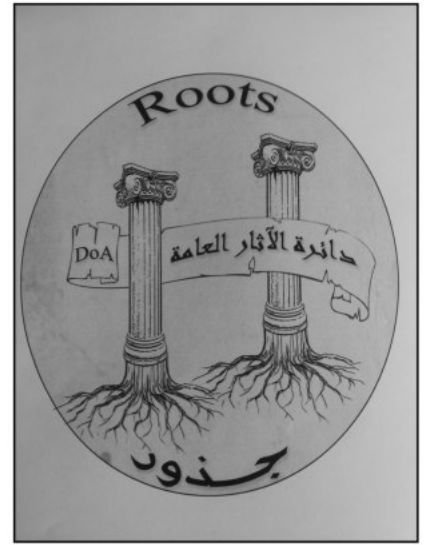


Fig.1 The Logo of Roots Project.

مقدمة

ودراستها وعمل نسخ إلكترونية منها بواسطة جهاز الماسح الضوئي (Scanner) وتخزين تلك النسخ الإلكترونية على أجهزة الحاسوب الخاصة بقاعدة بيانات دائرة الآثار وعمل نسخ محفوظة منها، أما بالنسبة للنسخ الورقية الأصلية لتلك الوثائق فيتم حفظها وتغليفها بأوراق ومغلفات خالية من الحموضة ثم جمعها بصناديق من الكرتون الخاص وحفظها في خزائن خاصة ضمن ظروف تخزينية مناسبة من حيث درجة الحرارة والرطوبة.

لقد كانت البداية الفعلية لهذا المشروع في الأول من حزيران ٢٠١٥ بعد أن قامت إدارة دائرة الآثار بالموافقة على فكرة هذا المشروع ودعمها وتشجيعها له، وعليه فقد

يعتبر مشروع جذور من المشاريع الوطنية الإستراتيجية لدائرة الآثار العامة وقد تم اعتماد هيكلية إدارية وزمانية له ليتم إنجازه خلال الفترة من ٢٠١٥ إلى ٢٠٢٠، يهدف المشروع إلى ربط حاضر دائرة الآثار العامة بماضيها منذ تأسيسها وذلك عن طريق أرشفة وتوثيق ودراسة وحفظ كافة الوثائق المتوفرة لدى دائرة الآثار العامة، سواءً التقارير العلمية أو التقارير الإدارية والمالية والمراسلات والإستملكات وكل وثيقة رسمية صادرة أو واردة لدائرة الآثار أو متعلقة بها منذ بداية تأسيسها ولغاية العام ٢٠٠٠، بحيث يتم جمع هذه الوثائق وفرزها وتصنيفها وتبويبها

تمكنا منذ بداية المشروع ولغاية تاريخ ٢٠١٦/١٢/٣١ من توثيق ما مجموعه سبعة عشر ألف وثيقة، وقد ارتأينا في هذا المقال أن نطل على القارئ الكريم بلمحة موجزة عن تاريخ دائرة الآثار العامة منذ تأسيسها وذلك من خلال نافذة مشروع جذور مستندين على معلوماتنا بما هو متوفر بين يدينا من وثائق.

البدايات وجيل الرواد

لقد شهدت بدايات القرن العشرين تحولات جذرية في تاريخ المنطقة، فبدأ معها بزوغ الفكر القومي التنويري العربي الذي سعى لإحياء أمجاد الأمة العربية، وباندلاع الحرب العالمية الأولى ودخول الدولة العثمانية بها ضد الحلفاء، وجد العرب فرصتهم للتخلص من الحكم العثماني لمنطقتهم والذي امتد على مدار أربعة قرون، فالتفوا حول شريف مكة، الحسين بن علي معلنين ثورتهم العربية الكبرى في العاشر من حزيران عام ١٩١٦ والتي صبغت للنهوض بأبناء الأمة العربية وتوحيد بلادهم تحت حكم عربي يحي ماضيها التليد منادين بالشريف الحسين بن علي ملكاً للعرب، ومع انتهاء الحرب العالمية الأولى ابتدأ أول كيان عربي بالتشكل، فالحجاز تحررت وبلاد الشام تشكلت بها حكومة عربية لأول مرة تحت حكم الملك فيصل بن الحسين تحقيقاً لحلم عربي امتد لأربعة قرون، إلا أن غدر الحلفاء كان كفيلاً بالقضاء على تلك الدولة العربية الوليدة والتي تحطمت أحلامها بهزيمة العرب في معركة ميسلون في الرابع والعشرين من تموز ١٩٢٠، وخضوع سوريا ولبنان للإنتداب الفرنسي وفلسطين والأردن والعراق للإنتداب البريطاني ولتكتمل فصول المأساة بالكشف عن وعد بلفور الرامي لإنشاء دولة لليهود على تراب فلسطين، إلا أن الروح قد عادت مجدداً للحلم العربي بوصول الأمير عبدالله بن الحسين إلى عمان وتأسيسه لأول حكومة عربية في إمارة شرق الأردن بتاريخ ١٩٢١/٤/١١ منادياً بإعادة إحياء المبادئ التي قامت عليها الثورة العربية الكبرى، لتصبح أرض الأردن محجاً لكل أحرار العرب الطامحين

لإحياء المشروع النهضوي الحضاري العربي. في ظل هذه الظروف الصعبة والتحديات والمخاطر الجسام بدأت نواة الدولة الأردنية بالتشكل بإمكانيات شحيحة ولكن بهمم وآمال كبيرة، فبدأ جسم الدولة السياسي والإداري بالتكون، وخلال حكومة دولة السيد مظهر أرسلان رفع وكيل الأمور المالية (وزير المالية في ذلك الوقت) السيد أحمد حلمي بتاريخ ١٩٢٣/٦/٧ مذكرة رقم ١٩٤١ مؤداها "إن صيانة الآثار القديمة التي تركها لنا الأسلاف شاهداً عادلاً على مدنيتهم وعظمتهم والتي ينظر إليها العالم المتمدن بكمال الإعجاب تقضي بتأليف مديرية للآثار تقي بقبتها من الإندثار وتجمع ماتبعثر منها في جوانب المنطقة وأيدي الأهلين". ولم يمض سبعة وعشرون شهراً على تشكل الدولة الوليدة حتى صدر بتاريخ ١٩٢٣/٧/١٧ قرار بتأسيس مجمع علمي في شرق الأردن، فجاء في كتاب رئيس الديوان الأميري إلى رئيس الوكلاء (رئيس الوزراء في ذلك الوقت) أنه " رغبةً لإحياء الآثار القومية ورفع منارة المعارف العربية فقد صدرت إرادة سيدي ومولاي صاحب السمو الملكي بتأسيس مجمع علمي بحماية سموه العالي يكون رئيساً له سماحة الشيخ سعيد الكرمي وأعضاؤه الفيلسوف العلامة رضا توفيق بك والأستاذ اللغوي الشيخ مصطفى الغلاييني والأستاذ رشيد بقدونس ومدير الجريدة الأديب السيد محمد الشريقي ليكونوا أعضاء عاملين ينتخبون إخوانهم من الأعضاء الفخريين من الأقاليم العربية كافة ليكونوا عاملاً قوياً من عوامل احكام صلة التعارف العلمي والقومي بين الناطقين بالضاد. كما أن الأعضاء العاملين يكونون في الوقت نفسه هيئة إدارية لمصلحة الآثار". وفي بداية أيلول من العام ١٩٢٣ صدر قانون بتأسيس دائرة الآثار، وتقرر أن ترتبط هذه الدائرة برئاسة الوكلاء وأن تتألف من مدير وأمين ومحافظ، وقد عين الدكتور رضا توفيق مديراً للآثار، وقد ألحقت بهذه الدائرة مصلحة السياحة. وبهذا تكون دائرة الآثار من أولى الدوائر التي تم تأسيسها في الدولة الأردنية ويرئاسة قامة علمية من قامات ذلك الزمن، لتدور رحي

الثلاثينيات حرص الإرساليات الدينية المهمة بالعمل الأثري مثل جمعية حراسة الأراضي المقدسة على إيجاد موطن قدم لها في شرق الأردن، فعملت كل ما بوسعها لشراء الأراضي التي يظهر بها وجود بقايا أثرية في خربتي المخيط وصياغة من أراضي مادبا، والتي ظلت مطالباتها للحكومة الأردنية بالموافقة لها على شراء تلك الأراضي من المواطنين بين مدّ وجزر من سنة ١٩٣١ ولغاية ١٩٣٩ والتي انتهت بسماع الحكومة الأردنية لهم بشراء تلك الأراضي بما يتماشى مع بنود قانون الآثار الأردني بالتعامل مع البقايا الأثرية التي تحتويها تلك الأراضي.

يبدو أن الحرب العالمية الثانية التي اندلعت بين السنوات ١٩٣٩ و ١٩٤٥ قد ألفت بظلالها على العمل الأثري في شرق الأردن فانخفضت وتيرة العمل الأثري وأصبح تنقل البعثات الأثرية من أوروبا التي تطحنها رحى الحرب إلى شرق المتوسط تعتبر من الأمور النادرة الحدوث بسبب ظروف أمنية ولوجستية ومادية يطول شرحها وقد استمرت تلك الحالة إلى أن وضعت الحرب أوزارها وبدأت أوروبا تلتقط أنفاسها من جديد، إلا أن نهاية الحرب قد تبعها نهاية مرحلة سياسية سيطرت على شرق الأردن تمثلت بالانتداب البريطاني، فمع فجر يوم الخامس والعشرين من أيار من سنة ١٩٤٦ تم إعلان استقلال إمارة شرق الأردن وتأسيس المملكة الأردنية الهاشمية والمناداة بالملك عبدالله الأول بن الحسين ملكاً على البلاد بعد أكثر من ربع قرن من الانتداب البريطاني، وكما انعكس أثر الاستقلال على كل مؤسسات الدولة ودوائرها فقد اتضح ذلك جلياً على دائرة الآثار العامة، وهي التي بدأت سنة ١٩٢٣ بمكتب صغير بين أطلال مدينة جرش الأثرية لتنتقل مكاتبها إلى المدرج الروماني في العاصمة عمّان إبان فترة السيد علاء الدين طوقان والذي شغل مديراً عاماً لدائرة الآثار خلال الفترة من ١٩٢٩/١٠/٢٧ ولغاية ١٩٣١/٢/٢١، والجدير بالذكر أن العنصر الأساسي من الكادر العلمي والفني لدائرة الآثار خلال فترة الانتداب كان في غالبيته من الإنجليز مثل السيد لانكستر هاردنغ وجورج هورسفيلد ومستر هيد

العمل الأثري العلمي المنظم تحت سيادة الدولة الأردنية. إن الدوافع الدينية والسياسية التي سيطرت على علم الآثار في القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، أدت إلى أن يحظى الجانب الغربي من نهر الأردن بالنصيب الأوفر من العمل والبحث والمسح الأثري فكانت أرض فلسطين هي وجهة البعثات الأثرية في حين اقتصر الإهتمام بشرق الأردن على زيارات بعض الرحالة والمستكشفين فكان الألماني سيتزن من أوائل المستكشفين لشرق الأردن سنة ١٨٠٥ ليتبعه بيركهارت سنة ١٨١٢ ثم تلتهم بعض البعثات والأفراد الذين مروا بشرق الأردن وسجلوا ملاحظاتهم وقد يكون التشيكي أليس موزل والآباء الدومنيكان الفرنسيين جيسن وسفينياك من أشهر أولئك المستكشفين، إلا أنه وبعد تأسيس دائرة الآثار القديمة "كما كانت تسمى سابقاً" بدأ العمل الأثري يأخذ الطابع الرسمي والمنظم، فأصبحت تأتي البعثات بشكل رسمي وتقوم بتوقيع إتفاقيات رسمية مع الحكومة الأردنية لمزاولة العمل الأثري تحت مظلة القوانين والأنظمة الحكومية الأردنية، فكان من أوائل تلك البعثات هي بعثة الجمعية الإيطالية العلمية في الشرق ممثلة بالسيد جاكومو غويدي لتباشر أعمال التنقيب في منطقة جبل القلعة في عمّان من سنة ١٩٢٧ ولغاية ١٩٣٧، لتتبعها بعثة فرنسية ويتم منحها تصريح للتنقيب في موقع تليلات الغسول في الشونة الجنوبية ابتداءً من شهر تشرين الثاني ١٩٣٠ والتي تم في الموسم الثالث منها سنة ١٩٣٢ إكتشاف الرسومات الجدارية الملونة التي اشتهر بها موقع تليلات الغسول. لتتوالى بعدها البعثات الأثرية رويداً رويداً وليبدأ نلسون غلوك مشروع المسح الأثري الذي قام به لشرق الأردن خلال السنوات من ١٩٣٣ ولغاية ١٩٣٨ وتخلله قيامه بأعمال التنقيب في موقع تل الخليفة إلى الغرب من مدينة العقبة، والذي عُرف بإسم (تل خليفة)، وفي سنة ١٩٣٦ عثر قائد مقاطعة الطفيلة السيد عبدالله الريحاني على أنقاض معبد نبطي ليقوم بإبلاغ دائرة الآثار عنه والتي قامت بالتنقيب في ذلك الموقع سنة ١٩٣٧ ليتم الكشف عن موقع خربة التنور الشهير، كما شهدت سنوات

سجلات كوادرات دائرة الآثار أسماء مختصين في مجال الآثار من العرب والذين سيكون لهم باع وتأثير على مسيرة العمل الأثري في الأردن مثل عوني الدجاني و عبدالكريم غرايبة والاستاذ محمود العابدي.... والذين ظهرت غيرتهم واهتمامهم بالحفاظ على الموروث الحضاري العربي المتمثل في المواقع الأثرية من خلال مخاطبتهم وقراراتهم، ففي سنة ١٩٥٢ يصدر كتاب من مفتش الآثار عبدالكريم غرايبة إلى أمين عمان يعلمه بأن مدينة عمان كلها منطقة أثرية ولا يجوز الموافقة على أي أعمال بناء فيها أو تعبيد أو غرس أشجار دون موافقة دائرة الآثار العامة.

وفي بداية الخمسينيات ظهر للوجود أول حولية علمية صادرة عن دائرة الآثار العامة سنة ١٩٥١ تقوم بنشر كل ما يستجد من نتائج وأبحاث تختص بالعمل الأثري في الأردن لتحتل تلك الحولية مكانة عالمية مرموقة بين المجلات العلمية الأثرية على مستوى العالم وهي التي مازالت مستمرة بالصدور حتى يومنا هذا، كما تم افتتاح متحف الآثار الأردني في جبل القلعة في عمان والذي ظهر بشكله الحالي سنة ١٩٥١، ليتبعه لاحقاً تأسيس عدد آخر من المتاحف في محافظات المملكة المختلفة، أما بالنسبة لعمل البعثات الأثرية في شرق الأردن أو في الضفة الغربية فقد استمر تحت مظلة دائرة الآثار العامة فبعثة المدرسة البريطانية برئاسة كاثلين كينيون تقوم بأعمال التنقيب في منطقة تل عين السلطان في أريحا من السنوات ١٩٥٢ إلى ١٩٥٨ والأب ديفو من الآباء الدومنيكان يقوم بأعمال التنقيب في تل الفارعة من السنوات ١٩٤٦ إلى ١٩٥٩ وأعمال التنقيب في سبسطية وصوريف وبلاطة وقمران وغيرها من مواقع الضفة الغربية مستمرة، كما أن أعمال التنقيب والمسح الأثري متزايدة في شرق الأردن سواء من قبل البعثات الأجنبية مثل بيتر بار وديانا كركبرايد في مناطق البترا ووادي رم وغيرها أو من قبل كوادرات دائرة الآثار العامة، فهذه كوادرات الدائرة سنة ١٩٥٧ تعمل في جبل القلعة وتكتشف رأس تمثال رخامي يمثل رأس تاكي (الإلهة حامية عمان)، كما تقوم سنة ١٩٥٩ بعمل حفرة في

ومستر متشل وغيرهم، وهذا متوقع في ظل ندرة المهتمين والمختصين بهذا النوع من العلوم من العرب وعدم وجود المعاهد والجامعات التي تقوم بتدريس هذا العلم في منطقتنا وربما بسبب رغبة الجهات الإنجليزية باحتكار هذا النوع من العمل بها، إلا أن هذا الحال لن يستمر بهذا الشكل في مرحلة ما بعد الاستقلال.

ما بعد الاستقلال ونكبة فلسطين والوحدة مع الضفة الغربية

ما أن بدأت المملكة الوليدة تخطو أولى خطواتها بعد الاستقلال حتى داهمتها نكبة ١٩٤٨ وما نتج عنها من ضياع القسم الأكبر من فلسطين وقيام كيان معادي لها على حدودها الغربية، لقد انعكست هذه الكارثة على دائرة الآثار كما انعكست على بقية مؤسسات الدولة ومواطنيها، فالآلاف اللاجئين الهاربين من بطش الاحتلال باتت تستوطن المناطق شبه الفارغة والتي في معظمها مواقع أثرية، كما أن المواقع الأثرية في الضفة الغربية أصبحت دون سيادة حكومية بعد أن رفعت سلطة الإنتداب البريطاني يدها عنها برحيلها في الخامس عشر من أيار من سنة ١٩٤٨ والتي تضم فيما تضم ثالث أقدس مكان للمسلمين و أقدس مكان للمسيحيين وهي القدس، وما أن جاء يوم الرابع والعشرين من نيسان ١٩٥٠ إلا وتم إعلان قرار وحدة الضفتين لتصبح الضفة الغربية جزء لا يتجزأ من أراضي المملكة الأردنية الهاشمية، ولما كان لهذا القرار من تأثير مباشر على دائرة الآثار العامة، للقيام بدورها في حماية المواقع الأثرية في غربي النهر بالإضافة إلى المواقع في شرقيه إلا أن هذا قد ضاعف في الوقت نفسه من مسؤولياتها وتطلب زيادة في كوادراتها وموازنتها.

لقد شهد عقدي الخمسينيات والستينيات ما يمكن أن نسميه بالطفرة في العمل الأثري والذي اصطبغ به العمل العلمي الأثري بالصراع السياسي والفكري الذي القى بظلاله على المنطقة في ذلك الوقت، فالنزعة القومية العربية عادت للظهور مجدداً وبقوة وبدأ يظهر لدينا في

دولة السيد توفيق ابو الهدى بتاريخ ١٩٥٢/١١/٣٠ قراراً بالموافقة على شراء ما هو متواجد من تلك المخطوطات بمبلغ ١٤٩٦٣ دينار (أربعة عشر ألف وتسع مائة وثلاث وستون دينار)، إن ما يشكله هذا المبلغ من ضخامة بالنسبة لإمكانيات الدولة الأردنية المتواضعة في ذلك الوقت، يدل على الإهتمام الصادق التي كانت توليه الحكومة الأردنية للحفاظ على الآثار. لم تمض فترة وجيزة إلا وظهرت مجموعة جديدة من تلك المخطوطات متداولة بين أيدي الناس، ونظراً لما كانت تعانيه الموازنة العامة من ضائقة مالية فلم يكن باستطاعتها تأمين مبالغ إضافية لشراء تلك المجموعة الثانية فكان أحد المقترحات التي تبنتها الحكومة، هو قيام المعاهد والمؤسسات العلمية الدولية بشراء تلك الدفعة من المخطوطات نظير حصولها على حصتها منها ودراستها شريطة أن تتم تلك الدراسات داخل الأراضي الأردنية، وهذا ما تم، إلا أنه وخلال رئاسة دولة السيد هزاع المجالي لحكومته الثانية اتخذ مجلس الوزراء قراراً بتاريخ ١٩٦٠/٧/٢٨ بتأميم كافة مخطوطات البحر الميت وأن تقوم الحكومة الأردنية بإعادة المبالغ التي دفعتها المؤسسات والمعاهد الأجنبية نظير الدفعة الثانية من المخطوطات والبالغ مقدارها ٢١٠٠٠ دينار (واحد وعشرون ألف دينار)، وهذا ما تم، ليكون مجموع ما دفعته الحكومة الأردنية ثمناً لتلك المخطوطات هو ٣٥٩٦٣ دينار (خمسة وثلاثون ألف وتسعمائة وثلاث وستون دينار)، وتم الاحتفاظ بتلك المخطوطات في متحف الآثار الفلسطيني في القدس قبل أن تقوم حكومة الاحتلال الإسرائيلي بالإستيلاء عليها في أعقاب حرب ١٩٦٧.

وبالعودة إلى أهم الأحداث التي شهدتها دائرة الآثار العامة خلال عقد الخمسينيات فقد كان انتهاج دائرة الآثار العامة نهجاً جديداً بالتعريف بالمووروث الحضاري الأردني وتسويقه لشعوب العالم عن طريق المعارض الأثرية الدولية، ففي ١٩٥٧/٨/٢٢ وافق مجلس الوزراء على مشاركة الأردن في معرض دولي في مدينة بروكسل وان تتحمل الحكومة نفقات المشاركة والبالغة ١٦٠٠٠ دينار، ليتبعها

إحدى مدن الديكابولس وهي مدينة أبيلا (قويلبة)، والكثير من الحفريات العرضية سواء في صويلح ١٩٥٧ أو تل صافوط ١٩٥٨ وغيرها الكثير من المواقع التي عملت بها كوادر الدائرة أو البعثات الأثرية والتي لا يتسع المجال للتوسع في ذكرها والتي قد يكون من أهم مكتشفاتها هو ما قامت به كاثلين كينيون في موقع أريحا باعتمادها كأقدم مدينة مأهولة وكذلك إكتشاف الأنسة ديانا كركبرايد لأقدم المستوطنات الزراعية في شرق الاردن في ذلك الوقت والمتمثلة بموقع البيضا في البترا والذي يعود لفترة العصر الحجري الحديث.

ربما يكون من أهم المواضيع التي واجهت دائرة الآثار والحكومة الأردنية في عقد الخمسينيات هو إكتشاف مخطوطات البحر الميت وطريقة تعامل دائرة الآثار معها والتي قد تحتاج منا لبحث منفصل ربما نتطرق له في سلسلة مقالاتنا القادمة، ولكن لاضير في إعطاء لمحة موجزة عن هذا الموضوع، ففي سنة ١٩٤٧ عثر أحد رعيان عرب التعمارة والمدعو محمد الذيب التعمري في أحد الكهوف المجاورة لخربة قمران بالقرب من البحر الميت على مجموعة من المخطوطات، والتي حاول بدوره ببيعها لأحد تجار الآثار في مدينة القدس، ولم تأت سنة ١٩٥٢ إلا وخبر إكتشاف كمية من المخطوطات في كهوف قمران قد انتشر ووصل إلى دائرة الآثار الأردنية والمتحف الفلسطيني، وقد كانت كمية كبيرة من قصاصات تلك المخطوطات قد أصبحت بين يدي المواطنين والعابثين، وإدراك دائرة الآثار لما تشكله تلك المخطوطات من أهمية تاريخية، والتي تحتوي على نصوص دينية مكتوبة بلغات آرامية وعبرية تعود للفترة من القرن الثالث قبل الميلاد ولغاية القرن الأول الميلادي، ونظراً لسعي الجانب الإسرائيلي للحصول على تلك المخطوطات بطرق غير شرعية، فقد عمل السيد لانكستر هاردنغ مدير عام دائرة الآثار في ذلك الوقت على إقناع الحكومة الأردنية بشراء ما بأيدي المواطنين من تلك المخطوطات وقصاصاتها، حفاظاً لها من الضياع والسرقعة، وبالفعل فقد اتخذ مجلس الوزراء الأردني برئاسة

والترميم فقد انصب عمل الدائرة في ذلك الوقت على بناء القدرات العلمية لكوادرها وتسهيل مهمة حصولهم على التحصيل العلمي العالي في الاختصاصات المختلفة وذلك عن طريق تسهيل مهمة حصول هذا الكادر على المنح والبعثات الدراسية في دول العالم المختلفة، والذي عاد الكثير منهم حاملاً لدرجة الدكتوراة في التخصصات الأثرية المختلفة ليعودوا للعمل ضمن كادر دائرة الآثار العامة أو للعمل في مجال التدريس الجامعي في الجامعات الأردنية الوليدة ويقوموا بتخريج جيل جديد من الأثاريين كان للكثير منهم فرصة الإلتحاق بكادر دائرة الآثار خلال عقود السبعينيات والثمانينيات والتسعينيات.

لم يكن صباح الخامس من حزيران سنة ١٩٦٧ صباحاً عادياً، فقد ابتدأ معه عدوان إسرائيلي غاشم استمر لسته أيام منتهياً باحتلال ماتبقى من الأراضي الفلسطينية ممثلة بالضفة الغربية وقطاع غزة، بالإضافة إلى هضبة الجولان وشبه جزيرة سيناء، موجهاً ضربة قاصمة للمشروع النهضوي العربي، وبالنسبة للدولة الأردنية وقطاع الآثار بها فقد كانت الضربة موجعة بضياح الضفة الغربية ومابها من مواقع أثرية بذلت دائرة الآثار العامة الغالي والنفيس لحمايتها والحفاظ عليها سواء في الخليل ونابلس ورام الله وأريحا وجنين... ودرّة تلك الأماكن هي القدس بحرما الشريف وبكنائسها ومواقعها الغنية وبمتحفها الذي يضم نخبة القطع الأثرية من ضفتي المملكة... لم تمض فترة طويلة حتى فُجع موظفوا الدائرة بوفاة مديرهم المرحوم الدكتور عوني الدجاني والذي لم يمهلته المرض طويلاً ليرحل سنة ١٩٦٨.

مما لاشك فيه أن الملفات والوثائق التي تعود لفترة الستينيات، تزخر بالكثير من المعلومات والحقائق عن طبيعة العمل الأثري وازدهاره والجديّة والمهنية التي انعكست في تعامل دائرة الآثار مع كوادرها الفنية وضرورة عدم تأخرهم عن خدمة المواقع الأثرية أيّاً كان توّاجدها، ويظهر ذلك جليلاً في التعميم الصادر عن دائرة الآثار لكوادرها الفنية في نهاية سنة ١٩٦٨، بأن كل

العديد من المعارض الدولية في أمريكا وكندا وبريطانيا... كما كان تولي الأستاذ عبدالكريم غرايبة منصب مدير لدائرة الآثار العامة خلفاً للسيد لانكستر هاردنغ في الأول من تشرين الأول سنة ١٩٥٦ من الأحداث الهامة في تلك الفترة ليليه في إدارة دائرة الآثار العامة من بداية شهر آب ١٩٥٧ السيد سعيد الدرّة، ومع حلول ١٩٥٩/٥/٢٣ صدر قرار بنقل السيد سعيد الدرّة ليصبح وكيلاً لوزارة التربية والتعليم، ليخلفه في إدارة الدائرة الدكتور عوني الدجاني والذي يعتبر أول شخص حاصل على درجة الدكتوراة في الآثار يتولى إدارة هذه الدائرة.

الستينيات فترة البناء والإنتكاسة

قد تعتبر فترة الستينيات برئاسة الدكتور عوني الدجاني، إحدى الفترات الذهبية من عمر دائرة الآثار العامة بالإضافة إلى العمل الأثري النشط في مختلف المواقع الأثرية على جانبي النهر سواء من قبل البعثات الأثرية الأجنبية أو من كوادر دائرة الآثار العامة، فقد شهد عقد الستينات ضخ دماء جديدة شابة في جسم الدائرة، فالشاب فوزي زيادين المتخرج حديثاً من جامعة السوربون يلتحق سنة ١٩٦٥ ليصبح من ضمن كادر دائرة الآثار في حين سبقه في العمل بها مجموعة من الشباب مثل عاصم برغوثي ورفيق الدجاني ومعاوية ابراهيم الذي التحق بكادر الدائرة سنة ١٩٦٠ وهو مازال شاباً يافعاً، ليتبعهم جيل من الشباب الأثاريين مثل صبري العبادي وصفوان التل وغازي بيشه ونبيل خيري وعبدالجليل عمرو وعدنان الحديدي وخير نمر ياسين وحسين قنديل... إضافة إلى التحاق العنصر الأنثوي بالعمل الأثري، فقد ضم كادر الدائرة نخبة من السيدات الملتحقات بالعمل الأثري وخاصة المتحفي مثل هدية أباطة ونظمية رضا... لتلتحق بهن الكثير من السيدات مثل زاهدة صفر التي نالت درجة الدكتوراه في الآثار من جامعة السوربون لتكون أول سيدة أردنية تنال درجة الدكتوراه في الآثار، بالإضافة إلى العمل الميداني المكثف للكثير من المواقع الأثرية من حيث التنقيب والصيانة

وفي عقد الثمانينيات سعت دائرة الآثار إلى تسجيل المواقع الأثرية الأردنية في قائمة المواقع العالمية فكان أن تم إدراج كل من القدس والبترا وقصير عمرة على قائمة مواقع التراث العالمي، كما شهد بداية الثمانينيات إكتشاف موقع عين غزال الأثري سنة ١٩٨٣ والذي اشتهر على مستوى العالم بتمثيله الجصية التي اعتُبرت من أقدم التماثيل البشرية على مستوى العالم. كما كان في بداية الثمانينيات وتوجيه ودعم من صاحب السمو الملكي الأمير الحسن بن طلال عقد المؤتمر الدولي الأول في آثار وتاريخ الأردن وذلك في جامعة أكسفورد في آذار من سنة ١٩٨٠ ليتوالى عقد هذا المؤتمر كل ثلاث سنوات بحيث يتم استضافته في الاردن أو في دولة مضيقة، ليجوب هذا المؤتمر الأروقة العلمية الكبرى في العديد من الدول مثل بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وأستراليا وألمانيا وإيطاليا والدنمارك... يجتمع به كبار العلماء والمختصين في علم الآثار ليقدموا آخر النتائج العلمية لمشاريعهم الأثرية، وقد بلغ عدد دورات هذا المؤتمر منذ ذلك الحين ثلاثة عشر دورة.

لقد كان لثورة الإتصالات وتكنولوجيا المعلومات أثرها الواضح على العالم مع بداية عقد التسعينيات، فما كان من دائرة الآثار إلا السعي الدؤوب لمواكبة هذه التكنولوجيا، فقامت بالتعاون مع المركز الأمريكي للابحاث الشرقية (ACOR) ببناء قاعدة البيانات المحوسبة للمواقع الأثرية الأردنية (JADIS)، ليتبعها إطلاق مشروع تحديتي لهذه البيانات سنة ٢٠١١ ضمن قاعدة بيانات جغرافية للمواقع الأثرية الأردنية والذي أطلق عليه اسم (MEGA Jordan)، وذلك بالتعاون مع المركز الأمريكي للابحاث الشرقية (ACOR) وصندوق الصروح العالمي ومعهد جيتي للصيانة والترميم.

كما شهد مطلع الألفية الثانية مزيداً من الإنجازات على الصعيد الدولي تمثل بتسجيل المزيد من المواقع الأثرية على قائمة التراث العالمي مثل مواقع ام الرصاص وموقع عمّاد السيد المسيح ومحمية وادي رم. وعلى صعيد الأنظمة

موظف أثري ملزم بالخدمة في مناطق الجنوب والبترا مدة لاتقل عن سنة واحدة وذلك ضمن جدول زمني محدد، وقد بوشر بتنفيذ ذلك التعميم اعتباراً من ١٩٦٩/١/١. ومع انقضاء عقد الستينيات ابتدأت مرحلة جديدة من حياة دائرة الآثار وسياساتها في الحفاظ على الموروث الأثري.

مرحلة السبعينيات وما بعدها

لقد شهد بداية عقد السبعينيات بداية صعبة بالنسبة للدولة الأردنية ومؤسساتها ومواطنيها، فالدولة كانت تعمل بجد للتعافي من الإنتكاسة التي سببتها حرب ١٩٦٧، كما أن الأوضاع الأمنية التي شهدتها سنوات ١٩٧٠ و ١٩٧١ قد ألقت المزيد على كاهل دائرة الآثار لحماية المواقع الأثرية، والصراع العلمي والقانوني مع الجانب الإسرائيلي، قد القى بظلاله أيضاً على العمل الأثري والبحث والنشر العلمي، فكان تنظيم عمل دائرة الآثار ومراجعة الأنظمة والقوانين الناظمة للعمل الأثري فيها من أولويات دائرة الآثار، فكان أن تم تأسيس نواة قسم التسجيل والتوثيق الأثري في دائرة الآثار سنة ١٩٧١. وفي سنة ١٩٧٦ صدر قانون الآثار رقم ١٢ لسنة ١٩٧٦، والذي كان أهم بنوده هو منع الإتجار والتداول بالآثار واعتباره جرماً يعاقب عليه القانون، ليقوم بإقفال الباب أمام هذا النوع من التجارة التي ألحقت أكبر الضرر بقطاع الآثار، فقبل هذا التاريخ كان الإتجار بالآثار مسموح به بشكل قانوني ويتم إصدار التراخيص الرسمية للأفراد لمزاولة هذا النوع من التجارة، فكانت معظم المحلات المشغلة بهذا النوع من التجارة تتركز في الضفة الغربية وفي مدينة القدس على وجه الخصوص، وكان أشهر أولئك التجار هو خليل اسكندر شاهين المعروف ب (كنود) أما في الشطر الشرقي من الأردن فكان أشهر التجار هو محمود الأفغاني وإخوانه والذين كان نشاطهم التجاري متركزاً في العاصمة عمّان.

أما العمل الأثري فقد سار على وتيرة متزايدة سواءً من قبل البعثات الأجنبية أو من قبل الكوادر المحلية لدائرة الآثار.

- قانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٦٨
- قانون رقم ١٢ لسنة ١٩٧٦ (تضمن منع الإتجار بالآثار)

- قانون رقم ٢١ لسنة ١٩٨٨

لقد تداول على رئاسة دائرة الآثار الأردنية منذ تأسيسها ولغاية هذا التاريخ ثمانية عشر مديراً كان لكل منهم إنجازاته وبصماته الواضحة في مسيرة الدائرة، نوجزهم ضمن الجدول التالي.

لقد كانت هذه إطلالة موجزة على تاريخ دائرة الآثار العامة منذ تأسيسها، ارتأينا أن نشير بها إلى بعض المحطات الهامة في مسيرة الدائرة لتكون بداية لسلسلة من المقالات التفصيلية نطل بها من خلال مشروع جذور.

والقوانين فقد يكون من أهم التعديلات القانونية هو إلغاء البند الذي كان يُجيز قسمة القطع الأثرية بين دائرة الآثار والبعثات الأجنبية.

لقد كان أحد أهم الأهداف الرئيسية للدولة الأردنية منذ تأسيسها لدائرة الآثار، هو حماية الموروث الثقافي على ثرى هذه الأرض وضبط وقوننة العمل الأثري، وتحقيقاً لهذه الغاية فقد تم التعامل وإصدار العديد من الأنظمة والقوانين النازمة للعمل الأثري في الأردن وكان من أهم تلك القوانين :

- قانون آثار فلسطين من سنة ١٩٢٠ ولغاية سنة ١٩٢٥

- قانون الآثار لسنة ١٩٢٥

- قانون رقم ٢٤ لسنة ١٩٣٤

- قانون رقم ٣٣ لسنة ١٩٥٣

الإسم	الفترة من	إلى
الدكتور رضا توفيق	1923 /9	1928 /9/10
توفيق ابو الهدى	1928/9/11	1929/10/16
علاء الدين طوقان	1929/10/17	1931/2/21
أديب الكايد	1931/2/23	1933 /10/17
هاشم خير	1933/10/18	1939/8/9
جيرالد لانكستر هاردنغ	1939	1956 /9/30
د. عبدالكريم غرايبه	1956/10/1	1957/7
سعيد الدرا	1957/8	1959 /5/22
د. عوني خليل الدجاني	1959/5/23	1968
ميخائل جميعان	1968	1968
يعقوب عويس	1968	1971
منصور البطاينة	1971	1972
يعقوب عويس	1972	1977
د. عدنان الحديدي	1977	1988
د. غازي بيشة	1988	1991
د. صفوان التل	1991	1994
د. غازي بيشة	1994	1999
د. فواز الخريشه	1999	2010
د. زياد السعد	2010	2011
د. منذر دهش جمحاوي	2013/9/1	وحتى الآن

مدفن من العصر البرونزي المتأخر في سحم الكفارات (نتائج التنقيب والمعثورات)

*اسماعيل ملحم

Abstract

A Late Bronze, Age Tomb at Sahem AL-Kfarat, Excavations and Finds

A Late Bronze Age Tomb was discovered in 1992 at Sahem Al-kfarat situated north of Irbid city, by a rescue excavation team of Department of Antiquities under direction of Ismaeel Melhem. The Tomb was found in bad condition, the bulldozer had partially destroyed the roof of the cave (Tomb) as a result of bulldozing activities for construction modern school.

The tomb finds than 200, items included a unique collection of locally made artifacts and vessels like: pottery vessels, bronze knives, figurins, scarbs, beads, earring of gold, silver, bronze, buttons of bone, rings of silver bronze and hundreds of flint flake, blades, and skeletal remains were scanty and in bad state of preservation.

Parallels of such these finds dated back to late Bronze Age.

الأغلب -، ومسجد من العصر المملوكي وكلاهما يقع وسط
البلدة القديمة.

زارها الرحالة الألماني (شوماخر) في نهاية القرن التاسع
عشر الميلادي، وتعرض بالذکر لخربتي الحصن والعشة
فيها (Schumacher 1980). كما شملها (سيجفرد متمان)
(Mittman 1970). وشملتها (بثني ولكر) بمسح جزئي عام
٢٠٠٦م (Walker 2007:429-470).

وقامت دائرة الآثار العامة عام ٢٠١١ م بمسح مركز لوادي
كفر لاهيا ومسح جزئي في وادي سحم بإشرافي دل على تواجد
حضاري يمتد من العصر الحجري النحاسي حتى العصر العثماني،
كان من أبرز نتائجه العثور على معالم دير نحتت حجراته في
الصخر الطبيعي ويعود - على الأغلب - إلى القرن الثاني الميلادي
(ملحم وآخرون ٢٠١١: ٤١ - ٥٦).

الموقع والأهمية الأثرية

تقع بلدة " سحم الكفارات " إلى الشمال من مدينة اربد على
بعد حوالي ٢٢ كم، وتقوم هذه البلدة في منطقة زراعية على
جوانب وادي سحم الذي ينتهي بنهر اليرموك، وكذلك على
جوانب مجموعة أودية فرعية أخرى يتواجد بها العديد من
الينابيع مثل عيون: كفر لاهيا، عين السفلى، عين سحم وغيرها،
وتعني كلمة (سحم) لغوياً (الأسود)، أما كلمة (الكفر) فتعني
القرية (الرازي ١٩٨٦: ٥٧٣-٥٧٤، ٢٨٩).

ويتواجد في بلدة سحم وجوارها العديد من المواقع الأثرية
التي يُطلق عليها عادةً (خرب) مثل: كفر لاهيا، الحصن، الدير،
رأس الخور، العشة، كرم النبي، الجبيل، خلّة المسيح وغيرها.
ومن أبرز المعالم الأثرية فيها بقايا برج حجري مستدير يشبه
الأبراج العمونية، ويؤرخ لنهاية العصر البرونزي - على

الذي نشره سنة ١٩٩٧ م لدقتها ووضوحها: (A late Bronze
to Early Iron Age Tomb Sahem, Jordan, 1997).

واشكر الزميلات في مديرية الدراسات: بسمة الزعبي على طباعة
المقالة، وهالة السيوف و نرمين الفايز على اخراج الصور والاشكال .

* أشكر د. محمد وهيب على ما قدمه لي من مساعدة علمية
في بداية الاكتشاف الأثري للمدفن، وأشكر الزميل السابق محمود
الديكي لمشاركته فريق العمل، سيعتمد المقال في معظم صورهِ
و رسوماتهِ التوضيحية على كتاب د. بيتر فيشر عن مدفن سحم

سير العمل والنتائج

تم الكشف عن مدفن سحم الكفارات بطريق الصدفة بتاريخ ١٩٩٢/٦/٢٤ أثناء أعمال تجريف قام بها أحد المقاولين في موقع إنشاء مدرسة حديثة تابعة لوزارة التربية والتعليم محاذية للشارع الرئيسي عند مدخل البلدة الجنوبي وبجوار المقبرة الإسلامية الحديثة في نقاط الإحداثيات التالية:

شمال ٣٢,٦٩٣٦٩
شرق ٣٥,٧٧٨٢٢

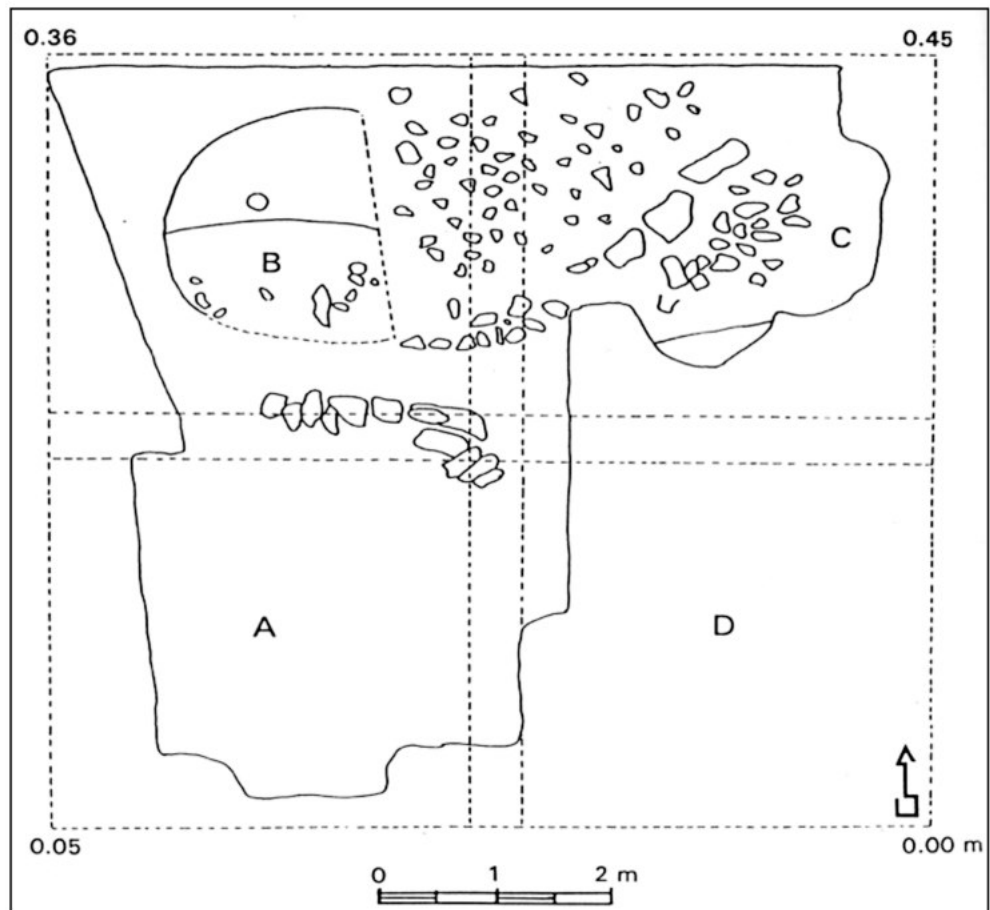
الإرتفاع عن سطح البحر: ٤٠٣ م

ولأهمية هذا الكشف الأثري، أجرت دائرة الآثار العامة من خلال مكتب آثار اربد حفريات إنقاذية في الموقع خلال الفترة من ١٩٩٢/٦/٢٥ إلى ١٩٩٢/٧/١٥م بإشرافي، وبعد معاينة الموقع ورفع الأنقاض التي خلفتها الجرافة في مكان تواجد الكسر الفخارية والعظام البشرية المبعثرة، تبين أن هنالك مدفن جماعي على النمط الذي كان شائعاً في العصور البرونزية منحوتاً في الصخر الطبيعي الجيري، وأن أعمال التجريف قد أضرت بالمدفن بشكل كبير، وحرصاً على تنظيم العمل تم تقسيم

مكان تواجد المدفن إلى أربعة مربعات متجاورة A,B,C,D: بقياس (٤ م × ٤ م) لكل مربع، ويفصل بين كل مربعين فاصل بعرض ٥٠ سم ويأخذ المدفن شكل حرف L بمساحة ٣٤,٥ م^٢ (الشكل ١).

وجد تراكم عشوائي كبير لأواني وقطع فخارية مختلطة بعظام بشرية ولقى أخرى ضمن طبقة بلغت سماكتها (٤٠-٧٠ سم)، وقد كان يغطي هذا التراكم طبقة صخرية جيرية صلبة بسماكة تصل ما بين (٢٠-٣٠ سم)، هي ما تبقى من السقف الذي كان يغطي المقبرة، والذي كان يصل سماكته إلى حوالي مترين، وجرف أثناء عمليات التسوية الإنشائية.

وجدت اللقى الأثرية من فخارية وبرونزية وعظام بشرية متراكمة في المربعين C و B على رصفة حجرية مكونة من حجارة صغيرة ومتوسطة الحجم مختلطة بتربة حمراء اللون، ووجد بين المربعين A و B ما يشبه جدار مكون من صف واحد بطول ٢٤٠ سم، كما نحت في أرضية مربع B قطع صخري نصف دائري الشكل مكون من مستويين، يرتفع أحدهما عن الآخر ٢٠ سم، وكانت تغطيه الرصفة الحجرية، وفوق هذه



١. مخطط كروكي لمدفن سحم.

اسماعيل ملحم: مدفن من العصر البرونزي المتأخر في سحم الكفارات

ومجموعة أساور وخواتم وأقراط برونزية وبعضها من الفضة والذهب، وخرز وأزرار ومراد كحل، كما وجدت أدوات زينة أخرى مثل: قلاند من حجارة معدنية، ووجدت تماثيل فخارية صغيرة لآلهة الخصب ممثلة بامرأة عارية ذات تصميم غير متقن مصنوعة محلياً، وهي تماثيل جميعها تُشير إلى طقوس تعظيم الخصب والتوالد، أما الأواني والقطع الفخارية فهي عديدة الأشكال والأنواع، ضمنها أواني طبخ وأباريق وصحون وزبادي وأسرجة ومطرات وكؤوس وغيرها، وهي جميعاً تُؤرخ إلى العصر البرونزي المتأخر.

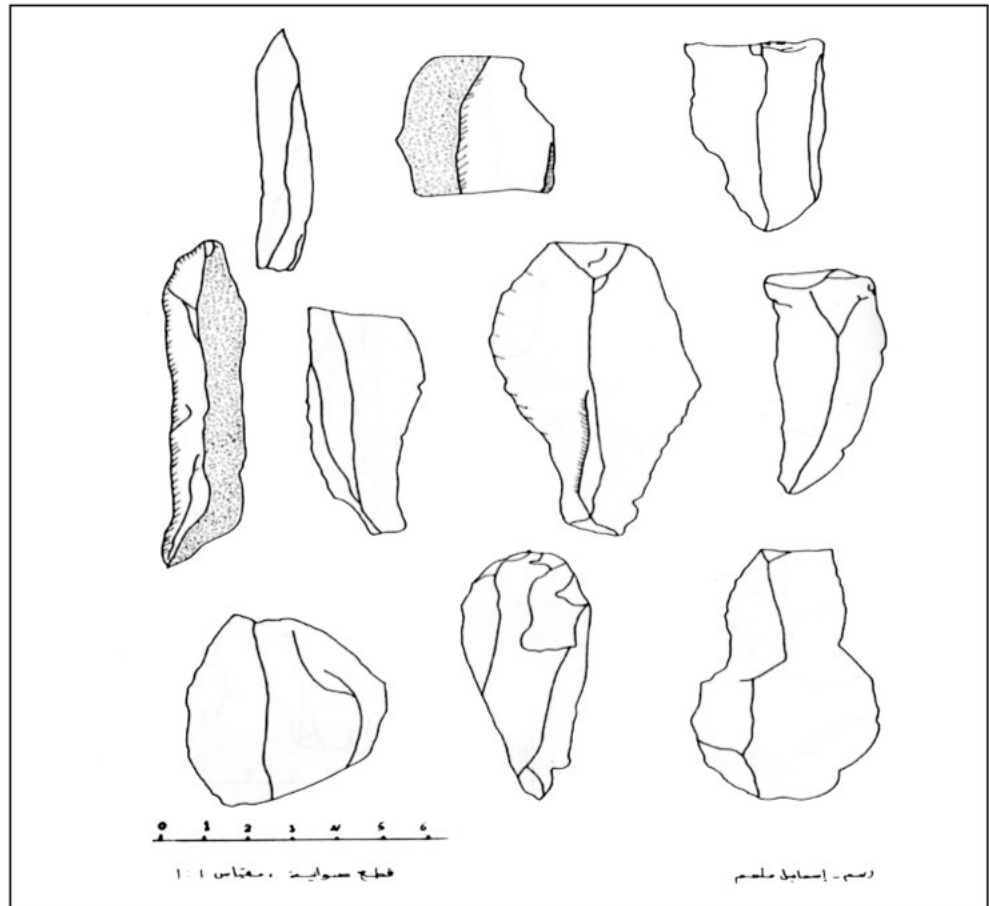
وقد وجد عدة أواني فخارية أثناء أعمال التنقيب أنها قد وضع بداخلها عظام لأطفال، مما يُشير إلى عادة دفن متعمدة، كانت تُمارس في الحقبة الزمنية التي يعود لها المدفن، والعثور على عظام محروقة. كما وجد جُعلان واضحان على النمط الذي ظهر في العصرين البرونزي المتوسط والمتأخر.

كانت معظم العظام البشرية المكتشفة هشّة جداً وغير متماسكة، وكذلك العديد من الأواني والقطع الفخارية كانت هشّة

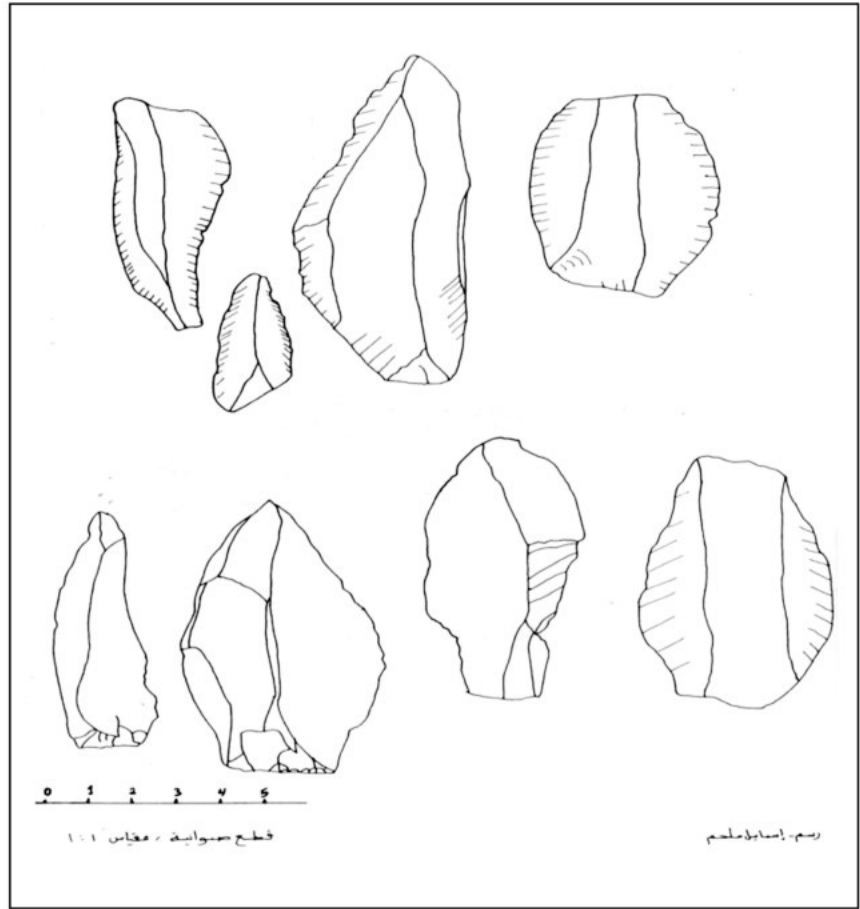
الرصفه في الجزء الشرقي من هذا المربع فقد وضعت مئات القطع الصوانية من نوى وشظايا ونصلات ومقاشط وقطع جاهزة للتصنيع يعلوها طبقة من الكسر الفخارية والعظام البشرية، مما يشير إلى عمل مقصود في عادات الدفن (الأشكال ٤،٣،٢).

أما المربع C فإن فيه امتداداً للرصفة الحجرية، كما عُثر فيه على عدة حجارة كبيرة، يبدو أنها قد وضعت عشوائياً بشكلٍ ناتج عن انهيار وفي الجانب الجنوبي من هذا المربع عُثر على جمجمة بشرية هشّة وضع فوقها حجر مسطح، وبالقرب منه وجدت عظام لساعد يد عليه إسوارتين من البرونز وخاتم، وبالقرب من جمجمة بشرية وجد تمثال صغير من الحجر يمثل امرأة، مما يشير إلى أن الهيكل كان لامرأة، يبدو أن الهيكل كان مكتملاً إلا أن أجزاءه قد فصلت عن بعضها.

وقد وجدت مع العظام العديد من الأدوات البرونزية مثل خناجر وسكاكين كان لبعضها مقابض عظمية هشّة جداً، لم تحتفظ بتكوينها، وسرعان ما تلفت، كما وجد صحن برونزي



٢. قطع صوانية مشغولة مكتشفة في أرضية مدفن سحم.



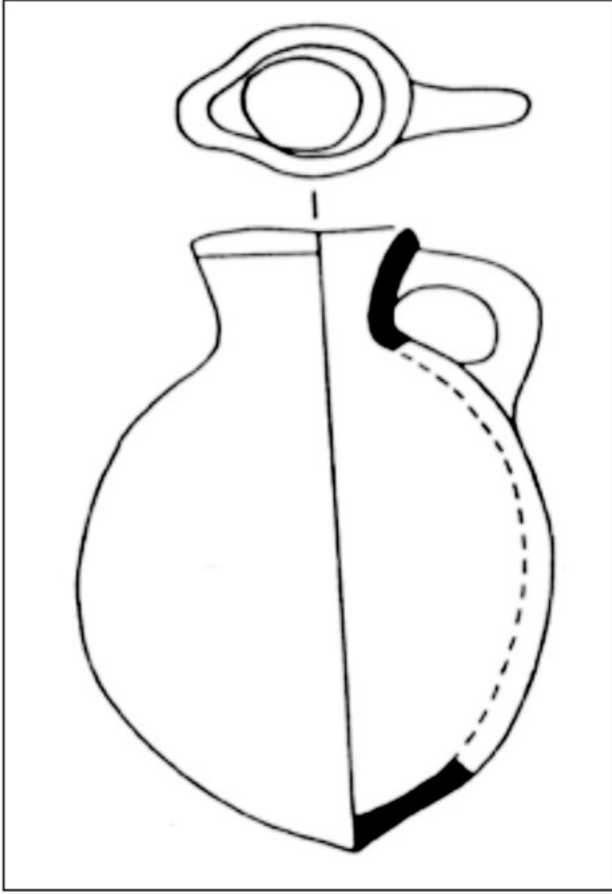
٣. قطع صوانية مشغولة مكتشفة في أرضية مدفن سحم.



٤. مجموعة من المعثورات الفخارية في مدفن سحم الكفارات، (نقلًا عن Fischer 1997, pl.1).

من المدفن سليمة وتم نقلها وغسلها ودراسة نماذج منها. إن الوضع العشوائي لتراكم أكوام العظام والفخار والمرفقات الجزئية ووجود دلائل على انهيارات داخل المدفن يشير إلى أن البعثة والفوضى في وضع القطع والعظام ربما كان ناتجاً عن

أيضاً، والتي يبدو أنها كانت محلية الصنع، بحيث صنعت من طينة صلصالية غير نقية، وحرقت بدرجات حرارية قليلة مما جعلها عرضة للتلف والتشقق نتيجة الرطوبة والضغط القوي عليها، ومع ذلك فقد نجت عشرات القطع التي أمكن استخراجها



٥. ابريق فخاري بيد واحدة نقلا عن (Fischer 1997, Fig.12/4).

الحرق: غير جيد، اللون: بني فاتح جداً ويطغى على السطح لون الحبيبات الجيرية البيضاء.
الصناعة: بالدولاب.
التأريخ: برونزي متأخر، له شبه في فخار مجدو (Amiran 149 : 1969) (الشكل ٥).

١- أبريق

أبريق صغير الحجم ارتفاعه ٢٠ سم، جسمه منتفخ، له يدين ركبنا في الجسم العلوي.

القاعدة: مستديرة ومنبسطة.

العجينة: غير نقية وتختلط بحبيبات من الصوان والجير الأبيض، وعلى وسط الجسم بقايا لأثر خطوط ملونة معرضة للتآكل. الجسم خشن الملمس وبه نتوءات، الفوهة معرضة للكسر، اللون: بيح. الصناعة: بالدولاب.

التأريخ: برونزي متأخر، هذا الإبريق له شبه في تل أبو الخرز (Fischer 1995:93-119, fig.9.4)، (الشكل ٦).

انهيار سقف المدفن منذ فترة زمنية طويلة نتيجة ضغوط قوية، ربما كانت ناتجة عن تأثير الحركات الزلزالية التي تعاقبت على المنطقة.

ومثل هذا الوضع يصعب معه تحديد مدخل المدفن، مع احتمال أنه كان له مدخل رأسي منحوت يؤدي إلى داخل المدفن. بعد انتهاء عمليات التنقيب والتنظيف تبين أن الشكل العام للمدفن بأخذ شكل حرف (L).

تأريخ المدفن

إن وجود عشرات الأواني والقطع الفخارية والبرونزية والصوانية والفضية والذهبية والمرفات الجنزوية الأخرى المرافقة للعظام البشرية في هذا المدفن يُشير إلى عادات الدفن التي شاعت لدى سكان هذه المنطقة وعاداتهم الدينية وصناعاتهم المحلية في فترات العصور البرونزية، وتتشابه السمات العامة لمدفن سحم وموجوداته مع مدافن العصر البرونزي المتأخر (١٥٥٠ - ١٢٠٠ ق.م)، حيث استمرت عادة الدفن الجماعي في مدافن منحوتة في الصخر أو في مدافن جماعية مجهزة في التلال كما هو الحال في مدافن: أريحا، أبو شوشه، طبقة فحل، البقعة، قويلبة، تل السعيدية، وكتارة السمرا، والحصن، وغيرها، وبعض هذه المدافن أُعيد استخدامه من عصور متلاحقة كما هو الحال في أريحا. وقد وُجد في العديد من هذه المقابر قطع فخارية ومعنوية مصنعة ومستوردة من بلاد حوض البحر المتوسط مثل قبرص ومسينيا ومصر، مما يُقيم دليلاً على وجود علاقات تجارية بعيدة لسكان المنطقة مع الدول المجاورة (ابراهيم ١٩٨٢)، و (Kenyon 1960)، و (Smith 1979)، ويُلاحظ أن كامل القطع الفخارية التي عُثر عليها في مدفن سحم أنها صناعة محلية.

فيما يلي دراسة تفصيلية ومقارنة لعدد من المرفقات الجنزوية التي تم استخراجها من مدفن سحم:

أولاً : الفخار

أبريق

أبريق صغير ارتفاعه ١٤ سم له يد متصلة بالفوهة والجسم وله صباغة في فوهته، قاعدته مدببة.

العجينة: غير نقية ومختلطة بحبيبات جيرية بيضاء وحبيبات من الصوان، ويتواجد على السطح العديد من البثور الطولية والحبيبية التي يدل وجودها على وجود سابق لقس.

صغيرة من الصوان والرمل الجيري. توجد على الجسم آثار لخطوط دائرية ملونة متداخلة باللون البني الغامق. الصناعة: بالدولاب.

التأريخ: برونزي متأخر، لها شبه في موقع (تل الدوير) (لاخيش) (Amiran 1969:160) (الشكل ٩: أ و ب).

٥- وعاء صغير

وعاء صغير بارتفاع ٨,٥ سم له فوهة دائرية ويدين جانبيتين في وسط كل منهما ثقب للتعليق. العجينة: غير نقية وتختلط بحبيبات جيرية وصوانية. وتوجد على جسم الإناء آثار نتوءات - على الأغلب - أنها آثار لوجود سابق لقص أو شعر. اللون: بيج فاتح، درجة الحرق: متوسطة، القاعدة: منبسطة، الصناعة: بالدولاب.

التأريخ: برونزي متأخر، له شبه في لاخيش (تل الدوير) (الشكل ١٠: أ و ب). (Amiran 1969:184-185)

٦- آنية القرين

آنية ذو فوهة دائرية غائرة متسعة عليها حز خارجي، والقاعدة: دائرية منبسطة يرتفع جسمها ليتصل بقعر الفوهة. العجينة: غير نقية تختلط بحبيبات جيرية وصوانية. اللون: بني محمر فاتح. الصناعة: بالدولاب. التأريخ: برونزي متأخر، له شبه في القدح (حاتسور) (Amiran 1969:130-131)، (الشكل ١١: أ و ب).

٧- سراج

سراج طوله ١٦ سم، مفتوح له مقدمة مضغوطة لموضع الفتيلة، جسمه دائري، عليه آثار تحزيز الدولاب. العجينة: غير نقية وتختلط فيها حبيبات من الصوان والجير. اللون: بيج، الصناعة: بالدولاب. التأريخ: برونزي متأخر، له شبه في كل المتعلم (مجدو) وتل أبو الخرز. (Amiran 1969:188-189, Ficher 1992:3) (الشكل ١٢: أ و ب).

٨- زبدية فخارية

زبدية صغيرة الحجم، القاعدة منبسطة، لون العجينة بني محمر فاتح، تختلط العجينة بحبيبات من الصوان والجير، درجة الحرق متوسطة، الصناعة: بالدولاب. (الشكل ١٣).



٦. أبريق فخاري مزخرف بيدين نقلًا عن (Fischer 1997, Fig.11/6).

٢- أبريق

أبريق ارتفاعه ١٩,٢ سم، جسمه منتفخ، له يدين تصلان العنق بالجسم. القاعدة: دائرية منبسطة، الفوهة: دائرية متسعة، على الجسم والعنق آثار لخطوط بلون بني غامق، العجينة: مختلطة بحبيبات صوانية ورملية، اللون: برتقالي فاتح. الصناعة: بالدولاب.

التأريخ: برونزي متأخر، له شبه في (تل الدوير) (لاخيش) (Amiran 1969:157) (الشكل ٧: أ و ب).

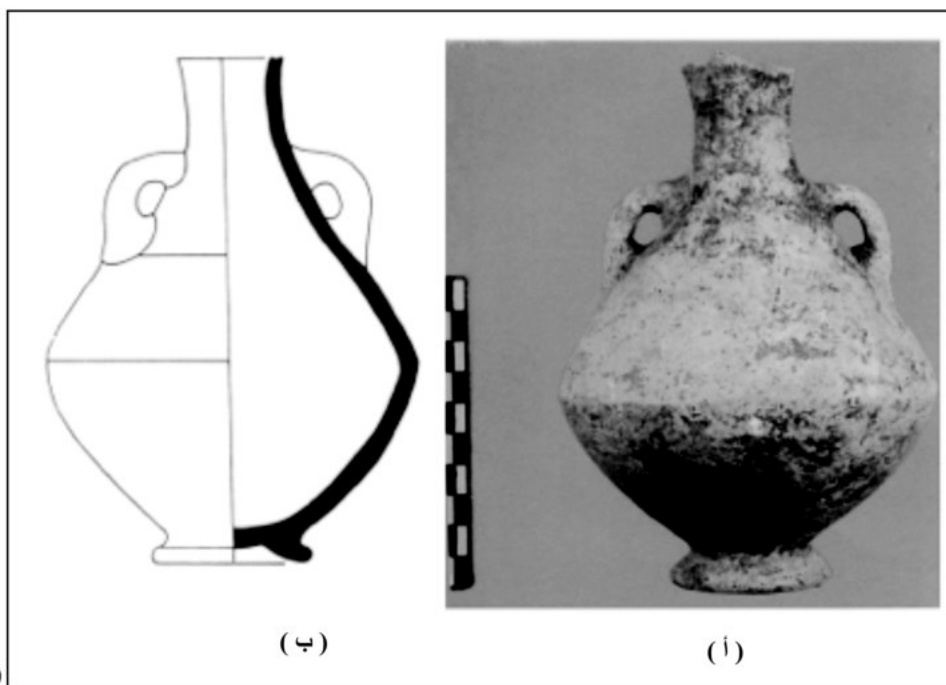
٣- مطرة

مطرة بارتفاع ١٥,٩ سم، لها يد واحدة تصل الفوهة بجسم المطرة، جسمها كروي، ويتضح عليه بقايا لخطوط ملونة دائرية ومتداخلة. فوهة المطرة: دائرية الشكل. العجينة: غير نقية مختلطة بذرات جيرية بيضاء. اللون: بني فاتح. الصناعة: بالدولاب.

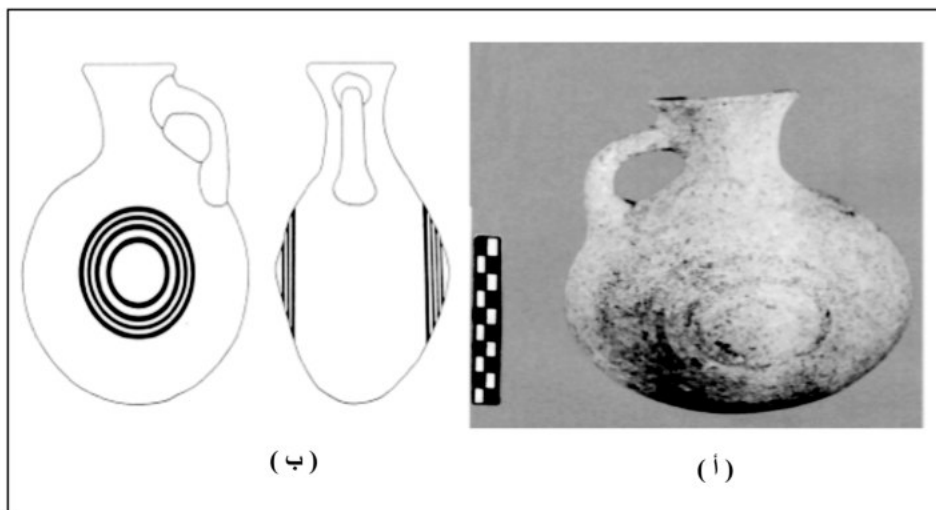
التأريخ: برونزي متأخر. هذه المطرة لها شبه في تل السعيدية / الأغوار الشمالية (Pritchard 1980, fig.14.4) (الشكل ٨: أ و ب).

٤- مطرة

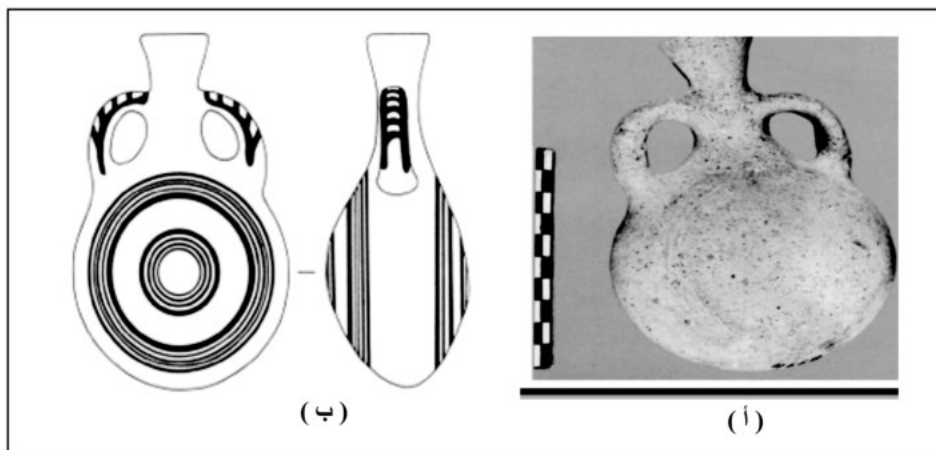
مطرة بارتفاع ١٧ سم، جسمها كروي، ولها يدين تتصلان بالجسم. الفوهة: دائرية الشكل، العجينة: غير نقية تختلط بحبيبات



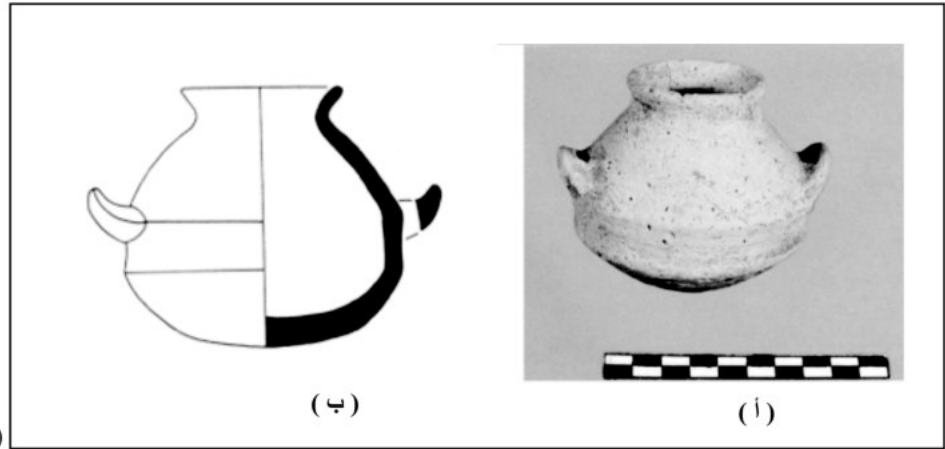
٧. ابريق فخاري بيدين.
(نقلًا عن Fischer 1997, Fig.11/1, pl.14).



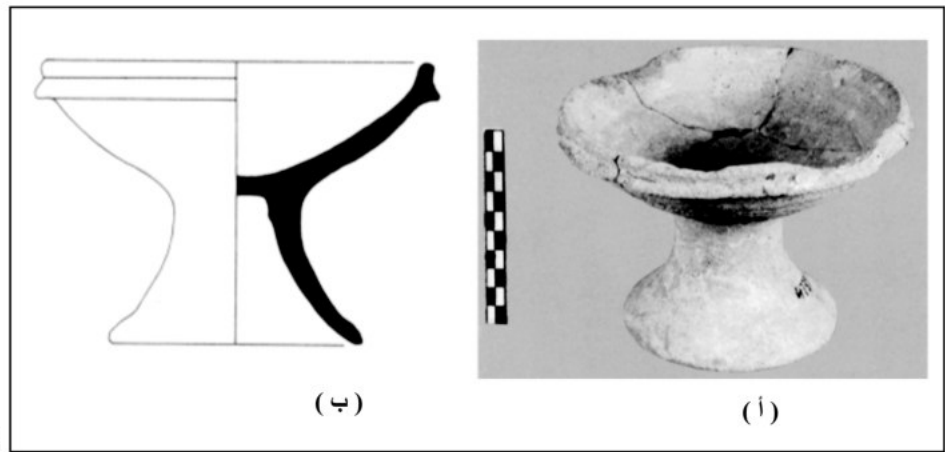
٨. مطرة فخارية بيد واحدة مزخرفة.
(نقلًا عن Fischer 1997, Fig.14/1, pl.19).



٩. مطرة فخارية بيدين مزخرفة.
(نقلًا عن Fischer 1997, Fig.15/1, pl.20).



١٠ . وعاء فخاري صغير بيدين.
(نقلًا عن Fischer 1997 ,Fig.16/3,pl.22).



١١ . أنية قربان فخارية.
(نقلًا عن Fischer 1997 ,Fig.7 /1,pl.8).

١٠- أنية طبخ

أنية طبخ ذات فوهة دائرية متسعة، لها يدين تصلان الفوهة بالجسم، القاعدة: دائرية مسطحة، درجة الحرق: متوسطة، العجينة: غير نقية بها حبيبات رملية بيضاء وصوانية. الصناعة: بالدولاب، التاريخ: برونزي متأخر. لها شبهة في مدفن في مادبا (Harding 1953,fig.14.55)(الشكل ١٤).

ثانياً : الجعلان

١. جعلان صغير من الخزف ذو لون أبيض مصفر، عليه شكل طائر (صقر) ذو جناحين منبسطين ومخالب، رأس الطائر يتجه نحو اليسار، ويوجد على ظهر الجعلان سلك فضي له شبهة في تل العجول / غزة (١٥٥٠- ١٤٨٠ ق.م) (: Negbi 1970 25- 36) (الشكل ١٥: أ و ب).

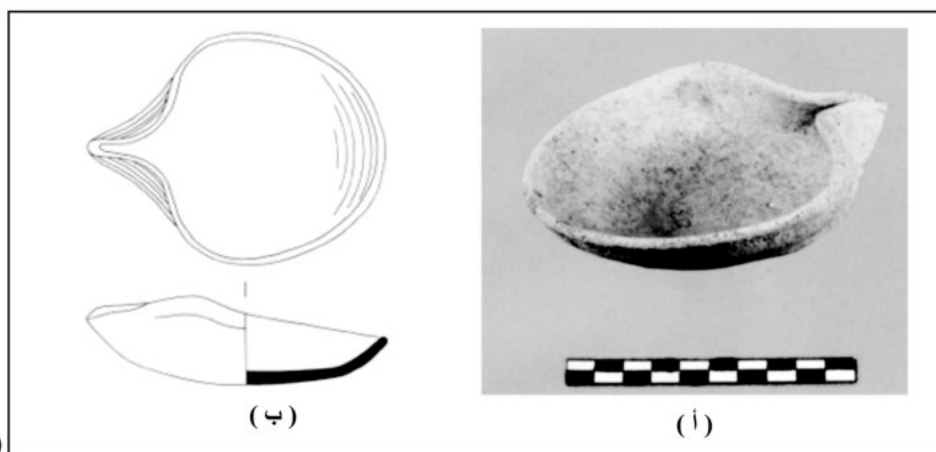
٢. جعلان صغير من الخزف ذو لون أبيض مصفر عليه عدد من الأحرف الهيروغليفية (٦ أحرف) وهو من طراز

الجعلان من العصر البرونزي المتوسط الذي كان للدولة المصرية القديمة فيه السيطرة على المنطقة. له شبهة في تل العجول/غزة. (Petrie 1934,PL.VII.193,PL.VI)، وهذا مؤشر أيضاً على أن هذا الجعلان هو الآخر متوارث من العصر البرونزي المتوسط (الشكل: ١٦ أ و ب).

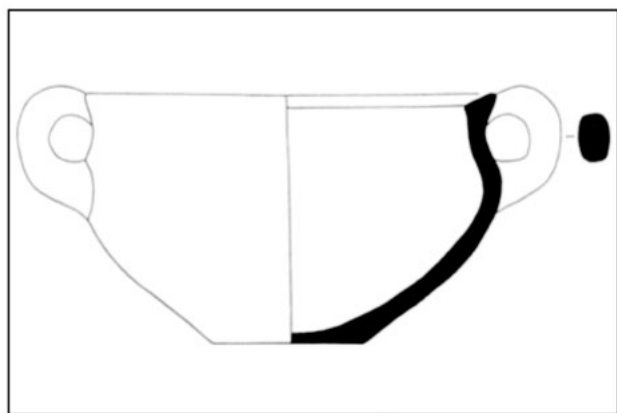
ثالثاً : التماثيل

١. تمثال فخاري صغير لثور طوله ١٣ سم، القرنان والأرجل مفقودة، وله ذيل وفي ظهره فتحة دائرية، وعلى جسمه أثر بقايا طلاء أحمر عجينة: خشنة وشبهها متوسط، وكان الثور يمثل أحد أبرز رموز الخصب في الطقوس الدينية في مرحلة العصر البرونزي المتأخر، ومن الأمثلة المقارنة لهذا التمثال ما وجد في عمان (Harding et al.1953,P1.2.105) (الشكل ١٧).

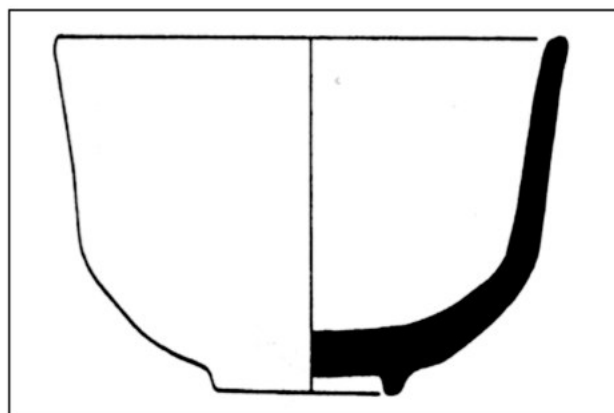
٢. تمثال صغير من الحجر الجيري بارتفاع ١٨ سم يمثل امرأة



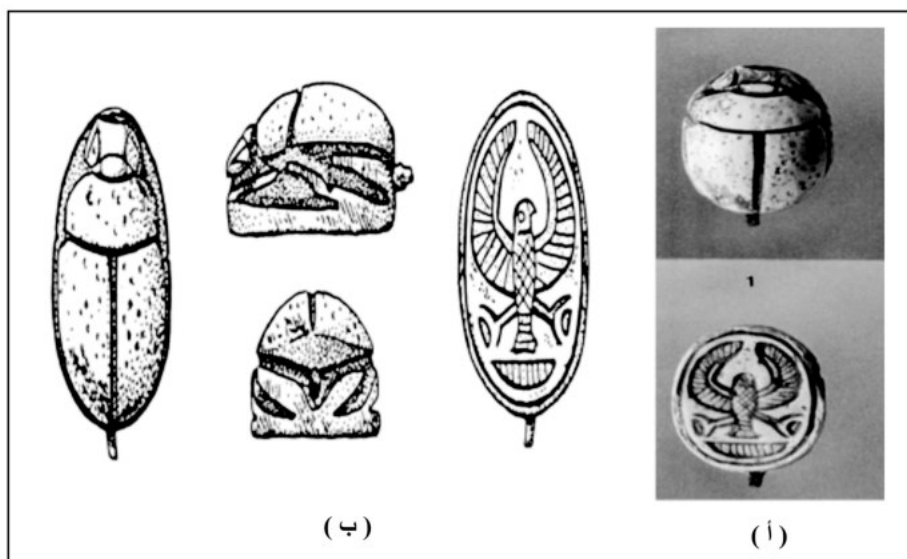
١٢. سراج فخاري مفتوح.
(نقلًا عن Fischer 1997, Fig.19 /2, pl.29).



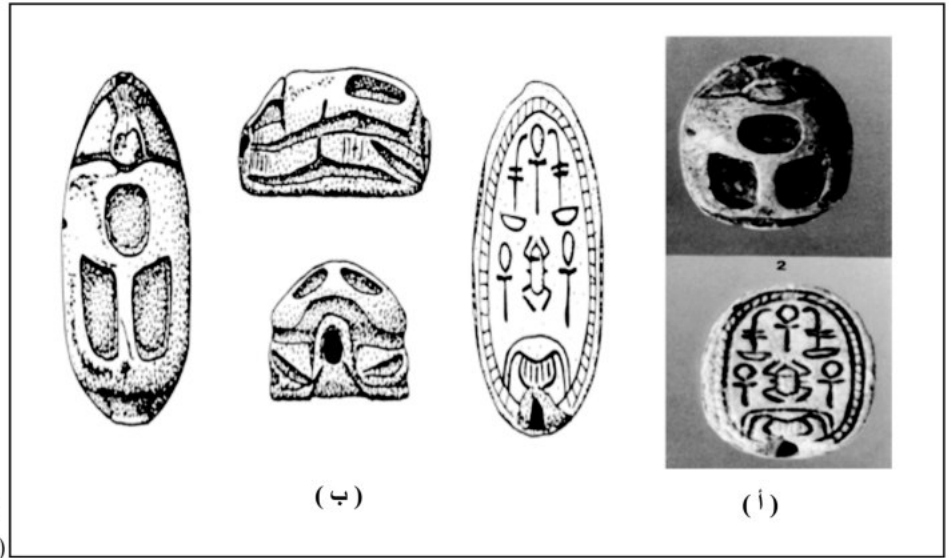
١٤. أنية طبخ فخارية، (نقلًا عن Fischer 1997, Fig.8 /1).



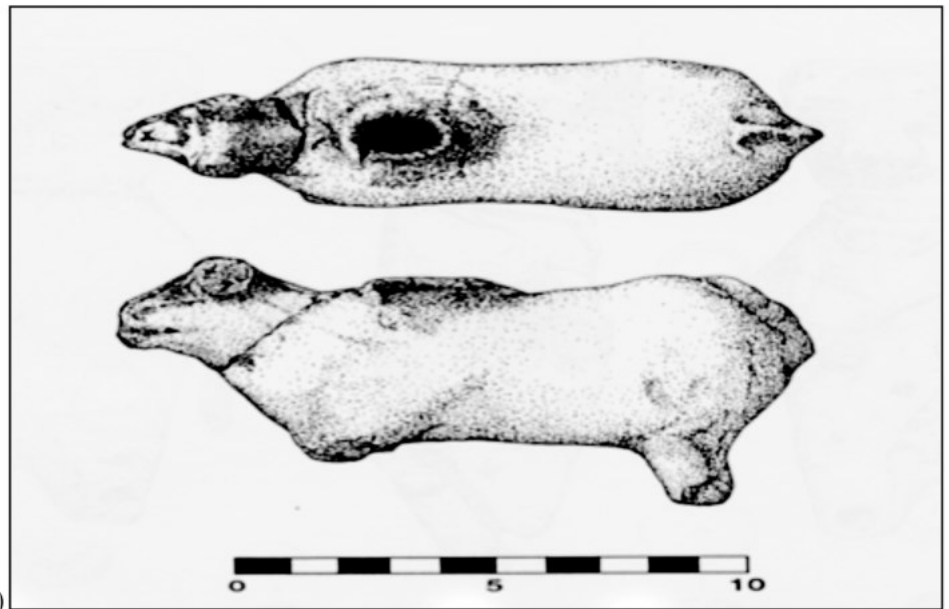
١٣. زبدية فخارية، (نقلًا عن Fischer 1997, Fig.6 /2).



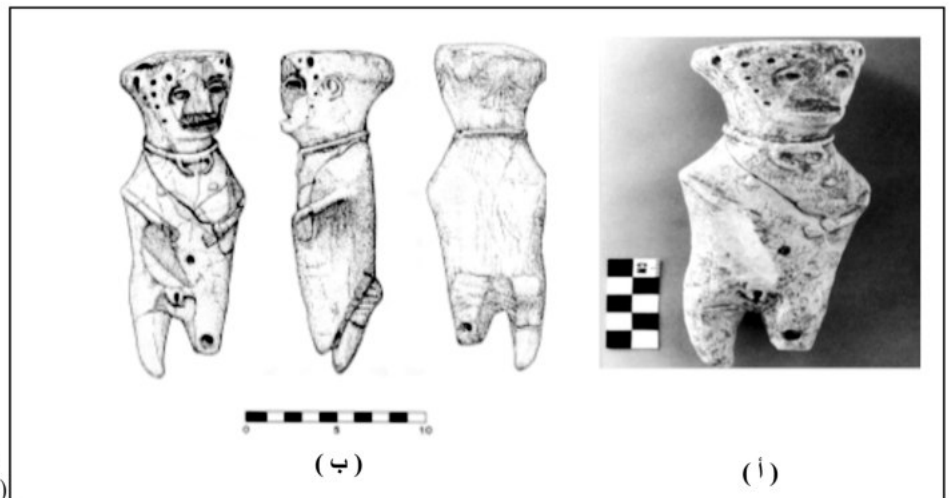
١٥. جعلان من الخزف عليه شكل صقر.
(نقلًا عن Fischer 1997, Fig.34 /2, pl.56/1).



١٦. جعلان من الخزف عليه أحرف هيروغليفية.
(نقلًا عن Fischer 1997, Fig.34 /1, pl.56/2).



١٧. تمثال فخاري صغير لثور.
(نقلًا عن Fischer 1997, Fig.24).



١٨. تمثال من الحجر الجيري لإمراة.
(نقلًا عن Fischer 1997, Fig.25, pl.34).

اسماعيل ملحم: مدفن من العصر البرونزي المتأخر في سحم الكفارات

تضع يدها على أسفل صدرها، وشعرها مفروق ويتدلّى إلى الأسفل، ولها عنق طويل وتبدو ملامح العينين والأنف والفم واضحة، وكذلك ثدييها، أما ساقاها فهما مضمومان. درجة شيّ الفخار متوسطة، ويأخذ لوناً بنياً خفيف الاحمرار. ويلاحظ على وجه تمثال المرأة أنها متجهمة ولها بطن منتفخ يدل على الحمل، ويمثّل هذا التمثال رمزاً للخصب والتوالد (الشكل ١٩).

٤. تمثال فخاري صغير بارتفاع ١٣ سم، ويمثّل امرأة عارية ترفع يديها ممسكة بأطراف شعرها المفروق، ولها عنق متوسط الطول، وتبدو ملامح وجهها واضحة مع ابتسامة خفيفة في فمها، كما ويتضح ثدييها، وجسمها النحيل، بينما بطنها بارز قليلاً في إشارة إلى بداية حمل، كما أن الساقين منفرجان عن بعضهما. شيّ الفخار: متوسط، وهو ذو لون بني خفيف الاحمرار، ويمثّل هذا التمثال رمزاً آخر من رموز الخصب والتوالد الذي يمثّل الحمل أحد أشكاله (الشكل ٢٠).

إن التمثالين السابقين رقم (٤) و(٣) المكتشفان في سحم لهما شبه قريب في تل الدوير (لاخيش) قبر رقم (٢١٦) ويافا القديمة A وتل اربد. (Tunfell 1958 IV, Kaplan 1976:432-541).

رابعاً : الأدوات البرونزية

١. سكين برونزي طوله ٢٨,٩ سم له مقبض يد مكون، وكان عليها مقبض عظمي هش سرعان ما تلف أثناء التنقيب (الشكل ٢١ : ٢).

٢. خنجر برونزي طوله ٢٥,٣ سم، كان له مقبض عظمي هش سرعان ما تلف أثناء التنقيب (الشكل ٢١ : ٦).

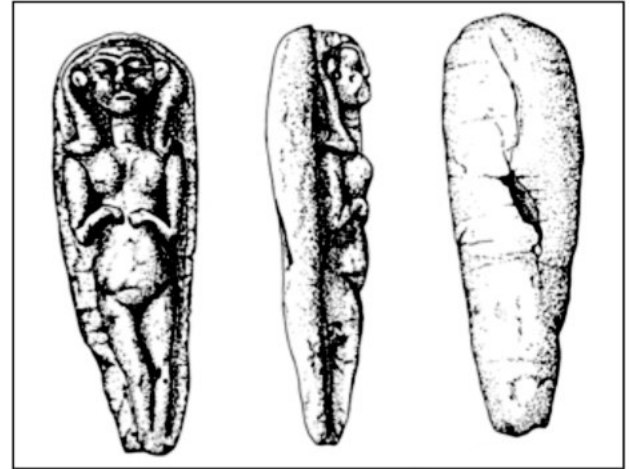
خامساً : المجوهرات

١. حلق ذهبي ذو طوقٍ منتفح (الشكل ٢٢ : ٣).
٢. حلق فضي هلامي الشكل (الشكل ٢٢ : ٢).
٣. حلق من البرونزي ذو طوقٍ منتفح. (الشكل ٢٢ : ١ و ٢ و ٧).
٤. خاتم من البرونز (الشكل ٢٢٣ : ١ و ٣ و ٤ و ٥).
٥. خاتم من الفضة (الشكل ٢٣ : ٢).
٦. قلادة من حجر معدني أخضر مصقول (يسمى حجر الحية) (الشكل ٢٤).
٧. قلادة من حديد الهميتايت المصقول مع حلقة من البرونز (الشكل ٢٥).

عارية واقفة، ورأسها كبير مفلطح فيه عدد من الثقوب المملوءة بالطلاء الأسود التي ربما كان مثبتاً عليها غطاء الرأس. وزينت رقبة التمثال بشكل قلادة، وتم إظهار اليدين بشكل مشوه، موضوعتين على البطن، فيما ظهرت الصرة والفرج، أما الرجلين فالجزء السفلي منهما (القدمين) مفقودان، ويظهر ثقب في الرجل اليسرى، ويوجد على الجسم طلاء بني محمر. ويمثّل هذا التمثال على الأغلب أحد رموز الخصب والتوالد في الطقوس الدينية في العصر البرونزي المتأخر.

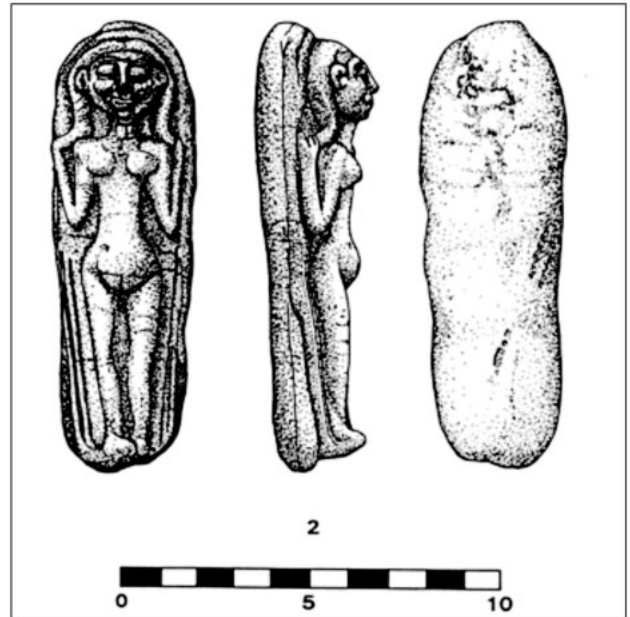
(الشكل ١٨ : أ و ب).

٣. تمثال فخاري صغير بارتفاع ١١,٤ سم ويمثّل امرأة عارية



١٩. تمثال فخاري لامرأة حامل.

(نقلاً عن Fischer 1997, Fig.23/1).

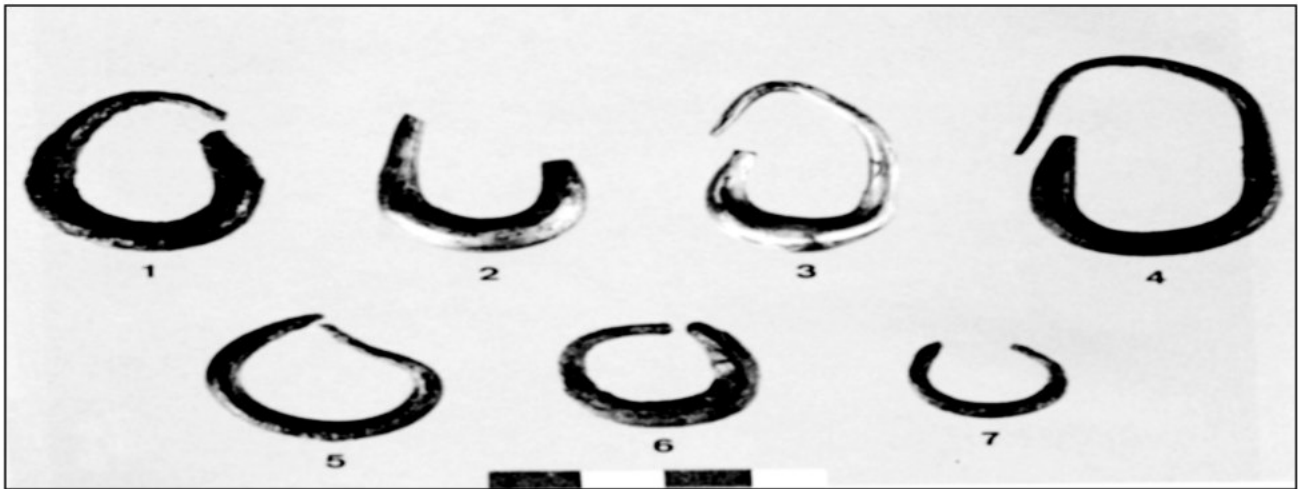


٢٠. تمثال فخاري لامرأة في بداية الحمل.

(نقلاً عن Fischer 1997, Fig.23/2).



٢١. خناجر ، سكاكين ، رؤوس سهام برونزية / سكين رقم ٢ له مقبض معكوف ، وخنجر رقم ٦ كان له مقبض عظمي، (نقلًا عن Fischer 1997, pl.39).



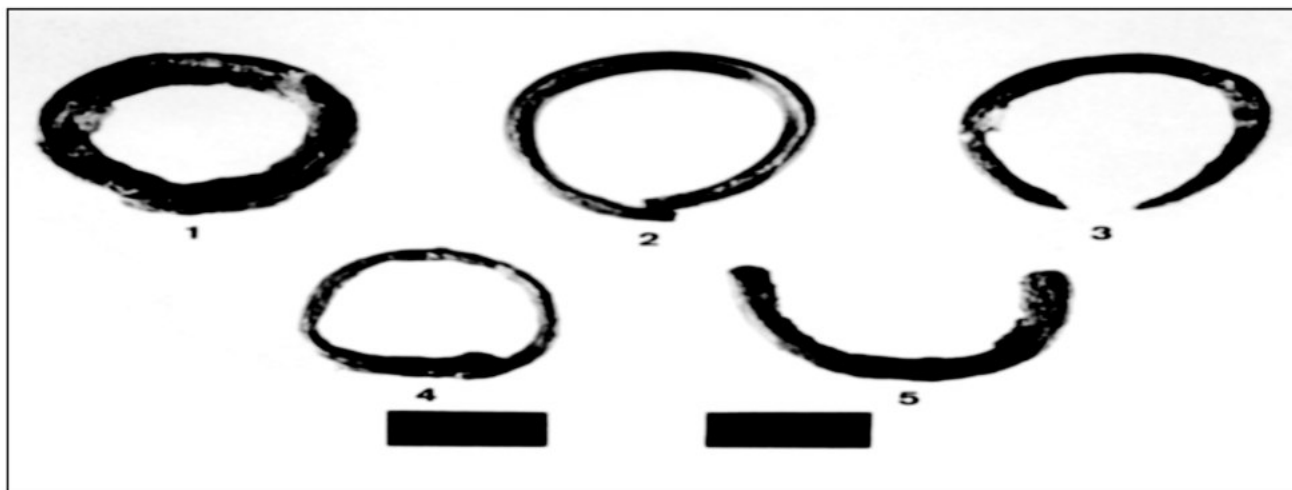
٢٢. حلق اذن منتفخ ذهبي رقم ٣ ، حلق فضي هلامي رقم ٢ ، حلق برونزي منتفخ رقم (١، ٤-٧)، (نقلًا عن Fischer 1997, pl.41).

استنتاج

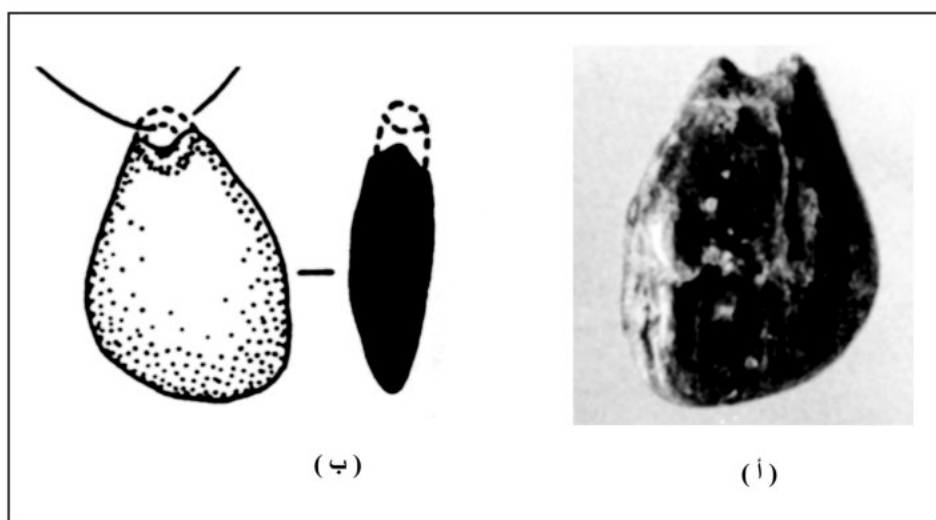
قدم المدفن المكتشف في بلدة سحم الكفارات دليلاً آخر على حضورٍ مميزٍ لمرحلة العصر البرونزي المتأخر في شمال الأردن، وعلى عناية السكان المحليين في هذا العصر

سادساً: القطع الصوانية

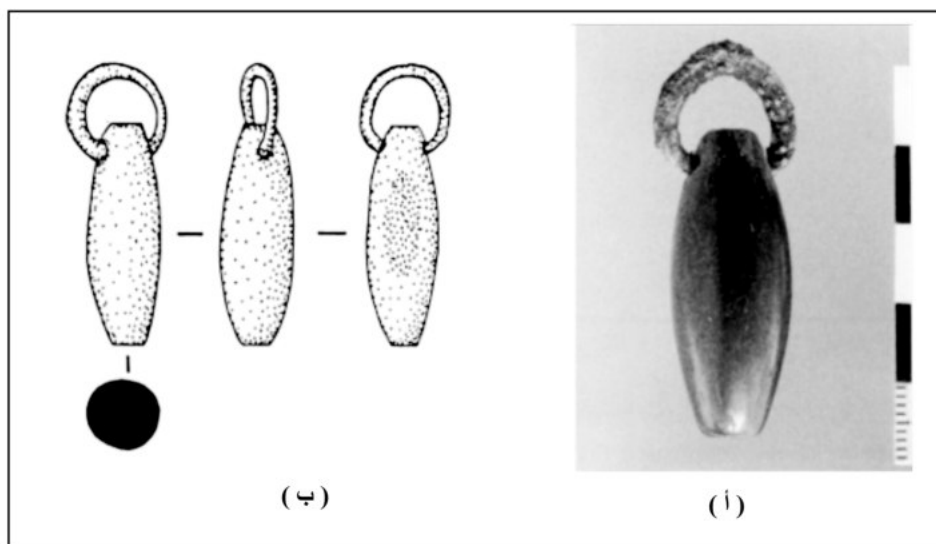
تمثل القطع الصوانية المكتشفة في أرضية المدفن وصلات وشفرات ومقاشط وقطع جاهزة للتصنيع كرؤوس حربات (الشكل ٢ و ٣).



٢٣ . خواتم معدنية / رقم : ١,٢,٣,٤,٥ خواتم برونزية ، رقم ٢: خاتم فضي، (نقلًا عن Fischer 1997 ,pl.44).



٢٤ . قلادة من حجر معدني أخضر مصقول (حجر الحية)، (نقلًا عن Fischer 1997,fig.26/6 ,pl.36/3).



٢٥ . قلادة من حديد الهيماتيت المصقول مع حلقة برونزية، (نقلًا عن Fischer 1997 ,Fig . 26,pl.37).

Bibliography

- Amiran, Ruth
1969 **Ancient Pottery of the Holy Land.**
Fischer, Peter
1991 Tell Abu Al-kharaz the Swedish Jordan Expedition 1989, First season preliminary Report from Trial soundings. *ADAJ* XXXV : 67-134
1995 Tell Abu -AL-KHARAZ. *ADAJ* 39:93-119.
1997 *A late Bronze to Early Iron Age Tomb at Saham, Jordan.* Harrassowitz verlog, Wiesbaden.
Harding , L.
1953 An Early Iron Age Tomb at Madaba , *Palestine Exploration fund Annual* 6: 27-48.
Haya and Kaplan ,J.
1976 Jaffa, *Encyclopedia of Archaeological Excavation in the Holly Land* :Pp (532 – 542).
Kenyon,k.
1960 *Archaeology in the Holly Land* .London.
Negbi,O.
1970 The Hoards of Goldwork from Tell el- “Ajjul”, *Studies in Mediterranean. Archaeology* 25,Gotelorg.
Petrie, W.M.F
1934 Ancient Gazal IV, Tell el-Ajjul, *British School of Archaeology in Egypt* 56; London.
Pritchard , J.B.
1980 *The Cemetery Tell es-Saidiyeh, Jordan. Philadelphia.*
Smith, R.
1973 *Pella of the Decapolis, vol. I. The Colloge of Wooster.*
Tufnell, Olga
1958 *Lachish IV.* Oxford University Press. Lond

بتكريم الموتى المدفونين، ووضع المرفقات الجنائزية معهم وما رافق ذلك من عادات دفن منها حرق بعض الجثث ووضعها في الجرار، وارتداء الموتى من النساء جزءاً من حليهن وزينتهن، وإرفاق جزءٍ من العتاد الحربي للرجال المتمثل بالخنجر ورؤوس الرماح، إضافة إلى الأختام. وكذلك إعطاء النساء الأمهات تكريماً واهتماماً آخر بإرفاق التماثيل الدالة على الخصوبة والتوالد، ورغم أن معظم الصناعات للأدوات والأواني الفخارية المتنوعة كانت صناعة محلية، إلا أنها تكشف عن نشاط تصنيعي في منطقة سحم الكفارات، وهذا يستحثنا إلى مزيد من الحفريات الأثرية لتوسيع نطاق الكشف الأثري. ومن الجدير بالملاحظة أن مدفن سحم بالغالب هو مدفن عائلي تم الدفن فيه عبر سنوات طويلة ربما تصل إلى فترة تقدر من نصف قرن إلى قرن، وهذا ما يفسر التنوع الكبير في الأواني الفخارية، كما أن طراز الأختام بما يحمله من تأثيرات مصرية ترجع إلى العصر البرونزي المتوسط يدل على أن مثل هذه الأختام ربما كانت تنتقل من الآباء إلى الأبناء بالتسلسل. إن مجتمع سحم في تلك الحقبة كان فيما يبدو مجتمعاً زراعياً مزدهراً، ويُقدس آلهة الخصب والتوالد (عشتار)، كما أن استخدام الذهب في بعض الأدوات كالحلق والخواتم يدل على الغنى الذي كان عليه المدفونين.

المراجع

- ابراهيم، معاوية
1982 *المدافن في الشرق القديم.* المؤتمر العاشر للآثار في البلاد العربية، جامعة الدول العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الجزائر.
الرازي، محمد بن أبي بكر
1986 *مختار الصحاح*، مكتبة لبنان، بيروت.
ملحم، اسماعيل
1992 *حفريات سحم الكفارات / المقبرة، تقرير أولي غير منشور*، أرشيف دائرة الآثار العامة، عمان .

كنيسة قرمل

رافع حراحشه^١ و لورين أبو عزيزة

الإكتشاف

لسقاية المزروعات وللإستخدام المنزلي. وعلى بعد ١ كم شمال قرمل، تقع قرية النبي هود على قمة مرتفع، وسميت القرية بهذا الاسم لوجود مقام للنبي هود والذي بني عليه مسجد لاحقاً، وكان يزوره كثيرٌ من الناس سابقاً؛ للتبرك، والإستشفاء من الأمراض، والمكان بمجمله شهد استقراراً سكنياً في الفترتين الرومانية والبيزنطية. ويوجد في طرف وادي الرشايدة من الجنوب موقع خربة التنور الأثري ويؤرخ إلى الفترات الرومانية، والبيزنطية، والإسلامية ومن المعالم الموجودة فيه كنيسة.

المسح الأثري

تقع الكنيسة ضمن موقع أثري يحتوي على عددٍ من المعالم الأثرية الظاهرة على السطح، وقد تعرض الموقع لكل لعمليات تجريف للجدران الأثرية نتيجة الإستصلاح الزراعي، وأعيد استخدام حجارة الموقع لبناء جدران استنادية بمساحة حوالي خمس دونمات، التي هي مساحة الموقع الأثري تقريباً. ففي الجزء الغربي منه، يوجد العديد من المدافن المنحوتة في الصخر، فتحت في فترات سابقة حديثاً، بالإضافة إلى عدد من آبار وخزانات المياه، ومقالع الحجر. وإلى الشمال من الكنيسة، وعلى مساحة ١٠٠ متر مربع، يلاحظ امتدادات لجدران أثرية من الحجر المشذب، تأثرت كثيراً بفعل التجريف المتعمد، كما يوجد حجارة قناطر، وأقبية، تم هدمها، وأجزاء من تاجيات وأعمده،

جاء اكتشاف موقع كنيسة قرمل بالصدفة وعلى إثر اخبارية وردت لمديرية آثار جرش ففي صباح يوم السبت الموافق ٢٠١٣/٤/٢٠ اتصل أحد المواطنين بمدير آثار جرش، يبلغه بوجود بعض الباحثين عن الدفائن والآثار في مكان يدعى قرمل، ويعتقد أنهم عثروا على أرضية فسيفسائية، وقد قامت مديرية آثار جرش على الفور بالذهاب إلى المكان برفقة الشرطة حيث تبين من الوهلة الأولى وجود جدران أثرية، وقطع حجارة فسيفسائية، وفي اليوم التالي باشر فريق من مديرية آثار جرش العمل^٢ في الموقع، حيث بين المسح الأولي، أن الجدران الظاهرة على السطح، والتي ظهرت بفعل الحفر العشوائي من قبل الباحثين عن الدفائن، هي جدران كنيسة صغيرة أو مصلى، رصفت أرضيتها بالفسيفساء الملونة، ونتيجة لذلك وضعت خطة للتنقيب في الموقع حسب الأسس العلمية المتبعة في مثل هذه الحالات.

الموقع (الشكل ١)

تقع الكنيسة إلى الشرق من موقع جرش الأثري بحوالي ٢ كم، وإلى الشمال من قرية النبي هود، في مكان يسمى محلياً قرمل، ويطل المكان باتجاه الشرق على وادٍ خصيب يمتد شمال جنوب، يسمى وادي المجر في طرفه الشمالي، ووادي الرشايدة في طرفه الجنوبي، ويبدو أنه كانت تكثر فيه ينابيع المياه سابقاً، وفيه الآن عدد من الآبار

أبو عزيزة: مهندسة، وعدنان مجلي، وناجح أبو حمدان، وآثاريان، علي العويصي، والمهندس حاتم العويصي، ورسام ومساح، وفنيو وعمال من مديرية آثار جرش.

١. الدكتور رافع حراحشه باحث في اللغات القديمة والآثار، لورين أبو عزيزة مهندسة، المركز الفرنسي IFPO.
٢. تكون فريق العمل الأثري من: د. رافع حراحشه مشرفاً، ولورين

- بئر لجمع الماء، نحت في الصخر، قطر الفوهه ١,٥ م، ويلاحظ وجود طبقة سميكة من القصاره على بطانه البئر من الداخل. مليء بالردم ولا يمكن معرفة عمقه.

- مقالع مقطوعة بالصخر بطول ١,٥ م وعرض ٦٠ سم وسمك (٤٠ - ٥٠ سم)، ومن الواضح أنها كانت لقطع الحجارة التي تم بها بناء الكنيسة والمباني التابعة لها.

- مقالع مقطوعة بالصخر بطول ١,٥ م تقريباً، ويلاحظ أن القطع يكون بشكل متدرج إلى أسفل، بحيث يظهر المقطع العرضي للمقلع على شكل درج هابط، وارتفاع الحجر ما بين (٤٠ - ٥٠ سم) بعرض (٥٠ - ٦٠ سم). ويشبهها النقاط ٧، ٨، ٩، ١٠.

- بئر لجمع الماء نحت في الصخر الصلب قطر الفوهه ١ م تقريباً يظهر على جدار البئر من الداخل طبقة سميكة من القصاره، مليء بالردم ولا يمكن معرفة عمقه.

- قطع في الصخر، ويلاحظ النحت بعرض ١٠ - ١٥ سم من الجهات الثلاث لفصل الحجر عن الصخر، ولم تتم

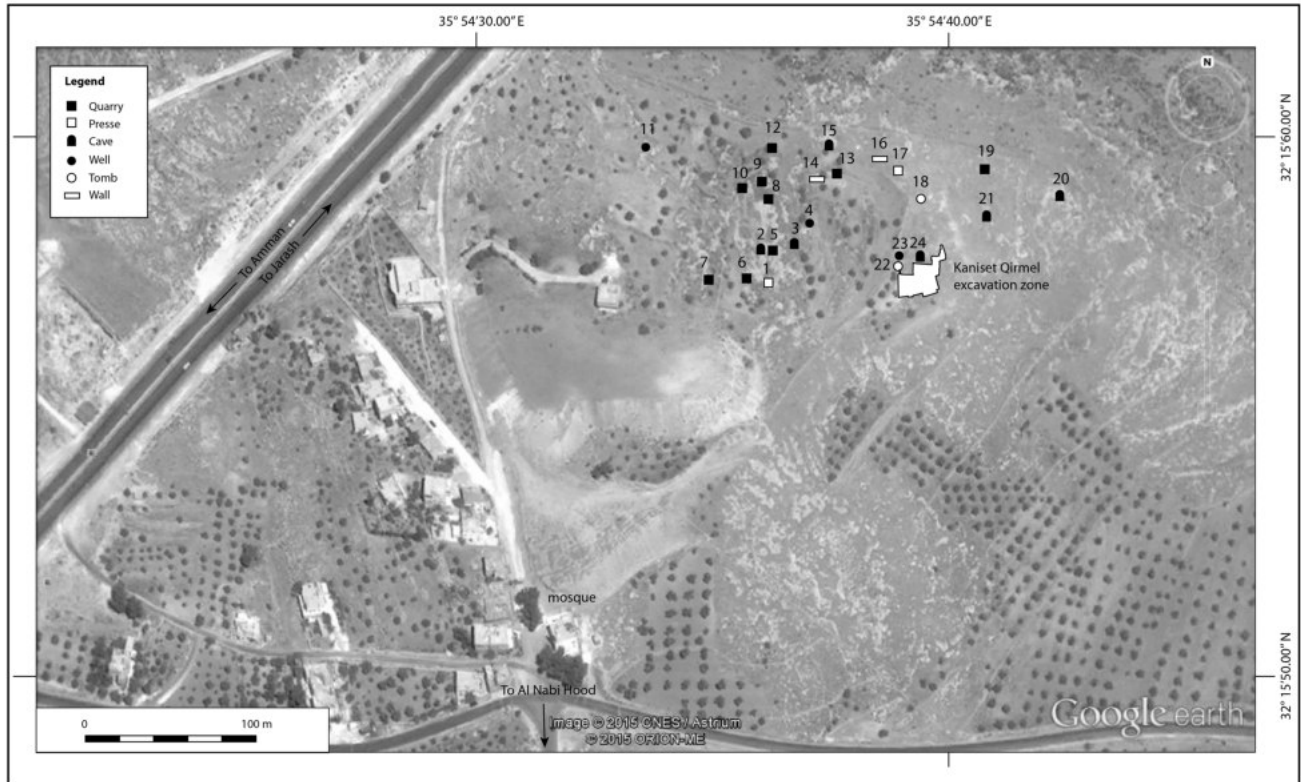
ربما تكون من الموقع نفسه، أو أنها جلبت من خارجه.

أهم المعالم الأثرية (الشكل ١)

- تجويف منحوت بالصخر، قياساته حوالي (٨٠ × ٦٠ سم)، مستطيل الشكل، يتصل بزوايته الجنوبية الشرقية قناة نحتت بالصخر، بعمق ١٠ سم تقريباً، تتصل مع حوض آخر عميق، قياساته (١,٥ × ١,٢ م) نحت أيضاً بالصخر قد يكون معصرة عنب.

- مدخل كهف يقع إلى الشرق من النقطة ١، حيث تظهر ثلاثة درجات هابطة منحوته في الصخر، الظاهر منها بعرض ٦٠ سم.

- كهف نحت مدخله في الصخر بعمق ٣ م، وعرض ١ م، يتم الدخول له بواسطة ثماني درجات هبوطاً، تعرض الكهف للعبث من الداخل من قبل الباحثين عن الآثار، ويرجح أنه مدفون. نحت في الصخر أعلى الكهف وبشكل عرضي قناة، لمنع دخول المياه إلى داخل الكهف.



١. خارطة تبين موقع الكنيسة (رسم لورين أبو عزيمة)، المسوحات الأثرية (رسم لورين أبو عزيمة).

على كسر فخارية إسلامية بعضها أيوبي مملوكي مما يؤشر أن الكهف استعمل كمسكن في فترة متأخره.

- بجانبه من الشمال يوجد بئر ماء عمقه يزيد عن ١٠م، وقطر الفوهه ١م، يلاحظ وجود حافة فوق الفوهه، وقناة حديثة من الطوب الإسمنتي، مما يعني أن البئر كان يُستعمل لجمع المياه حتى فترة قريبة، وقد غطى جدار البئر من الداخل طبقه سميكة من الملاط.

- الكهف الثاني يقع شمال الكهف الأول بحوالي ٢٠ متراً، وهو مدفون يظهر في جدرانه من الداخل وعلى مستوى الأرضية تجاويف منحوته في الصخر، قد تكون غرف دفنية، يتم الدخول له بواسطة عدد من الدرجات المنحوته في الصخر أيضاً يبلغ عرض فتحة المدخل حوالي ٨٥ سم وطولها ١٨٠ سم وقد تم العبث بمحتوياته من الداخل في فترات سابقة بحيث لا يمكن معرفة مخطط المدفن.

التنقيبات

قام الباحثون عن الدفانن بالعبث في النصف الشرقي من أرضية الكنيسة، وأزالوا بعض حجارة مداميك الجدران، (الشكل ٢)، وقد أدى ذلك إلى صعوبة التعرف على تسلسل طبقي أثري، أو ملاحظة أية ظواهر في هذا الجزء، كما أن سقف وجدران الكنيسة قد تعرضا للإنهيار والهدم سابقاً، ويرجح أنه نتيجة زلزال عام ٧٤٨م، إن وجود رماد وبقايا



٢. تخريب الباحثين عن الدفانن قبل أعمال التنقيب (تصوير رافع حراششة).

العملية، ربما للكسر الذي لحق بالصخر بحيث أصبح غير صالح للاستعمال فترك في مكانه.

- جدران بحجارة كلسية مشذبة وطرية تتكون من طبقتين من الحجارة.

- سلاسل حجرية حديثة يظهر فيها الحجارة المشذبة التي تم تجريفها من الموقع بحيث لم يظهر على السطح إلا القليل منها.

- مدخل كهف، وكانت هناك محاولة من الباحثين عن الآثار للدخول إليه ونقل القطع الأثرية من مدخله ويلاحظ وجود حجر كلسي مشذب يغلق المدخل يبدو أنه الأصلي كما يظهر بجانبه من الشمال أيضاً مدخل كهف واضح المعالم.

- إلى الشمال من موقع الكنيسة بحوالي ٣٠م يظهر على السطح جدران أثرية من الحجر الجيري المشذب وحجارة مستطيلة قد تكون عتبات مداخل لغرف.

- مقاطع صخرية مصقولة من الداخل يرجح أنها أحواض لمعاصر زيتون سطحية.

- قبران متلاصقان نحتا بالصخر، نحت لكل منهما حافة على عمق ٣٠ سم بعرض (٢٠ - ٢٥ سم) من الشمال والجنوب وبعرض ١٠ سم من الشرق والغرب، لتركز عليها الألواح أو البلاطات التي تغلق القبر، طول القبرين ١٧٠ سم، ويظهر القبر الجنوبي أعرض من الشمالي من الخارج، وغرفتا الدفن متساويتان بالطول والعرض.

- مقالع.

- قطع نحت في الصخر، تم كشفه حديثاً من قبل الباحثين عن الآثار غير شرعيين، يرجح أنه مدخل كهف أو مدفون.

- يوجد بجانب الكنيسة من الشمال كهف، مدخله بالقرب من الزاوية الشمالية الغربية من جدار الكنيسة، ويتم الدخول له بواسطة عدد من الدرجات المنحوته في الصخر، وقد بُني مدماك من الحجارة المشذبة على حافة المدخل لتصغيره، ونحت في الجدار الجنوبي للمدخل كوة مستطيلة الشكل، وقد تم العبث بمحتويات الكهف من الداخل، حيث يلاحظ وجود حجارة كثيرة مشذبة، مقتلعه من جدران، ربما شكلت

فواصل ما بين غرف داخل الكهف، وقد عثر داخل الكهف



٣. النصف الغربي من صحن الكنيسة (تصوير رافع حراشه).

من الجدار فقد بني من صفيين من الحجارة المشدبة، فوق أساس من الصخر الطبيعي، ويبلغ إرتفاع ما تبقى من الجدار الشمالي حوالي ٢م (الشكل ٥).

بلغ طول الجدار الغربي ٥م، وقد قطع في الصخر الطبيعي بإرتفاع نصف متر وعرض ٤٠ سم واستعمل كمقاعد، وقصر بطبقة سميكة من الملاط المخلوط بالحصى، وعلى السطح الخارجي طبقة رقيقة من قسارة بيضاء ناعمة، ثم بُني على الحافة العلوية من الجدار مداميك من الحجر المشذب تفصل ما بين صحن الكنيسة والغرف الواقعة بموازاة الكنيسة من الغرب (الشكل ٦).

ويلاحظ أنه أعيد استخدام الموقع أو سكنه في أكثر من مرحلة الأولى: مرحلة أبكر من بناء الكنيسة؛ لوجود حجارة رومانية ربما أخذت من مبنى روماني أقدم، ثم المرحلة الثانية وهي بناء الكنيسة والمرافق التابعة لها كالغرف من جهة الغرب، وغرف ومعصرة بجانب الواجهة الشمالية، ثم تلاها في بداية ومنتصف القرن السابع إعادة استعمال حيث تحولت الكنيسة إلى مبنى سكني، ولتسهيل معرفة مراحل الإعمار واستعمال المكان فقد قسم مخطط البناء إلى عدة أقسام: (الشكل ٤)

- القسم (A)، غرفة مستطيلة الشكل قياساتها من الداخل (٦×٣م)، جاء جدارها من الشمال والجنوب إمتداداً لجدران الكنيسة،

مواد متفحمة فوق الأرضية الفسيفسائية يشير إلى حدوث حريق تزامن مع الزلزال أدى إلى تلف محتويات وأثاث الكنيسة، وقد وجد من بين الحجارة المنهارة في صحن الكنيسة حجارة الدعامات والأقواس الحاملة للسقف، هذا مع التنويه إلى أن الموقع الأثري ككل قد تعرض لأعمال تجريف وإزالة لكل الجدران والأبنية الأثرية الظاهرة على السطح نتيجة الإستصلاح الزراعي في العقد الثامن من القرن الماضي.

النصف الغربي من صحن الكنيسة لم تصل إليه أيدي العابثين لوجود جدار بُني في الفترة الأموية يقسم الصحن إلى قسمين: شرقي، وغربي، مما جعلهم يعتقدون أنه نهاية البناء من الغرب، وعند تنقيب هذا الجزء لوحظ وجود طبقة من الرماد والتربة السوداء^٣ في الجزء العلوي تخللتها الحجارة المنهارة، وظهر تحتها مباشرة ردم من الحجارة المشدبة تخللها تربة طينية ذات لون أحمر وتربة ذات لون أبيض (حور)، بعدها ظهرت طبقة من التراب الأبيض (الحور) يشوبها بعض الرماد، سمكها ١٠ سم شبه مدكوكة، عملت كأرضية للغرفة فوق فرشاة الفسيفساء دون تخريبها في الفترة الأموية، وهذه الطبقة خالية من الحجارة والحصي (الشكل ٣).

تصنف الكنيسة (الدير) من نمط الكنيسة ذات القاعة الواحدة وذات المحراب المستطيل، تبلغ قياساتها ١٥م طولاً، و٦م عرضاً، ويوجد في جداريها الشمالي والجنوبي دعامات ترتكز عليها الأقواس الحاملة للسقف، بواقع أربع دعامات في كل جدار (الشكل ٤)، ويبلغ عرض الجدار الجنوبي ٨٥ سم بني بحجارة كلسية مشدبة مكونة من صفيين وضع بينهما حجارة صغيرة وحصى وطين من تربة حمراء صلصالية، أما الجدار الشمالي، فبني نصفه الغربي ملاصقاً للمقطع الصخري بإرتفاع ١م تقريباً، ثم بني فوق المقطع الصخري مداميك من صفيين من الحجارة المشدبة بينهما حجارة وحصى وطين. أما النصف الشرقي

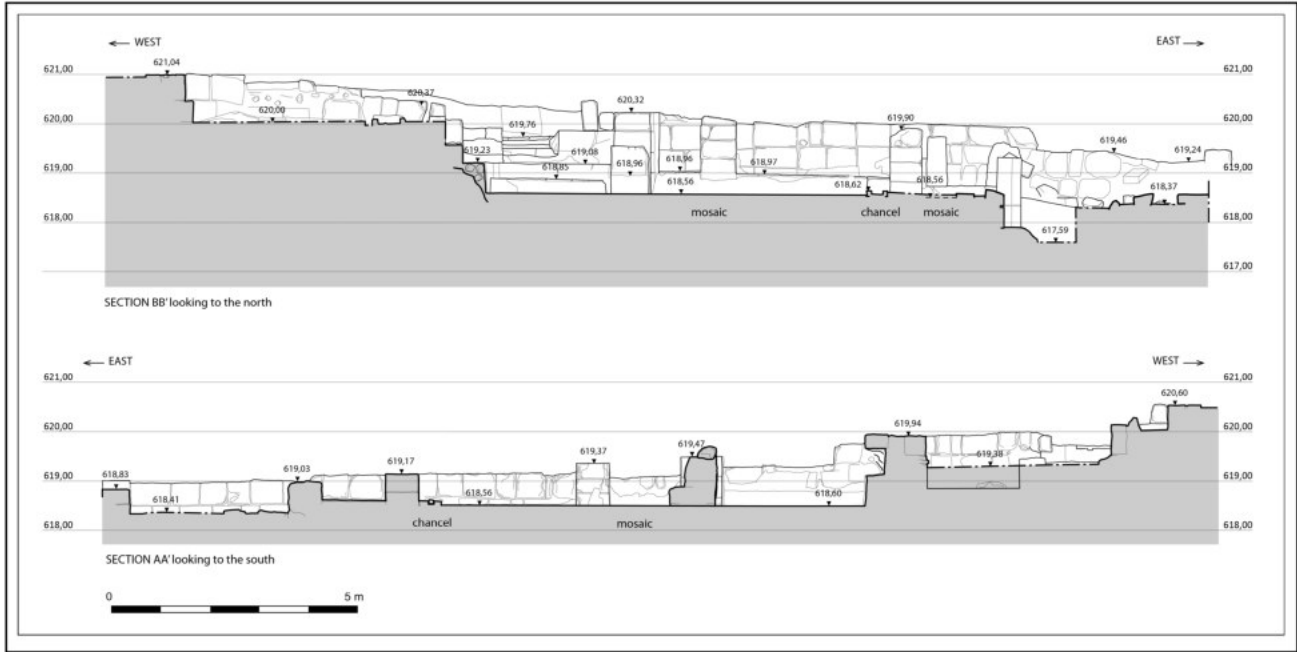
٣. ناتجة عن الاستعمال الحديث للمكان في بداية ومنتصف القرن العشرين.



٤. مخطط عام للحفريات (رسم لورين أبو عزيزة).

الفترة الأموية أعيد استعمالها كغرفة معيشة حيث وجد بقايا فرن (طابون) في الزاوية الجنوبية الشرقية.
 - القسم (B)، تم عمل مجس إختبار تحت مستوى أرضية الكنيسة، وقد وجد أنها أساسات الجدار الفاصل ما بين الهيكل وغرفة الرهبان، بُني على الصخر الطبيعي، كما ظهر أساس جدار غرب شرق (الشكل ٧).
 - القسم (C)، وهو هيكل الكنيسة، يفصله عن غرفة الرهبان

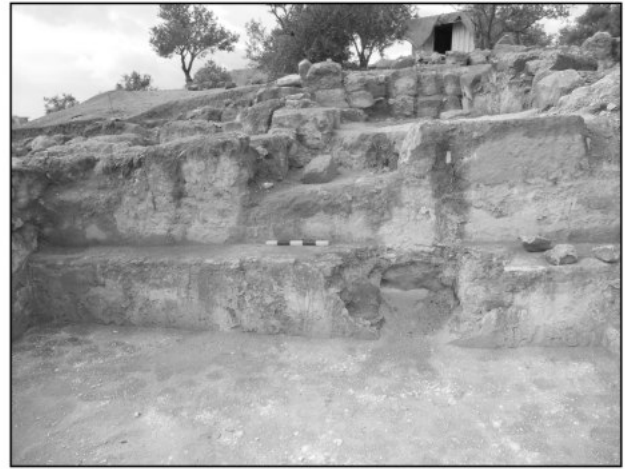
أما الجدار الشرقي فقد ظهر على طرفيه الشمالي والجنوبي دعامتان حاملة لقوس، وبقي من الجدار مدمكان بنيا على الصخر الطبيعي، وفي الجدار الغربي للغرفة باب بعرض ٨٠ سم على جانبيه عضادتان، وباب في الزاوية الشمالية يصلها مع الغرف الموجودة شمال الكنيسة يختلف في نمطه المعماري عن بقية البناء، ويرجح أن الغرفة (A)، استعملت للرهبان، يتم الدخول إليها من منطقة الهيكل، وفي



٥. مقطع عرضي للجدارين الجنوبي والشمالي للكنيسة (رسم لورين أبو عزيزة).



٧. أساسات تحت مستوى أرضية الكنيسة (تصوير رافع حراشيه).



٦. صورة الجدار الغربي (تصوير رافع حراشيه).

بعرض (١٥ × ١٥ سم) كما ظهر على أحد الألواح تحزيز غائر على شكل مستطيل لتزيين اللوح (الشكل ٨)، وضع فوق الفسيفساء طبقة من التراب الأحمر الطيني ثم طبقة من الملاط الخشن تحت البلاط مباشرة مما زاد في ارتفاع أرضية الهيكل حوالي ١٠ سم أعلى من أرضية صحن الكنيسة، وقد تم فصل الجزء الشمالي من الهيكل بوضع عصابة على طرفه، وتضييق مدخله، بحيث أصبح باب لغرفة صغيرة قياساتها (١ × ١ م) استعملت لغايات خاصة،

جدار فية مدخل، ويفصله عن صحن الكنيسة حاجز الهيكل، يبلغ عرض الهيكل حوالي ١ م وسعة مدخله من جهة صحن الكنيسة ٣ م فرشت أرضيته في الفترة البيزنطية بفسيفساء ذات حجارة كبيرة وبيضاء، وفي الفترة الأموية حدث تعديل لهيكل الكنيسة بعد أن أصبحت مسكناً، فقد تم تبليط أرضية الهيكل فوق أرضية الفسيفساء بألواح من الرخام الأزرق جلبت من موقع آخر على الأرجح أنه كان كنيسة لوجود نقش (نقر بسيط) على أربع من البلاطات

الجنوبي ١,٣٠ م والمسافة ما بين الدعامتين في الجدار الشمالي ٨٠سم، ويبدو أن سبب الإختلاف كان لجعل الجزء الشرقي من الصحن مستطيلاً ذا عرض متساوٍ من الشمال والجنوب حيث بلغ ٣م.

وضعت مقاعد بجانب الجدار الشمالي على إرتفاع ٣٥سم تقريباً، عملت من رصفة من الحجر والملاط ووضع فوقها بلاط حجري أصفر اللون وقصرت واجهتها من الخارج، وقد جاءت المقاعد ما بين الدعامة الشمالية الغربية والجدار الغربي بارزة للأمام من صحن الكنيسة، وشكلت الدرجة الأولى من الدرج الصاعد عبر بوابة إلى الغرف شمال وغرب الكنيسة، يتكون الدرج من درجتين بطول ٣م لكل منهما وعرض ٣٥ سم يتصلان بعتبة الباب (الشكل ٩).

في الفترة الأموية بني جدار يصل ما بين الدعامتين الهدف منه تقسيم صحن الكنيسة إلى قسمين: القسم الشرقي (الشكل ١٠)، ويتصل مع الهيكل وغرفة الرهبان، والجزء الغربي الذي يتصل مع الغرفتين (F,G) عبر الدرج الصاعد في الجدار الشمالي، وقد بُني الجدار فوق الأرضية الفسيفسائية دون تخريبها.

- القسم (F) على شكل صالة كانت في الفترة البيزنطية مدخل أو موزع يصل ما بين الكهف الموجود في الطرف الغربي الشمالي من الكنيسة، وما بين الغرف والكنيسة من خلال بوابة ما زالت عتبتها موجودة، وقد أعيد تبليط هذه الصالة في الفترة الأموية ببلاط حجري أصفر اللون وحجارة بناء مشذبة مصقولة وتحمل إحدى البلاطات علامة صليب.

- القسم (G) غرفة مقاساتها (٥ × ٥م) يتم الدخول لها من الصالة F، ويفصل بينهما جدار في طرفه الجنوبي باب وقد بنيت الجدران الأربعة على الصخر الطبيعي وفوق مدمك من الحجر الصغير والتراب لتسوية أساسات المدمك الأول.

- القسم (H) غرفة يبلغ قياساتها (٥,٥ × ٥م) وقد كان



٨. الهيكل ويظهر البلاط الرخامي (تصوير رافع حراشة).

يبلغ عرض حاجز الهيكل حوالي ٤٠ سم، يتكون من مدمك من الحجارة الكلسية المشذبة نحت فيها تجاويف مربعة بعرض ٢٠ سم وعمق ٦ سم، ظهر منها أربعة، ووصل بينها بقناة مستطيلة بعرض ١٠ سم وجد بها أجزاء من الحجر الكلسي الأصفر، وهي من بقايا ألواح حاجز الهيكل، ويظهر الباب الذي يصل الهيكل بالصحن في الوسط بين تجويفين، وضعت فيهما أعمدة حامل الأيقونات -التي عثر على اثنتين منها في الردم - ويتصل بهما من اليمين ومن الشمال ألواح الحاجز، يبلغ إرتفاع حاجز الهيكل عن صحن الكنيسة والأرضية الفسيفسائية ١٠سم (الشكل ٤).

- المنطقتان (D, E) تمثلان صحن الكنيسة أو القاعة الرئيسية، طولها ٩,٥ م وعرضها ٦ م من جهة الشرق و٤م من جهة الغرب، وقد رصفت أرضيتها بالفسيفساء ويوجد في وسط الجدارين الشمالي والجنوبي دعامتين في كل منهما، تبلغ المسافة ما بين الدعامتين في الجدار



١٠. صورة الجدار الأموي في منتصف صحن الكنيسة (تصوير رافع حراشه).



٩. صورة المقاعد بجانب الجدار الشمالي (تصوير رافع حراشه).

التابعة لها كشفت التنقيبات عن كمية كبيرة من الردم وحجارة البناء المتهدمة، تعلوها تربة سوداء اللون وبقايا رماد ناتج عن استعمال متأخر للموقع سواء المباني قبل تجريفها أو نتيجة استعمال الكهوف للسكن حيث أستعملت إلى وقت قريب كما ذكر بعض كبار السن في المنطقة.

ظهر نتيجة إزالة طبقة التراب والرماد أساسات غرف بيزنطية، وأساسات نتيجة إعادة استعمال في فترة متأخرة، ولكن الشيء الأهم في هذا الجزء هو وجود كهف وأقبية لم يتم التنقيب بها ولم يتم تحديد المدخل الرئيسي الذي من المرجح أنه ما بين جدار الكنيسة الشمالي وبين حافة المقطع الصخري الذي انهار في الجهة الشمالية من الكنيسة، وعند الدخول إلى الكهف عثر في أحد أقسامه التي فصلت عن بعضها بمداميك من الحجر المشذب والأقواس على معصرة، حيث ظهر حجر البد الدائري وجرة تخزين كبيرة وعدد من الأقواس (الكوى) التي بنيت من الحجر المشذب، ومن خلال الفخار الملتقط من داخل الكهف والأقبية وجد أنها تؤرخ للفترتين البيزنطية المتأخرة والأموية المبكرة، وعثر أثناء التنقيبات الأثرية على بعض مقتنيات وآثار الكنيسة مثل حاملي الإيقونات وقد نُحِتاً من الحجر الجيري الأصفر، النصف السفلي منها ذو مقطع مربع والنصف العلوي ذو مقطع الأسطواني وقد ظهرت زخارف غائرة على النصف السفلي في حين ظهر بقايا صباغ أحمر على النصف العلوي بعضها على شكل وجوه آدمية ربما تمثل صور قديسين. كما عثر على تاجية

يتم الدخول لها في الفترة البيزنطية من خلال الباب الذي يصلها مع الغرفة G في منتصف الجدار الفاصل بينهما، كما يوجد مدخل آخر في الزاوية الجنوبية الغربية من الجدار الجنوبي للكنيسة، حيث تظهر عتبة الباب السفلي، وفي الفترة الأموية قسمت هذه الغرفة إلى قسمين شمالي وجنوبي، بحيث بقي القسم الشمالي متصل مع الغرفة G وقد عثر فيه على بقايا فرن من الفخار (تالف)، ويبدو أنها تحولت إلى غرفة معيشة، أما القسم الشمالي فقد أصبح مدخله الباب الجنوبي. الغرفتان G, H مستوَاهما أعلى من مستوى أرضية الكنيسة بحولي ٢م (الشكل ١٠).

يبلغ عرض جدران الكنيسة والغرف الداخلية والخارجية ما بين (٧٠ - ٩٠ سم) ويتكون المدماك من صفيين داخلي وخارجي ويُنَي من الحجر المشذب وبينهما حصى وحجارة صغيرة وطين من تراب أحمر وأصفر اللون وقد ظهرت حجارة الدعامات متقنة التشذيب أكثر من حجارة المداميك، وقد قصرت الجدران من الداخل بطبقتين من الملاط، الطبقة الأولى الملاصقة للجدار خشنة وكثيرة الشوائب كالحصى والكسر الفخارية والرماد والشيد، وقد تم تحزيز سطحها كذلك لتثبيت عليها الطبقة الثانية التي كانت أنقى وأكثر بياضاً من الطبقة الأولى وخالية من الشوائب (الشكل ١١).

على الواجهة الشمالية من جدار الكنيسة والغرف

الكنائس المشابهة لكنيسة قرمل في الأردن

ظهر في الأردن عدد من الكنائس المشابهة لكنيسة قرمل، من حيث إنها ذات قاعه واحده، مع اختلاف بشكل المحراب، فقد ظهر المحراب في بعضها نصف دائري، والأخرى ذات محراب مستطيل أو مربع^٧ ومن أمثلة كنائس القاعة الواحدة ذات المحراب نصف الدائري في جرش:

كنيسة الدفن:

عرضها من الشرق (٥,٣٠ م) ومن الغرب (٥,٩٠ م) وطولها (٢١,٢٥ م)، تتكون من صالة واحدة، ومحراب نصف دائري، ولها مدخل رئيسي في منتصف الجدار الشمالي، كما ظهر في جدارها الجنوبي كهف قطع في الصخر، ربما كان يستعمل للدفن، وقد غطت الأرضية طبقة من الفسيفساء ذات أشكال هندسية على شكل مربعات ودوائر، وقد أُرخت الكنيسة إلى القرن السادس الميلادي^٨ (Crowfoot, j, 1938: 254).

والكنيسة الثانية. هي كنيسة ماريانوس:

بجانب ميدان سباق الخيل من الشرق، وتتكون من صالة ذات محراب نصف دائري، في الجانب الشمالي منها غرفة الكاهن، وقد غطت أرضية الكنيسة والغرفة بفسيفساء ذات أشكال هندسية، ويورخها نقش باليونانية عند المدخل للعام ٥٧٠٩م^٩ (Gawlikowsk et al.1983: 137-162)، ومن أم الجمال كنيسة ماسينموس تتكون من قاعة واحدة ومحراب نصف دائري على جانبيه غرفتان مستطيلتا الشكل، وفي كل من الجدارين الشمالي والجنوبي خمسة ركب لتحمل الأقواس الحاملة للسقف، أُرخت الكنيسة بين عامي (٤٩١ - ٦٣٦م)، الفترة البيزنطية المتأخرة^{١٠} (De Vries 1993:453).



١١. صورة الملاط الذي يكسو جدران الكنيسة من الداخل (تصوير رافع حراشة).

مزخرفة صغيرة قطر قاعدتها الأسطواني ٢٢ سم كانت توضع أعلى حامل الإيقونات (الشكل ١٢).

الكتابة اليونانية (الشكل ١٣)

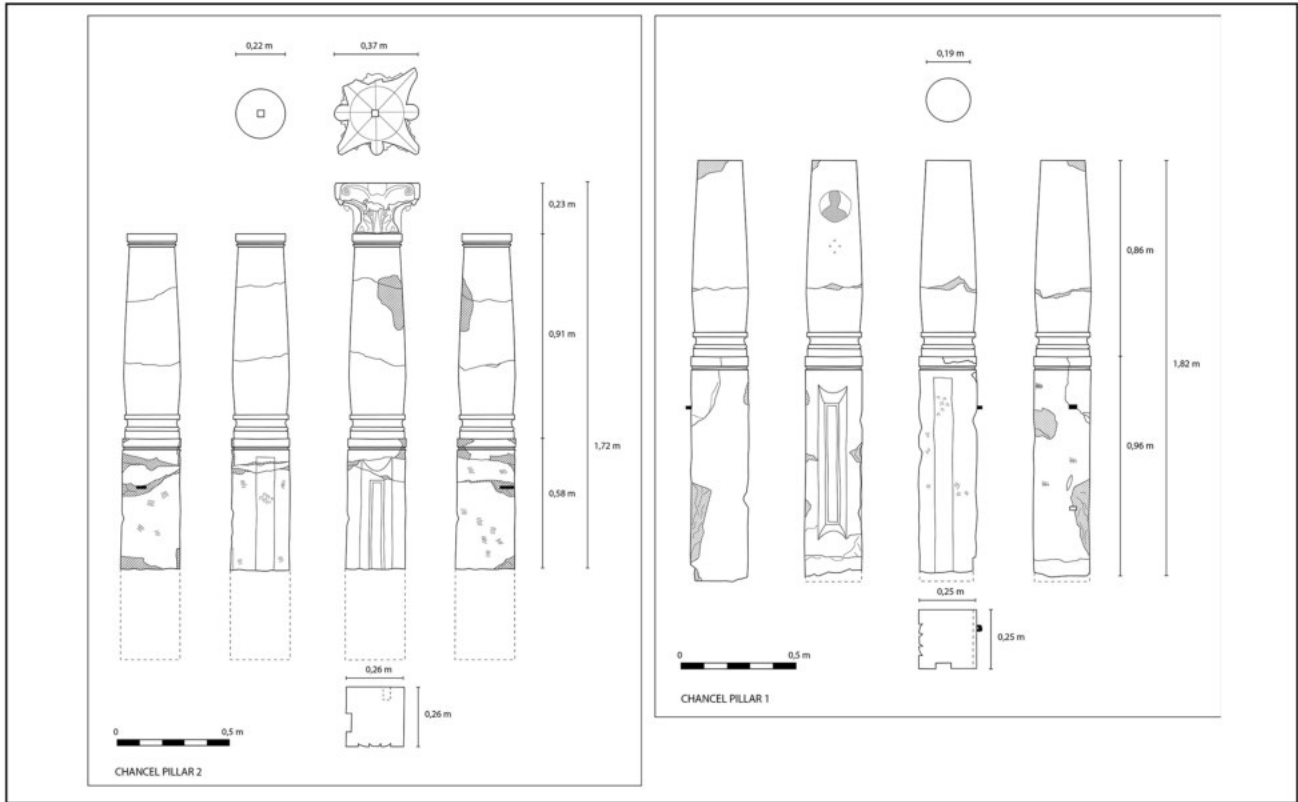
وجد في صحن الكنيسة كتابة باللغة اليونانية تتكون من ثلاثة أسطر وضعت داخل إطار (خرطوشة) وترجمتها: "هدية (عطية) من الكاهن المبارك سلمانوس، قدمت هذه الفسيفساء برعاية جورج جويوس الكاهن الورع في العام ٦٥٣م في شهر بريتيوس من الأندكشن التاسعة"

تاريخ النص^٥

يقع العام ٦٥٣م بين أكتوبر من العام ٥٩٠م، وبين أكتوبر من العام ٥٩١م، وشهر بريتيوس هو شهر الشتاء ويقابل شهر يناير، وتقع الأندكشن التاسعة بين ١ سبتمبر من العام ٥٩٠م وبين أغسطس من العام ٥٩١م وبذلك يرجح تأريخ رصف أرضية الفسيفساء في شهر يناير من العام ٥٩١م^٦.

٥. أعتد الكاتب العام ٦٣ ق. م أساساً للتأريخ.
٦. أشكر الدكتور بيبير لويس غاتبير على مساعدته في قراءة النص وتحليله.

٧. أطلقت الدكتورة رندة قاقيش على هذا النوع من الكنائس اسم (كنيسة قاعة C)، وقد صنفتها إلى ستة أنماط أحدها هو النمط Cf
٨. صنفت عند قاقيش من نمط القاعة Ca (قاقيش ٢٠٠٧: ٣٢٩).
٩. صنفت عند قاقيش من نمط القاعة Cd (قاقيش، ٢٠٠٧: ٣٣٧).
١٠. صنفت عند قاقيش من نمط القاعة Ce (قاقيش ٢٠٠٧: ٣٤٥).



١٢. رسم حامي الأيقونات (رسم لورين أبو عريزة).

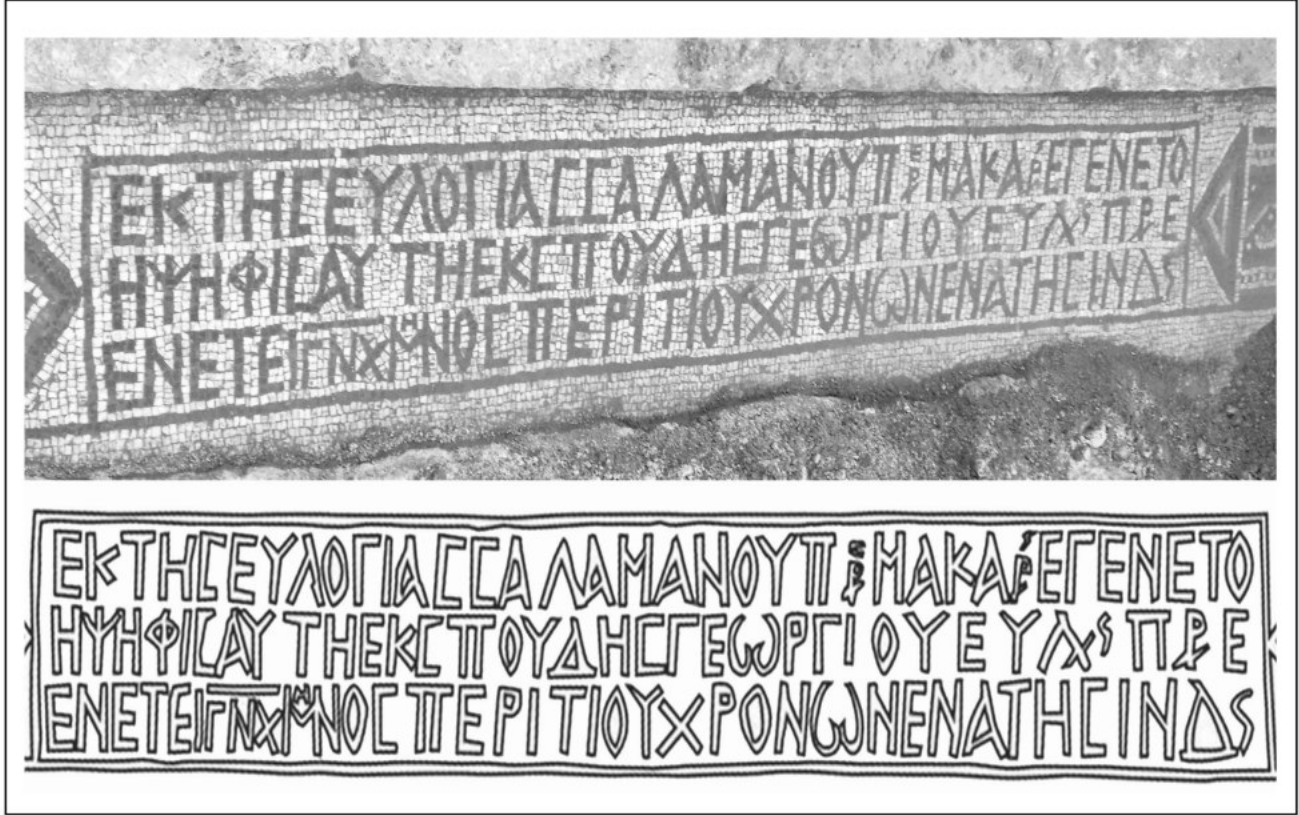
من صالة وسطى وجناحين ومحراب مستطيل الشكل، وقد رصفت أرضيه المحراب بالفسيفاء بأشكال شجيرات محملة بالثمار، ورسم أسد وثور وحمل، وفي الصالة الوسطى عروق الكرمة، يتداخل معها صور حيوانات ومناظر رعي وصيد، وقد أرخت الكنيسة لمنتصف القرن السادس (بشريلو ١٩٩٣: ٢١٦-٢٢٣).

ظهر في الأردن عدد من هذه الكنائس أو المصليات، التي تتشابه مع كنيسة قرمل (موضوع الدراسة) من نمط الصالة الواحدة، والمحراب المربع أو المستطيل، ففي جرش توجد كنيسة المنية في عصفور شمال جرش، حيث ظهر الجدار الشرقي للمحراب مهدماً، ورصفت أرضيتها بالفسيفاء، جاء الإطار على شكل دوائر، كما ظهر رسم نسر، وطائر حجل، وزخارف هندسية، وكتابة باليونانية عبارة عن تقدمية من ايوطوخوس للمسيح ١٢ وقد أرخت

ظهر كذلك في الأردن عدد من الكنائس ذات المحراب المربع أو المستطيل، ولكنها من حيث عمارتها جاءت على نظام البازليكا^{١١}، منها كنيسة البراكيات من أم الجمال تتكون من صالة وسطى وجناحين يفصل بينهما صفان من الأعمدة والمحراب على شكل مستطيل على جانبيه غرفتان مربعتان وقد أرخت الكنيسة للقرن السادس ميلادي (De Vries 1993:435)، وكنيسة قاينوس العليا والسفلى في وادي عيون موسى، وتتكون العليا من صالة وسطى وجناحين ومحراب شبه مربع، يعتقد أن على جانبيه غرفتان، وظهر فيه ستة نقوش، أعلاها عند المدخل فيه ذكر للفنان والشماس سلمانوس، وقد أرخت الكنيسة للنصف الأول من القرن السادس الميلادي (بشريلو ١٩٩٣: ٢٠٦-٢١٦)، ومن النمط نفسه أيضاً ظهر في وادي عيون موسى كنيسة الشماس توما، وهي أيضاً على النظام البازليكي، تتكون

١٢. تم الاعتداء على النقش الفسيفاء وخلعه من مكانه وقد تمكنت الأجهزة الامنية من ضبطه وإيداعه لدى مستودعات دائرة الآثار.

١١. حسب تصنيف قاقيش بازيكا AI نمط AIG (قاقيش ٢٠٠٧: ٢٩٥).



١٣. صورة ورسم الكتابة اليونانية (تصوير رافع حراشة و رسم، ج. فيلانتروبي).

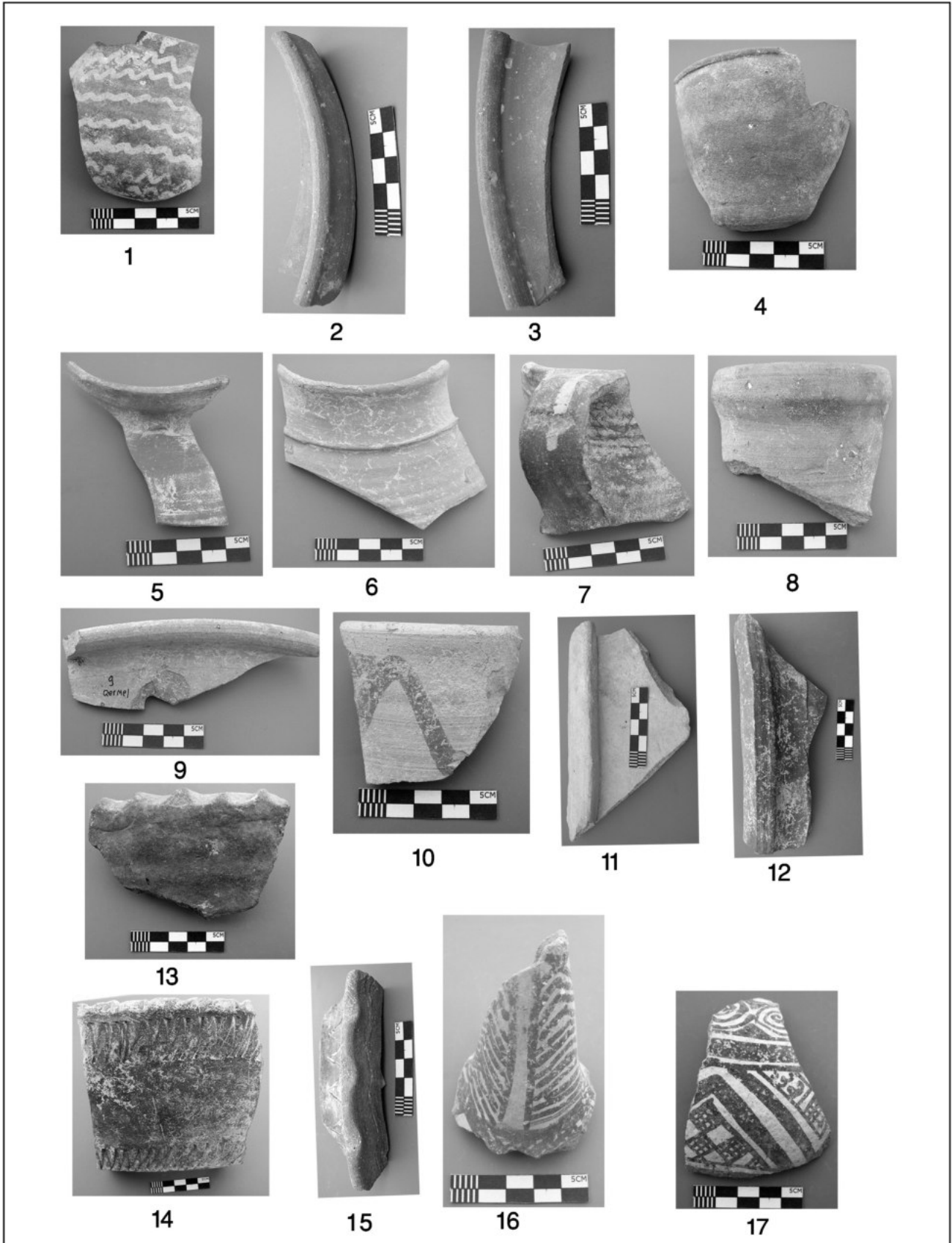
ويلاحظ أن الأشكال الحية قد تعرضت للتخريب، وقد أرخت الكنيسة للقرن السابع واستمر استعمالها حتى القرن الثامن الميلادي (Desreumaux, et al 1982: 177).^{١٥} أما مصلى رجم الكرسي في عمان الغربيه، فيتكون من صاله واحدة، ومحراب مستطيل، ويرتكز السقف على أقواس، وظهر مقاعد حجرية على الجدارين الشمالي والجنوبي، أما الأرضيه فقد غطيت بالفسيفساء بأشكال هندسيه يتخللها أوراق نباتات، وأشكال طيور وأزهار، وأربع مزهريات، كما وجد عدد من الكتابات اليونانية، وثلاثة نصوص بالخط الآرامي الفلسطيني، وقد أرخت الكنيسة للنصف الثاني من القرن السادس (Piccirillo, and Amr, 1993: 361)، ومن منطقه عجلون ظهرت كنيسة قرية الطنطور، تتكون

الكنيسة للقرن السادس الميلادي (Piccirillo 1993: 299)^{١٣} وفي جرش أيضاً يوجد مصلى، إيليا وسوريج، وقد لحقه تخريب شديد، يتكون المصلى، من ثلاثة أقسام جميعها رصفت بالفسيفساء، وزخارف هندسية، وصور نباتات، ورعي، وصور آدمية، ربما لمتبرعين (Piccirillo 1993: 296).^{١٤}

وفي الخربه السمراء وجدت كنستان: إحداهما كنيسة انسطاسيوس، وتتكون من صاله واحده، ومحراب مستطيل، وفي الطرف الغربي غرفه صغيره قد تكون للخدمه، وظهر في جداريها الشمالي والجنوبي قواعد ركب، ارتكزت عليها الأقواس الحامله للسقف، وقد فرشنت أرضيتها بالفسيفساء بأشكال هندسيه ومزهريات وعروق الكرمه،

١٤. صنفت عند قاقيش من نمط القاعة C? (قاقيش ٢٠٠٧: ٣٥٣).
١٥. صنفت عند قاقيش من نمط القاعة Cf (قاقيش ٢٠٠٧: ٣٤٨).

١٣. صنفت عند قاقيش من نمط القاعة C? لعدم وضوح جدار المحراب الشرقي (قاقيش ٢٠٠٧: ٣٥٣)



١٤. صور الفخار (تصوير رافع حراحشه).

يبدأ جسم الإناء بالإنبعاج للخارج بعد العنق القصير مباشرة، العجينة نقيه من الشوائب، ذات لون بني ضارب للحمرة، صنعت بالدولاب (نهاية القرن السادس وبداية السابع الميلادي).

٦- جزء من فوهه وعنق إناء، الحافة رقيقة ومبرومه من الأعلى، العنق ملتصق بالحافة، وما بينهما وبين بدن الإناء، شريط بارز للخارج رقيق، يقدر قُطر فوهة الإناء حوالي ٩سم، العجينة نقيه ذات لون بني ضارب للحمرة (نهاية القرن السادس وبداية السابع الميلادي).

٧- كسرة تمثل حافة إبريق مع مقبض، الحافة مستوية وأسمك من بدن الإناء، تتصل بالمقبض من الأعلى مباشرة، والجزء السفلي من المقبض يتصل مع الجزء العلوي من بدن الإبريق، العجينة ذات شوائب قليلة والحرق متوسط، اللون من الخارج بني غامق ومن الداخل أسود نتيجة الحرق، صنع بواسطة الدولاب، وضع على المقبض دهان كريمي اللون (القرن السابع - الفترة الأموية).

٨- كسرة تمثل حافة إناء، سمك الحافة ضعف سمك البدن، العجينة قليلة الشوائب، والحرق متوسط، اللون بني غامق، صنعت بواسطة الدولاب (القرن السابع الميلادي).

٩- كسرة تمثل حافة إناء فخاري واسع الفوهه، الحافة عريضة وأكثر سماكة من البدن، مشطوفة للخارج ٢ سم بشكل مستوي وبروز قليل إلى الداخل، العجينة نقيه ذات حرق جيد، اللون بني ضارب للحمرة من الداخل والخارج، وبني غامق في الوسط، صنع بواسطة الدولاب (القرنين السادس والسابع الميلادي).

١٠- كسرة تمثل حافة إناء سميكة ومبرومة، العجينة نقيه ذات لون بني فاتح، الحرق جيد، وعلى البدن من الخارج دهان ذو لون بني غامق، صنعت بواسطة الدولاب (القرن السابع الميلادي).

١١- كسرة تمثل حافة جرة كبيرة، سمكها ٣,٥ سم وسمك البدن ١سم، الحافة مشطوفة للخارج والأسفل، ومستوية من

من قاعة واحدة ومحراب مستطيل الشكل، وأقتصرت الفسيفساء على الأشكال الهندسية وزخرفة البتلات، وختت من الاشكال الحيوانيه والأدميه، كما ظهر فيها كتابتان باللغه اليونانية وأرخها الباحث للنصف الأول من القرن السابع (٦٢٥-٦٤٢م) (أبو عبيلة ١٩٨٨: ٥٢-٥٣) ١٦.

الفخار (الشكل ١٤)

عُثر أثناء التنقيب في داخل الكنيسة على كسر فخارية تؤرخ لنهاية القرن السادس والقرن السابع الميلاديين (الفترة البيزنطية المتأخرة والأموية المبكرة)، ومن خلال المسح الأثري للموقع ككل عثر على شواهد قليلة من فخار الفترة الرومانية، والفترة الأيوبية المملوكية، وتعود بعض الكسر الفخارية لأواني طبخ إذ ظهر عليها آثار الحرق وكسر فخارية أخرى لأوانٍ صغيرة كالصحون، والكؤوس، والأباريق، وبعضها لأوانٍ كبيرة كالجرار.

١- جزء من كأس صغير، ذو حافة دائرية مستوية ورقيقة، القاعه محدبة للخارج، صنع بواسطة الدولاب، العجينة نقيه ذات لون رمادي، وضع بطانه من الخارج بلون بني، عليها خطوط متعرجه بدهان كريمي على جميع السطح الخارجي (تؤرخ للفترة الاموية المبكرة).

٢- الكسرتان (٢، ٣) حافتا صحن ضحل، الحافة مستقيمة ومبرومة بارتفاع ١ سم من الداخل، و١,٥ سم من الخارج، سمك الصحن لا يزيد عن (٥,٥ سم)، العجينة نقيه، ذات حرق جيد، بُني اللون ضارب للحمرة، صنع بواسطة الدولاب، من طراز فخار جرش (نهاية القرن السادس ميلادي).

٤- جزء من كأس صغير، قُطر الفوهه حوالي ٧ سم، رقيق، الحافة مبرومة ومشطوفة للخارج قليلاً، العجينة نقيه، ذات لون بني ضارب للحمرة، صنعت بواسطة الدولاب (نهاية القرن السادس وبداية السابع الميلادي).

٥- حافة آنية، قد تكون جرة، الفوهه مستوية، قليل السماكة،

لون بني، الحرق رديء غطى البدن من الخارج زخارف بلون بني ضارب للحمرة على شكل عظام السمكة (الفترة الأيوبية المملوكية).

١٧- كسرة من بدن إناء صغير، العجينة رديئة الصنع ونسبة الشوائب عالية، والحرق رديء، البطانة من الداخل ذات لون بني وخشنة، وعلى السطح الخارجي زخارف بدهان بني مائل للأسود على شكل دوائر وخطوط متقاطعه ومربعات (الفترة الأيوبية المملوكية).

الفسيفساء (الشكلان ١٥ و ١٦)

تظهر أرضية الفسيفساء على كامل أرضية الكنيسة، مقاساتها (٨ × ٦م)، استعملت الفسيفساء الملونة في الأشكال الزخرفية والحيوانية والنباتية والأدمية على أرضية بيضاء، وقد ظهرت خمسة ألوان لحجارة الفسيفساء هي: الأبيض، والأزرق التركوازي، والبني الغامق، والبني الفاتح، والأخضر التركوازي.

تبدو الأرضية في الطرف الغربي أكثر اتساعاً من الطرف الشرقي، بسبب عدم تساوي أبعاد الكنيسة لوجود مقاطع صخرية في الوجهه الغربية والغربية الشمالية، ويبرز من الجدارين الشمالي والجنوبي ركب ارتكاز الأقواس الحاملة للسقف، وقد قطعت الركبتان في الجدار الجنوبي امتداد أرضية الفسيفساء خارج الإطار الزخرفي، أما الركبة الغربية في الجدار الشمالي، فقد قطعت امتداد الإطار الزخرفي الذي جاء ملاصقاً للمقاعد، وبني ما بين الركبة الغربية في الجدار الشمالي وما بين الجدار الغربي للكنيسة درج صاعد، ليصل ما بين الكنيسة وبين الغرف في الجهتين الشمالية والغربية، قاطعا الإطار الزخرفي الشمالي، ويمتد داخل امتداد الأرضية الفسيفسائية حوالي ١م، يحيط بأرضية الفسيفساء إطار زخرفي ملون بشكل مجدول، يتكون كل شريط من الجدلة من خمسة خطوط ملونة، وعلى جانبيها ثمانية خطوط مستقيمة وملونة؛ خط أخضر يليه خط بني فاتح ثم خط تتناوب فيه المكعبات ذات اللون الأبيض والبني الغامق، ثم يليه خط أبيض وخط

الداخل مع بدن الجرة، العجينة ذات شوائب قليلة، والحرق جيد، اللون رمادي فاتح، والبطانة من الخارج بني فاتح، صنعت بواسطة الدولاب (القرن السادس الميلادي).

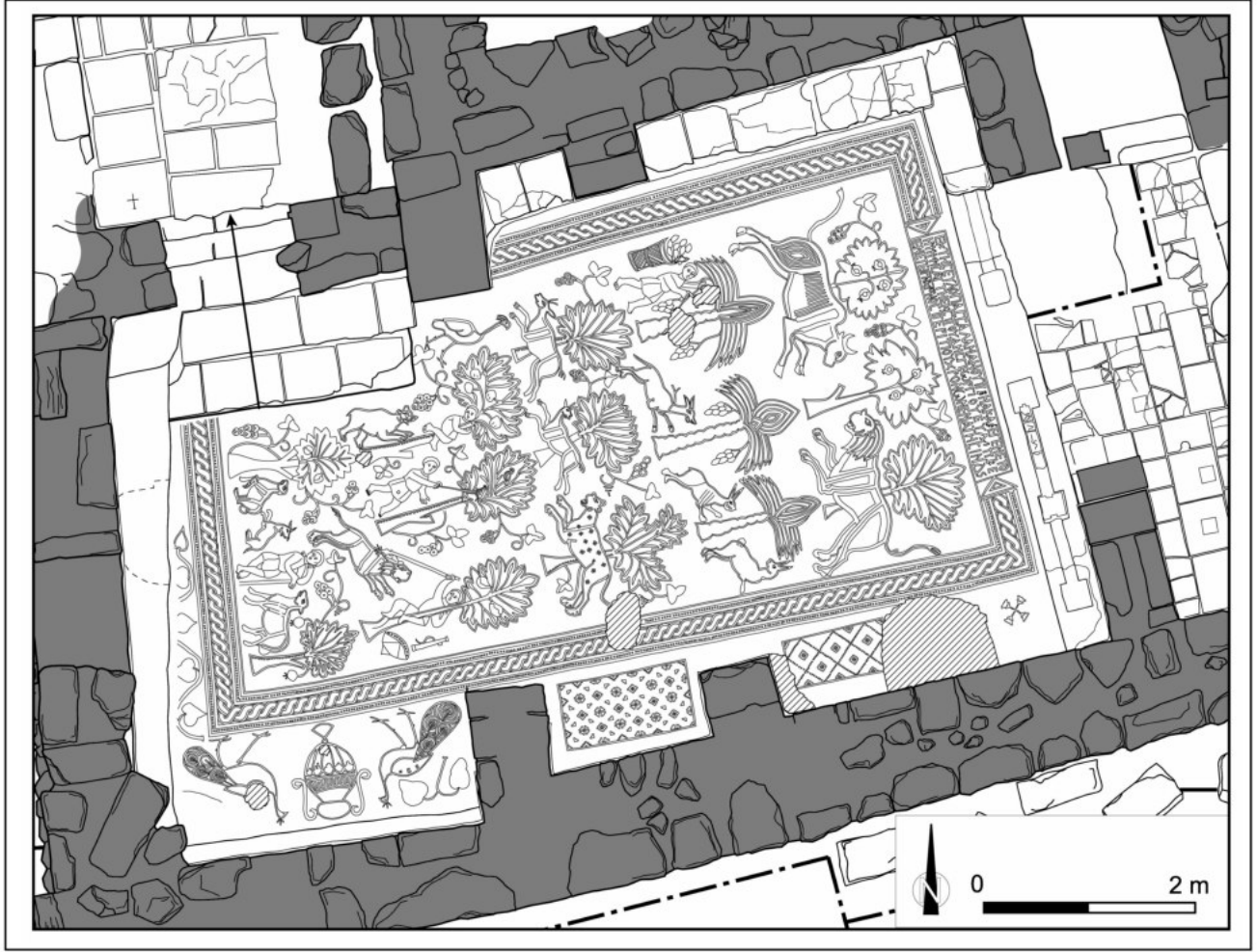
١٢- كسرة تمثل حافة جرة أكثر سمكاً من البدن، ومشطوفة للخارج وللأعلى بعرض ٢سم، العجينة قليلة الشوائب، ذات حرق جيد، لون البطانة من الداخل والخارج رمادي من لون العجينة، صنعت بواسطة الدولاب (القرن السابع الميلادي).

١٣- كسرة تمثل حافة إناء كبير (جرة)، مشطوفة إلى الداخل قليلاً، ويظهر على طرف الحافة من الخارج طبقات إبهام للزخرفة، العجينة قليلة الشوائب، ذات لون رمادي، والحرق جيد، صنعت بواسطة الدولاب (القرن السادس الميلادي).

١٤- كسرة من إناء فخاري (زبدية) تمثل جزء من الحافة مع البدن والقاعدة، تظهر الحافة مستوية من الأعلى وأكثر سماكة قليلاً من سماكة البدن، شكّلت طبقات الإبهام على الحافة من الخارج زخرفة على فوهة الإناء، وتحت الحافة مباشرة من الخارج ظهر خطوط غائرة (مسامير) بواسطة قصبه، على شكل شريط بعرض ٢,٥ سم على محيط الإناء، وفي أسفل الإناء على طرف القاعدة من الأعلى هناك شريط آخر بعرض ٢,٥ سم على شكل خطوط غائرة (مسامير) بواسطة قصبه، القاعدة مستوية والعجينة نقيه ذات لون رمادي، البطانة مصقوله من الداخل والخارج، الحرق جيد، صنعت بواسطة الدولاب (نهاية القرن السادس وبداية القرن السابع الميلادي).

١٥- كسرة تمثل حافة من إناء (زبدية)، مشطوفة إلى الخارج، ومستوية من الأعلى، مع بروز رقيق إلى الداخل، العجينة قليلة الشوائب، الحرق جيد، وهناك طبقات إبهام على طرف الحافة من الخارج، وتحزيز غائر بشكل مموج على سطح الحافة من الأعلى، اللون رمادي، صنعت بواسطة الدولاب (نهاية القرن السادس وبداية القرن السابع الميلادي).

١٦- صنوبر إبريق، العجينة رديئة كثيرة الشوائب، ذات



١٥. رسم الفسيفساء مع المخطط العام (رسم، ج. فيلانثروبي ولورين أبو عزيزة).

إشعيا في جرش (Piccirillo 1993: 340). شملت الأرضية داخل الإطار الزخرفي عدداً من المشاهد والرسوم الحيوانية والنباتية والأدمية، بالإضافة إلى الكتابة باللغة اليونانية (الشكلان ١٦ و١٧).

المشهد الأول

مشهد يتكرر في فن الفسيفساء في الأردن؛ أسد وثور متقابلان وجهاً لوجه، بينهما شجرة رمان بداخلها أربع حبات، ويخرج من الشجرة أغصان كرمة يميناً ويساراً، عليها قطوف عنب وأوراق، ويخفي رسم الثور ساق شجرة رمان أخرى فيها أربع حبات، يخرج من داخل الشجرة باتجاه اليسار، عرق كرمة مع قطف عنب، في حين يخفي جسم الأسد جزء من ساق الشجرة، ولم يظهر عليها أية

بني غامق، وعلى الطرف الخارجي على طرفي الإطار الزخرفي خط بلون أزرق.

زُيّنت المساحة المحصورة ما بين الإطار الزخرفي والجدار الجنوبي، بأشكال مربعات ومثلثات، رصفت بمكعبات ذات لون أبيض وبني غامق، وفي وسط كل مربع منها مربع صغير، كما ظهر بداخل كل مثلث مثلث صغير، بينما المساحة المحصورة ما بين الركبة الغربية في الجدار الجنوبي وبين الجدار الغربي، فقد زُيّنت بطائرين من طاووسين متقابلين، بينهما مزهرية مزخرفة بخطوط منحنية ومتعرجة على أرضية بيضاء، وظهر في اللوحة عروق وأوراق نباتية، وشكل المزهرية شائع في الارضيات الفسيفسائية كما ظهر في كنيسة قم، وكنيسة



١٦. صورة الفسيفساء مع المخطط العام (لورين أبو عريزة).

متعرج على شكل أمواج، وهي مشابهة للشكل الطبيعي لشجرة النخيل، ويتدلى من بين السعف عدقان يقوم الشخص بقطف إحداهما ووضعه في سلة مملوءة بالتمر بجانبه. ظهر الشخص حافي القدمين بثوب قصير، كشف عن ساقيه إلى ما فوق الركبة، وعن ذراعية قريباً من الكتف، وبدت فتحة الكم عند الكتف واسعة. تفاصيل الوجه كالعينين والأنف والفم واضحة، وقد ظهرت شجرة النخيل في فسيفساء كنيسة ماريا وسوريح في جرش (Piccirillo 1993: 269).

المشهد الثالث

يظهر على مستوى المشهد الثاني نفسه من اليمين، ويتكون من شجرتي نخيل إحداهما تحمل عدقين من التمر، وكلب يطارد غزالين، وفي عنقه إنشودة، وقد بدت الغزلان

ثمار. لقد أظهر الفنان أن الأسد والثور في حالة هجوم كل منهما على الآخر وبيان عنصر الحركة من خلال مد الأيدي إلى الأمام والأرجل إلى الخلف والذيل إلى الأعلى وتمدد تكوين الجسد في كلا الرسمين، وظهر الأسد فاغراً فاه. بينما ظهر في كنيسة الشماس توما في عيون موسى مشهد يمثل أسداً يواجه ثور وكل منهما بجانب شجرة، (Piccirillo 1993: 188) وفي كنيسة المعمودية في مادبا رسم أسد يواجه ثور وبينهما عروق الكرمة، (Piccirillo 1993: 119) وفي قصر الحلابات في أرضية فسيفسائية تؤرخ للفترة الأموية، رسم أسد وثور متقابلان في حالة صراع (Piccirillo 1993: 350).

المشهد الثاني

شخص يجني التمر من على شجرة نخيل ذات ساق



١٧. صورة الفرشة الفسيفسائية
(تصوير رافع حراحشة).

إظهار قوته وعنفه. لبس الشخص ثوب قصير بحيث بدت رجلاه وذراعه مكشوفتان، وبدون حذاء، وقد أبدع الفنان بالتعبير عن حالة الخوف والفرع الشديد على الشخص من خلال تعابير الوجه والعينين، وانكماش الجسد والتفاف الأرجل حول ساق الشجرة. ولملء الفراغ في اللوحة رسم الفنان طائر حجل على اليمين.

المشهد السادس

شخص يقف بجانب شجرة، يقف على أغصانها عصفوران، ويحاول الشخص إصطياد أحدهما بواسطة رمح قصير غرزه في بطن العصفور، وقد ظهر الشخص بثوب قصير كشف عن الساقين، وبدون حذاء، وقد التفت عروق الكرمة حول ساق الشجرة وأغصانها.

المشهد السابع

أسد يهاجم شخصاً تسلق شجرة، وأمسك بيده اليمنى رمحاً طويلاً طعن به الأسد بين كتفيه، وقد عبر الفنان عن قوة الطعنه وإصابتها للأسد، بتصوير الدم ينزف من كتفه عند رأس الرمح، في حين يبدو الأسد في حالة هجوم على الشخص، وقد مد يديه إلى الأمام ورجليه إلى الخلف محاولاً الوصول للشخص في أعلى الشجرة وكأنه غير

في حالة ذعر وخوف من كلب الصيد الذي يطاردهما، في حين التفت الغزال الذي في الأمام إلى الخلف ليرى إن كان الكلب مازال يطارده أم لا، ويطمئن على مصير الغزال الآخر، عبر الفنان عن الحركة من خلال اتساع الفضاء ما بين يدي الحيوان وقدميه ومن خلال امتداد الأعناق والرؤوس إلى الأمام والأعلى.

المشهد الرابع

نمر مرقط يطرد غزالين كل منها بجانب شجرة يلتف عليها اغصان الكرمة وقد غطى جسم كل من النمر والغزالين جزء من الساق، أظهر الفنان عنصر الحركة عند الحيوانات من خلال زيادة الفضاء مابين الأيدي والأرجل، ومد الأعناق والرؤوس إلى الأمام والأعلى، ليبرز حالة الجري السريع لها وقد ظهر الغزال الأوسط ينظر إلى الخلف نحو النمر.

المشهد الخامس

شخص يتسلق شجرة تفاح هرباً من دب يهاجمه، يظهر الشخص في حالة خوف وقد تمسك بساق الشجرة بكلتا يديه ولف ساقيه حوله، وقد أظهر الفنان أظافر الدب للمبالغة في

الطاووس، والثمار، وترقيط النمر، ولبدة الأسد وتفصيل اللباس. كما برع الفنان بالتعبير عن عاطفة الشعور بالأمن والسعادة التي يشعر بها الراعي، ومشاعر الخوف والفزع على الشخص الذي يهاجمه الدب، حيث بدى منكشأعلى نفسه في أعلى الشجرة وفزعاً، كما ظهرت مشاعر الخوف والهروب من المصير المحتم على الغزلان التي يطاردها النمر والكلب، في حين برز عنصر التحدي بين أقوى حيوانين الثور والأسد، وهما وجها لوجه بحيث بدى كل منهما غير آبه بالآخر. كما أن التنوع في الألوان ومزجها مع بعض، والتضاد الذي برع الفنان في إظهاره، إنعكس على اللوحة وأعطاهم مزيداً من التناسق في عمق الجمال والخيال، وخاصة أنه رسم مشاهد متعددة وقام بملء الفراغ بأغصان الكرمه والطيور والزخارف الهندسية.

المراجع

أبو عبيلة، محمد

١٩٨٨ خربة الطنطورة، مجلة الآثار، ٢: ٥٢-٥٣.

بيشريللو، ميشيل.

١٩٩٣ مادبا كنائس وفسيفساء، ترجمه ميشيل صباح

وأخرون، مطبعة الآباء الفرنسيين، القدس.

قائش، رنده

٢٠٠٧ عمارة الكنائس وملحقاتها في الأردن في العهدين

البيزنطي والأموي، ط ١، عمان، دار ورد الأردنية

للطباعة والنشر.

De Vries, B.

1993 The Umm el Jimal Project 1981-1992, *ADAJ*, 27:433-455.

Gawlikowski, M, et al.

1986 The Church of Bishop Marianos, *Jerash Archaeological Project*, 1981-1983, 1:137-162.

Desreumaux, A,humbert, B.

1982 La Premiere Campagne de Fouilles a Kh. Es-Samra, 1981, *ADAJ*, 1982. 26:173-182.

Piccirillo, M and Amr, A

1993 A Chapel at Khirbet el Kursi, Amman, LA, 1988. 38:360 - 383.

Crowfoot, J,

1938 GERASA. *City of the Decapolis*, edited by Kraling, (C2: 54 - 55).

مبالٍ بمقاومته، وللتعبير عن شراسة الأسد وقوته أظهر الفنان مخالبه وأسنانه. يلبس الشخص ثوب قصير وحذاء، وساقاه مكشوفتان، ويوجد مع المشهد شكلان، أحدهما إسطواني الشكل، من الأسفل أكثر سماكة من الأعلى، ومربوط في منتصفه حبل، والثاني شبه دائري، وهما من أدوات الصيد تركهما عندما هاجمه الأسد، ويرجح أنهما ترس وكنانة أسهم. وقد ظهر في فسيفساء مقام موسى في جبل نبو، ذات التنوع في المشاهد، رسم شخص يواجه أسداً ويطعنه برمح طويل في فمه، ورسم شخص يطعن لبوة برمح في صدرها، وفي فسيفساء كنيسة الشماس توما في عيون موسى، الغنية بالرسوم الحيوانية المتنوعة، شخص يطعن أسداً برمح، وآخر بنشاب (بيشريللو ١٩٩٣: ٩٨-٩٩).

المشهد الثامن

مشهد متكامل يتكون من راع وحملين وكلب وشجرة تفاح وشجرة رمان يلتف حولهما أغصان الكرمه، ظهر الراعي وقد إنكأ على عصاه عند المرفق، ولف ساقيه على بعضهما ليظهر في حالة إسترخاء واستراحة، ظهر الثوب قصيراً بحيث كشف عن ساقى الراعي وذراعيه. مشاهد الراعي والحملان شائعة في فن الفسيفساء كما ظهر في فسيفساء كنيسة موسى في جبل نبو وكنيسة الشماس توما في عيون موسى (بيشريللو ١٩٩٣: ٩٨-٩٩).

برع الفنان بإبراز عنصر الجمال في اللوحة بالمجمل، فقد مثلت مشاهد من الحياة اليومية، مثل مشاهد حيوانية من البيئة، ومشاهد الصيد بالكلاب، ونمر يطارد فرائسه، وموسم قطف النخيل، ومقاومة حيوانات مفترسة، ومشهد الراعي والحملان، وهذه المشاهد تتكرر في الأرضيات الفسيفسائية التي ظهرت في الكنائس في الأردن من الفترة البيزنطية والأموية. وقد استطاع الفنان كذلك إبراز التعابير والحركة في الرسوم الأدمية والحيوانية، بحيث أظهرها بشكل متقن استطاع من خلالها تجسيد الفكرة وسردها من غير أن يتكلم عنها، فالراعي يرعى بحملانه وهو في حالة استرخاء، مُعبراً بذلك عن حاله الإطمئنان والأمن التي كانت سائدة في تلك الفترة، وقاطف ثمر النخيل يعبر عن الزراعة واهتمام الإنسان بها، وانتشار هوية الصيد والمطاردة في تلك الفترة، يظهر ذلك من مشاهد صيد الطيور، وكلب الصيد الذي يطارد الغزلان، وينافسه في ذلك الحيوانات المفترسة كالنمر والأسد والدب. ويلاحظ قدرة الفنان على إبراز الواقعي في تصوير الوجوه الأدمية والحيوانية، وأجزاء من الجسد، وأصابع الأيدي والأقدام، والعيون، ومخالب وأنياب الحيوانات، وألوان ريش طائر

الكشف عن كنيسة بيزنطية في منطقة عويمر جرش تقرير أولي حول نتائج الموسم الأول و الثاني ٢٠٠٣/٢٠٠٤

عبدالرحيم هزيم الدويكات

Abstract

The site located one km. to the west of the Jerash Archaeological site. No survey and documentation of the site before illicit digging that have taken place in the year 1996 and 2003. due to the disturbed a Necessary measures have been taken by the Directorate of Jerash Antiquities to reveal and to understand the function of place .a seasonal investigation set up by Jun 2003 and April 2004 resulted to demonstrate manifestations of worship to Christianity. Most of the major architectural features exposed to light uncovered several structures whose foundations mostly intact (in-situ) which composed the a semicircular Apse followed by the chancel screen, long Nave flanked by Aisles, Apical transept, multi-use rooms, In addition to colorful mosaic floor of decorative patterns of plant, animal ,geometric and human deformed icons. In addition to a Greek dedicating inscription which contributed to the date of church(chapel) building in the year (605 AD).

صخرية كانت تكثر بها أشجار الزيتون القديم المعروف بالزيتون الروماني والأشجار البرية من أشهرها السنديان والزرعور، والرتم الذي يعد من الأشجار البرية دائمة الخضرة.

حديثاً بدء استصلاح الأراضي الزراعية في المنطقة منذ ما يقارب الثلاثون عاماً حيث زرعت الأشجار المثمرة كالزيتون، والكرمة، والحمضيات.

المسوحات والتنقيبات الأثرية السابقة

رغم المسوحات الأثرية السابقة في محافظة جرش من قبل البعثات الأجنبية بالإشتراك مع دائرة الآثار العامة إلا أنها لم تشر لهذا الموقع كونه لم يكن ظاهراً على السطح

الموقع الجغرافي

تقع منطقة عويمر على بعد (١ كم) من مدينة جرش الأثرية باتجاه الغرب ضمن قطعة الأرض رقم (٢) من حوض رقم (٧) ميسر ذهبون تبلغ المساحة الكلية لقطعة الأرض (٦٩) دونم و ٦٨٩ م^٢ ويحد الموقع من الشمال دير الليات ومن الجنوب وادي أم الدرج الذي كان أحد المصادر للمقالع الحجرية ومن الشرق وادي الدير الغربي (ظهر السرو) ومن الغرب قرية زقريط التي توجد بها معصرة الزيتون الأثرية كما يوجد العديد من المقابر ذات النمط الكهفي التي تحيط بالموقع من جهة الشرق كما و توجد إلى الشمال الغربي خربة أثرية.

وتمثل منطقة عويمر أرض مرتفعة ذات طبيعة

كسر البلاط الفخاري القرميد الذي كان يستخدم لتغطية الأسقف *Roof Tile* وكسر فخارية لجرار التخزين بين الأنقاض وعدد قليل من كسر البلاط الرخامي وعدد كبير من مكعبات الفسيفساء ذات الأحجام والأشكال والألوان المختلفة المنتشرة بشكل عشوائي في مختلف أرجاء الموقع، كما أدى إعادة استغلال الأرض جزئياً المقام عليها الموقع إلى تدمير بعض أجزاء من معالمه المعمارية نتيجة لإستخدام البلدوزر لعمليات تسوية الأرض لغايات الزراعة والتشجير، وكما لوحظ وجود عدد كبير من الحجارة المشذبة كبيرة ومتوسطة الحجم والتي كانت جزءاً من جدران الموقع الأثري منتشرة على أطراف قطعة الأرض حيث أعيد استخدامها في السلاسل الحجرية حديثاً.

كما أدت التعديلات الحديثة على الموقع الأثري من قبل العابثين والباحثين عن الدفائن إلى الكشف عن المدمك الأول من جدار منحنى الشكل وأجزاء من أرضية أزيل بعضاً من أجزائها وهدم أجزاء أخرى من مداميك بعض الجدران التي أظهرتها أعمال الحفر غير المشروع.

تسمية الكنيسة

دخلت الديانة المسيحية إلى مدينة جرش وجوارها في منتصف القرن الرابع الميلادي (٣٥٠ م) حيث شيدت فيها العديد من الكنائس والمصليات ودور العبادة والعلم والتي استمرت حتى القرن السابع الميلادي والتي بلغ عدد المكتشف فيها لتاريخه أربعة وعشرون.

لقد تم بناء المعلم الأثري على موقع مرتفع ومشرف وهو عبارة عن (كنيسة للعبادة والعلم) كون وجودها في منطقة نائية عن مركز الكنائس الموجودة في مدينة جرش الأثرية، لقد تم الكشف عن أرضية فسيفسائية تحتوي على نقش كُتب باللغة اليونانية على أرضية الرواق الأوسط

من جهة، ومن جهة أخرى إن قطعة الأرض مملوكة للمواطنين ومزروعة بالأشجار المثمرة ومحاطة بسلاسل من الحجارة علماً بأن الفرنسي الدكتور "جاك سينة" *Jacques Seigne* الذي سبق وأن قام بأعمال المسح الأثري لحوض جرش لم يسجل أو يذكر هذا الموقع ضمن التقرير الذي نظمه^١.

أما التنقيبات الأثرية فقد تمثلت بقيام مكتب آثار محافظة جرش عام ١٩٩٦م بأجراء مسابر اختبارية *trench test*^٢ بناءً على إخبارية حول وجود تعديلات وحفريات غير شرعية بحثاً عن الدفائن في الموقع أدت نتائجها الأولية للكشف عن معالم أثرية لجدران وإجزاء من أرضيات فسيفسائية إلا أن التقرير الأولي لم يحدد طبيعة المكان ولا الوظيفة المعمارية ويعود السبب في ذلك لعدم مواصلة البحث والتنقيب عن باقي امتداد المعالم المعمارية واكتفى التقرير بوصف موجز للمكان والمعالم التي ظهرت فقط، أما التنقيبات الأثرية اللاحقة التي جاءت نتيجة لتكرار التعديلات على الموقع كانت خلال شهري حزيران، و تموز من عام ٢٠٠٣م وخلال شهر نيسان ولغاية شهر آب من عام ٢٠٠٤ ميلادي^٣.

وصف عام للموقع قبل البدء بأعمال التنقيبات الأثرية

تعرض الموقع للتدمير ويعزى السبب الرئيسي في ذلك على الأغلب للهزة الأرضية التي ضربت المنطقة عام ٧٤٧ - ٧٤٨م، وقد تمت ملاحظة ذلك من خلال الشواهد الظاهرة على السطح المتمثلة في سقوط وتناثر أبدان الأعمدة والعديد من الحجارة المشذبة بالإضافة إلى وجود التصدعات والشقوق في كل من الجدران والأرضيات الفسيفسائية والمبلطة التي كانت واضحة للعيان بعد أن تم الكشف عنها، وعلاوةً كما سبق تم العثور على العديد من

٣. أجريت التنقيبات الأثرية من قبل مديرية آثار جرش بإشراف عبدالرحيم هزيم الدويكات.

٤. أعيد إستخدام الحجارة في بناء السلاسل الحجرية لتحديد حدود قطعة الأرض وقد شاع إستخدام هذا النمط من الحواجز قبل ظهور السياج المعدني.

١. باحث لدى المركز الوطني للبحوث العلمية (فرنسا) مدير البعثة لأثرية الفرنسية في جرش، عند لقائي به شخصياً في جرش عام ٢٠٠٤م دعوته لزيارة الموقع مؤكداً لي بأنه غير وارد ضمن القائمة التي قام بتسجيلها.
٢. بإشراف السيد موسى سعيد الصمادي الذي كان يعمل بوظيفة مفتش آثار آنذاك.

ونباتية محاطة بإطار عريض، يشتمل على صور لطيور وأدوات للصيد بالإضافة إلى تصاوير آدمية على شكل أيقونات شوهت جزئياً، وتحتوي على بعض الحروف اليونانية، كما أعيد ملء الفراغات المشوهة بقطع فسيفسائية بيضاء تختلف شكلاً وحجماً عن الأصل.

كما تم الكشف عن بئر ماء في الزاوية الشمالية الغربية للموقع محفور بالصخر الطبيعي مزود بقناتي ماء محفورتين بالصخر في الجهة الغربية والشرقية لفوهة البئر (خرزة البئر) كسيت جدرانه الداخلية بطبقات من القصارة البيضاء كما تم الكشف عن غرفتين على جانبي الحنية، وفي الزاوية الجنوبية الشرقية للجزء العلوي تم الكشف عن فرن طابون يبلغ قطره حوالي ١٢٠ سم تقريباً. أما نتائج الموسم الثاني (٢٠٠٤م) فقد تمثلت بإستكمال الحفر والتنقيب لبعض أجزاء من الموسم الأول (٢٠٠٣م) في كل من الحنية والرواق الجنوبي وذلك لربط كافة العناصر المعمارية مع بعضها البعض حيث بلغ مجموع المساحة المكتشفة خلال الموسمين (٣٧,٥ x ٢٠م) وقد تم الكشف عن العناصر المعمارية المتمثلة بالمرافق والملحقات المرتبطة بالكنيسة وهي عبارة عن ساحة مكشوفة ذات أرضية مبلطة بقطع من الحجارة (Stone Slaps) في وسطها حوض ماء قليل العمق. كما تم الكشف عن ستة غرف إحداها ذات أرضية فسيفسائية مزخرفة بأشكال هندسية والكشف عن ممر يتكون من سبع درجات محفورة في الصخر الطبيعي تربط بين الساحة المبلطة والمرافق الجنوبية. كما تم الكشف عن كهف في الزاوية الجنوبية الشرقية للجزء السفلي من الموقع والذي من المحتمل أن يكون قد أستخدم كخزان لجمع المياه كما تم الكشف أيضاً عن مدخل مربع الشكل يؤدي إلى نفق يمتد أسفل الرواق الجنوبي والحنية ذي درج محفور بالصخر الطبيعي ويتجه إلى جهة الشرق، بالإضافة إلى كهف يقع أسفل الرواق الأوسط يتم الوصول إليه من خلال ممر ذو درج وبوابة حفرت في الصخر الطبيعي بالواجهة الجنوبية للكهف،

٦. نسبة إلى ما يطلق عليها السكان المحليين.

خلف حاجز الهيكل مباشرة في الجهة الغربية وأبرز ما ورد ضمن النص اسم القديسة صوفيا وسنة بناء الكنيسة بناءً على قراءة وترجمة النص من قبل الدكتور فوزي زيادين والأب ميشيل بيشيريللو^٥ وعليه يمكن أن نطلق عليها اسم كنيسة القديسة صوفيا، نعمت الله بعد إكمال التنقيب عن كامل الموقع في المستقبل القريب.

المخطط المعماري للكنائس البيزنطية بشكل عام

بدأ التطور الحقيقي لعمارة الكنائس في بداية القرن الرابع الميلادي (٣١٣م) بعد إعلان مرسوم ميلان الذي منح الشعب الروماني حرية العبادة حيث اتخذت الكنائس الأولى تخطيطاً معمارياً جديداً عرف بإسم التخطيط البازيليكي *Basilica* وهو عبارة عن قاعة مستطيلة الشكل توسطها حنية مقدمتها إلى الشرق وتقسّم إلى ثلاثة أروقة طويلة يطلق عليها الرواق الأوسط ويدعى صحن الكنيسة *Nave* الرواقين الجانبين الجنوبي والشمالي ويدعى كل منهما *(aisle)* ويفصل بينهما صفيين من الأعمدة التي بدورها تقوم بحمل الأقواس والسقف أما المخطط المعماري لكنيسة (عويمر) زقريطاً فقد اتخذت شكل البناء البازيليكي ذات الغرفتين الملحقتين على جانبي الكنيسة (*Basilica with Apsidal Transept*).

أجزاء الكنيسة ومرافقها ووصف عناصرها المعمارية

يتكون مجمع الكنيسة ومرافقها من جزئين رئيسيين الجزء العلوي الواقع في الجهة الشمالية، ويشتمل على مكان إقامة الشعائر والطقوس الدينية، والجزء السفلي الواقع في الجهة الجنوبية ويشتمل على مكان السكن ويحتوي على العديد من الغرف والملحقات.

تركزت أعمال الحفر والتنقيب في الجزء العلوي/ الشمالي خلال الموسم الأول عام (٢٠٠٣م) وأدى إلى الكشف عن القاعة الوسطى ورواقين جانبيين و حنية وأرضيات فسيفسائية ملونة وبيضاء ذات زخارف هندسية

٥. تم ترجمة النص استناداً على مقابلة شخصية مع الدكتور فوزي زيادين والأب ميشيل بيشيريللو عام ٢٠٠٣ .

العثور على قطع صغيرة من الجص الأبيض المطلي باللون الأحمر (plaster) وعلى الأغلب أن الجدران الداخلية كانت تُزين بالتصاوير والأشكال المختلفة التي تخص الرموز الروحية للديانة المسيحية.

كما أُستخدمت الفسيفساء الصغيرة ذات الأحجام والأشكال المختلفة لرصف الأرضيات (الأرضيات الفسيفسائية) وإستخدم البلاط الحجري (stone slaps) لرصف أرضيات الساحات المكشوفة والممرات والأدراج وإستخدم الحجر الرخامي الأبيض والبلاط الفخاري (القرميد) Roof Tile لتغطية الأسقف.

تأريخ الكنيسة

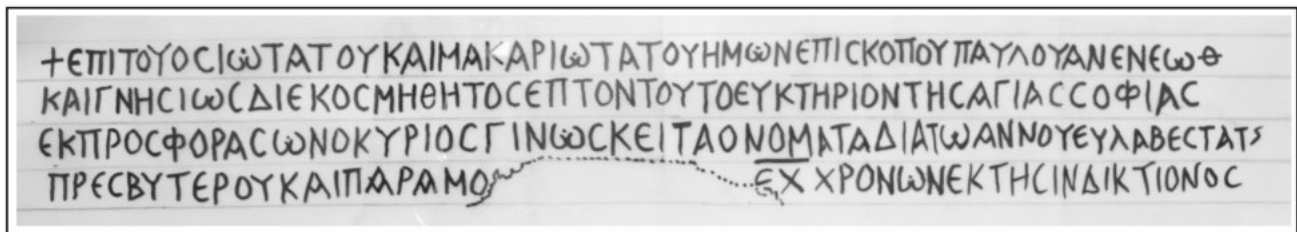
معظم كنائس الأردن خاصةً، وبلاد الشام عامةً أرخت من خلال النقوش التذكارية والتدشينية التي عادة تكون مندمجة مع الأرضيات الفسيفسائية، وكذلك من خلال المكتشفات واللقى الأثرية سواء كانت قطع عملة أو أدوات مختلفة، تم العثور في موسم التنقيبات الأول ٢٠٠٣ على نص تذكاري كُتب باللغة اليونانية القديمة على الأرضية الفسيفسائية في الرواق الأوسط خلف حاجز الهيكل مباشرة (غرب) مؤلف من أربعة سطور بطول ثلاثة أمتار وخمسون سنتيمتر، وبعرض خمسة وأربعون سنتيمتر^٧ (الشكل ١)^٨.

وتوجد به قبور أرضية حفرت بالصخر لم يتم العثور على محتوياتها والتي من المرجح أنها تعرضت للتعديات في مختلف الحقب والعصور التاريخية.

ونظراً لأهمية الموقع وتكامل عناصره المعمارية التي تم الكشف عنها خلال الموسم السابقين فالموقع بحاجة إلى المزيد من التنقيبات الأثرية على وجه التحديد في الجهة الشمالية الشرقية من الموقع خلف الحنية وذلك لمعرفة الغاية والوظيفة للنفق أو (الممر السفلي)، أيضاً في الزاوية الجنوبية الشرقية لمعرفة أهمية وجود الكهف السفلي وغايات استخدامه بالإضافة إلى الجهة الغربية للكشف عن المرافق والساحات المحيطة بمبنى الكنيسة، وذلك لإظهار الموقع بشكل متكامل حسب المخطط المعماري في الفترة البيزنطية.

المواد والتقنيات المستخدمة في بناء الكنيسة

نظراً لطبيعة المنطقة وتوفر المواد الخام فقد أُستخدمت الحجارة الجيرية (الصلبة) ذات الأشكال والأحجام المختلفة علاوة على إعادة استخدام قطع الحجارة المشدبة والأعمدة الإسطوانية والتأجيات ذات الطراز الكورنثي التي تعود للفترة الرومانية حيث أُستخدمت الحجارة المشدبة غالباً في بناء الواجهات الخارجية للكنيسة أما الجدران الداخلية فقد أُستخدمت فيها الحجارة الأقل جودة وكسيت واجهاتها بطبقات من القصارة، وقد أشارت الدلائل الأولية من خلال



١. نقش التكريس على طول عتبة الهيكل.

٧. يدبر الحفريات الأثرية وأعمال الترميم في مقام النبي موسى، جبل نيبو، مادبا، الأردن "Michele Peicrillo" وباللغة العربية الدكتور فوزي زيادين دائرة الآثار العامة.

٧. نقش التكريس على طول عتبة الهيكل طول (٣,٥ سم) عرض (٥,٤ سم) طول الحرف (٩ سم) يبدأ برمز صليب.
٨. قرأ وترجم النص باللغة الإنجليزية الأب ميشيل بيشيريللو الذي

السطر الاول

(keeper) .. broken in the year 605 the sixth indication year (542- 543 AD) ”

” للأكثر شهرة للكهنة والقائمين على خدمة هذا المصلى في سنة ٦٠٥ ”

ΕΠΙΤΟΥΟCΙΩΤΑΤΟΥΚΑΙΜΑ
ΚΑΡΙΩΤΑΤΟΥΗΜΩ†ΝΕΠΙC
ΚΟΠΟΥΠΑΥΛΟΥΑΝΕΝΕΩΘ

“At the time of the most pious and blessed Paul our bishop was renovated ”

”في عهد جزيل القداسة والطوبى اسقنا بولص جددت”

اللقى الأثرية

لقد تم العثور على العديد من الكسر الفخارية ومكعبات السيفساء الملونة والبيضاء وعدد قليل من الأسرجة الفخارية ذات الطراز البيزنطي إحداها متعدد الزخارف ذات الطابع الديني، وكسر من الحجر الرخامي الأبيض وقطع من البلاط الفخاري (القرميد) وقطع عملة معدنية (غير واضحة المعالم) ومذابح حجرية صغيرة الحجم وحجرين كبيرين عليهما نقش بارز لطائر ذو رقبة طويلة أقرب ما يكون لشكل (الإوزة) وكافة هذه المعثورات مسجلة ضمن قوائم في مستودع التنقيبات الأثرية التابع لمديرية آثار جرش وجميعها بحاجة إلى المزيد من الدراسة والتحليل.

السطر الثاني

ΚΑΙΤΝΗCΙΩCΔΙΕΚΟCΜΗ
ΛΗΤΟCΕΠΤΟΝΤΟΥΤΟΕΥΚ
ΤΗΡΙΟΝΤΗCΑΓΙΑCΦΙAC

“ and well beautified the noble prayer chapel of the holy Sophia”

”تم باتقان تزين هذا المصلى للسعيدة القديسة صوفيا ”
”حكمت الله السيد المسيح”

السطر الثالث

ΕΚΠΡΟCΦΔΡΑCΩΝΟΚΥΡΙΟ
CΓΙΝΩCΚΕΙΤΑΟΝΟΜΑΤΑ
ΔΑΙΩΑΝΝΟΥΕΥΛΑΒΕCΤΑΤC

“ by offering of those whose names the Lord knows by care of John ”

”تقدمة من الرعية التي يعرف اسماءهم الله برعاية السيد يوحنا”

السطر الرابع

ΠΡΕCΒΥΤΕΡΟΥΚΑΙΠΑΡΑΜΟ
[MISSING LETTERS] ΕΧΧΡΟΝ
ΩΝΕΚΤΗCΙΝΔΙΚΤΙΟΝΟC

“ the most illustrious priest and paramonarios

الخلاصة

نظراً لأهمية الموقع وظهور معظم عناصره المعمارية فالموقع بحاجة إلى المزيد من التنقيبات الأثرية الموسمية المنظمة للكشف عن باقي العناصر المعمارية وربطها بالمعالم المعمارية المكتشفة مع إتخاذ الإجراءات الوقائية اللازمة لأعمال الصيانة والترميم الفورية المرافقة للمواسم اللاحقة، وحرصاً من دائرة الآثار العامة فقد تم إدراج الموقع ضمن قوائم الإستملاك لحمايته من التعديات والمحافظة عليه كإرث حضاري^٩.

(٣٩٢) حوض(٧) ميسر ذهبون من أراضي دير الليات محافظة جرش، مديرية الشؤون القانونية والإستملاكات، دائرة الآثار العامة.

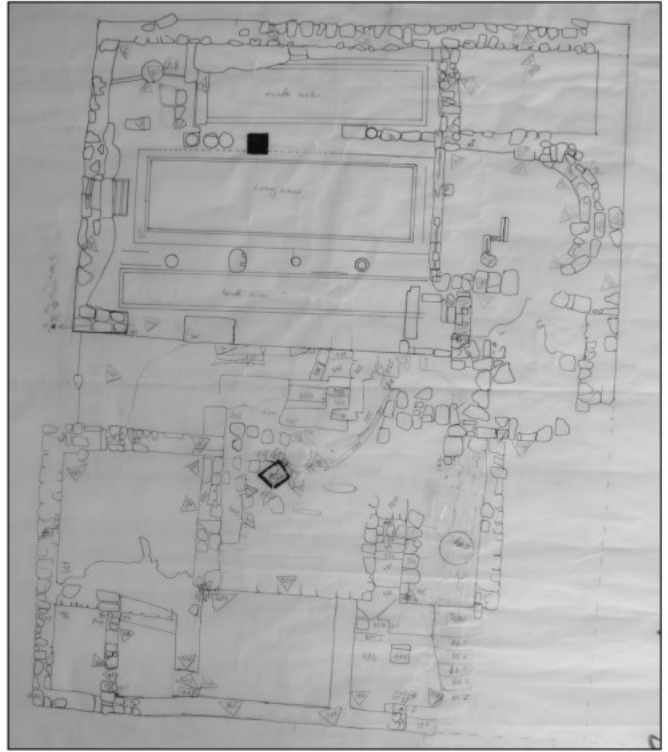
٩.صدر قرار الموافقة على الاستملاك بتاريخ ٢٠٠٧/٩/١١ تبلغ المساحة المستملكة ٥ دونم و٢٥٦٠ رقم القطعة بعد الإستملاك



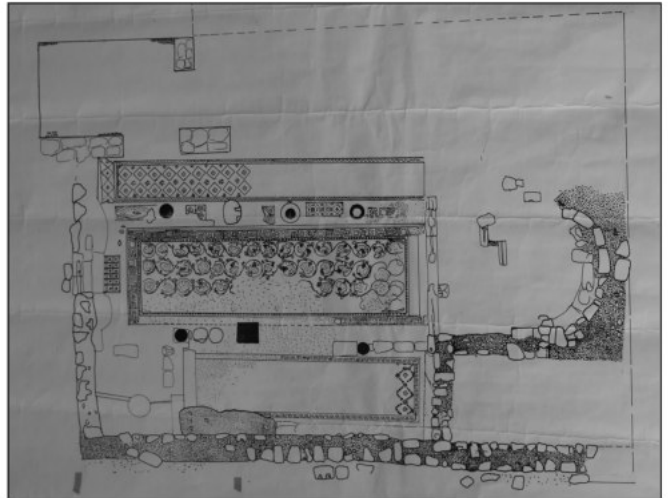
٣. منظر عام للحنية قبل البدء بالتنقيبات الأثرية ٢٠٠٣.



٢. منظر عام للموقع قبل البدء بالتنقيبات الأثرية - غرب ٢٠٠٣.



٤. مخطط عام للأجزاء المكتشفة من الكنيسة.



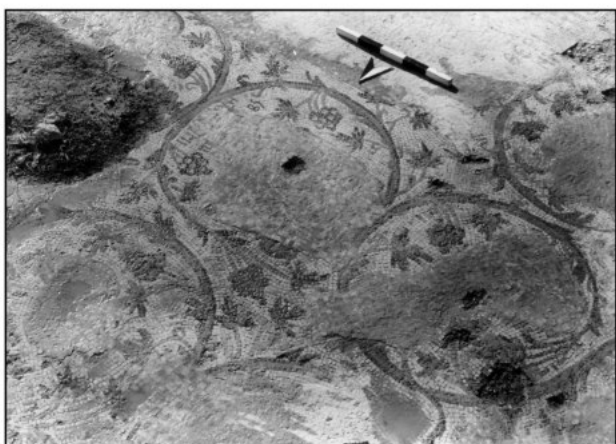
٥. مخطط عام يبين الصحن والاروقة والمحراب.



٧. منظر عام للدرج المؤدي الى المرافق السفلية في الجهة الجنوبية مع المخطط العام للكنيسة.



٦. بوابة من الحجر عليها زخرفة بارزة يتوسطها بقايا المقبض.



٩. نموذج من زخرفة الارضيات الفسيفسائية على هيئة عناقيد الكرمة (الرواق الاوسط).



٨. منظر عام لمدخل الكهف الممتد اسفل الصحن و الحنية.



١١. غرفة الطائون في الجزء الجنوبي الشرقي من المخطط العام للموقع.



١٠. نموذج لجزء من ارضية المحراب الفسيفسائية كنيسة زقريط - جرش.



١٣. نحت بارز على الحجر الشذب شكل هندسي.



١٢. نحت بارز لصليب على حجر مشذب.



١٤. سراج فخاري كامل ذو مقبض مرتفع على هيئة رأس حيوان.

المراجع

Clark, V, A.

1986 The Church of Bishop Isaiah at Jerash. Pp 303-318 In *Jerash Archaeology Project*.

Zayadine, F (ed)

1981-1983 *Jerash Archaeology Project*, Department of Antiquities.

Kraeling, K, H.

1938 The History of Gerasa, New Haven: ASOR.

Janson, H, W.

1977 **A History of Art, Early Christian and Byzantine**: London.

خوري، ميسون

١٩٩٠ الأرضيات الفسيفسائية في كنيسة اليصيلة

دراسة مقارنة مع بعض أرضيات الكنائس في

شمال الأردن، رسالة ماجستير غير منشورة،

جامعة اليرموك.

كواكبي، نزيه

١٩٨٢ تاريخ العمارة، عمارة فجر المسيحية والبيزنطية،

دمشق:المطبعة التعاونية.

هورست ولدymar جانسون، ودورا جين جانسون

١٩٩٥ تاريخ الفن، ترجمه عصام التل، وراجعه رندة

قاقيش، الجزء الأول.

كل الطرق تؤدي إلى مكة، سيراً على الأقدام، على ظهور الجمال أو عن طريق الآلة البخارية، درب الحج الشامي، السوري الأردني (القرن السابع إلى القرن العشرين)، قراءة جديدة بالاعتماد على تطبيقات نظم المعلومات الجغرافية

كلودين دوفان، محمد بن جدو و جون ماري كاستاكس

Abstract

The major GIS and Landscape Archaeology Project, "Fallahin and Nomads in the Southern Levant: Population Dynamics and Artistic Expression", conducted in Jordan since 2008, has demonstrated that three factors had a direct impact on site distribution: agrological potential, water sources and road networks. Literary, archaeological and cartographic data were collated, as well as constraints of the landscapes (relief, slopes and quality of soils) taken into account in order to reconstruct the Mediaeval Darb al-Hajj al-Shami within its natural environment, with twelve stop-overs, stretching from Damascus to Mecca and bisecting Jordan longitudinally (7th-15th centuries).

اعتمد هذا البحث على دراسة ١١٧٠ موقع أثري بجنوب الأردن، داخل حيز زمني يمتد من العهد البيزنطي (٣٢٥ - ٦٣٦) ميلادي حتى عهد المماليك (١٢٥٢ - ١٥١٧) ميلادي، وذلك في إطار مشروع البحث المتعلق بالفلاحين والبدو الرحل بجنوب الشام من البيزنطيين الى

الجزء الأول

في ذكرى رحيل امرأتين فاضلتين: كريستال ماري بينيت (١٩١٨-١٩٨٧)، الخبيرة بالآثار الأردنية والمتخصصة بآثار مدينة أدوم، مؤسسة المدرسة البريطانية للآثار في القدس (١٩٦٨-١٩٧٨)، مؤسسة وأول مديرة للمعهد البريطاني، مجلس الأبحاث البريطانية في بلاد الشام، عمان (١٩٧٨-١٩٨٣)، الى جانب "الحاجة" ريني دوفان جوفراي (١٩١٣-٢٠١٤)، كاتبة صحفية متخصصة بشؤون الشرق الأوسط، عضو فريق مشروع دراسة "الفلاحين والبدو الرحل جنوب بلاد الشام بين العهدين البيزنطي والمملوكي"، والتي احتفلت بعيد ميلادها المائة يوم ٣٠ نوفمبر ٢٠١٣، وقد شاركتنا، للمرة الأخيرة، في سلك درب الحج الشامي، بالأردن، خلال العهدين الإسلامي والعثماني (الشكلين ٢،١). ربيع سنة ١٩٧٣، كان اللقاء الذي جمع السيدتين في مدينة القدس، والذي نتج عنه تلاحم جميل ومشاعر طيبة. لا زالت صورة كل منهما ترسم في اذهاننا بنفس الحب والاعجاب.



١. كريستال بينيت بصحبة الأب رولاند الدومنيكي دو فو بصدد معاينة قطع من الخزف: حفريات السيدة كاتلين كينيون بأريحا، ١٩٥٢ - ١٩٥٦ (Simon Bennett ©).



٢. ريني دوفان-دوفراي، كاتبة صحفية في الجيش العربي الفرنسي السويسري، وبصحيفة المصرية، ومراسلة الفيلق العربي خلال حرب فلسطين الأولى (١٩٤٨ - ١٩٤٩)، المقر الرئيسي للفيلق العربي، القدس القديمة ماي ١٩٤٨ (صورة © Claudine Dauphin Jacques Dauphin).

الأنباط إلى غزة والعريش (Groom 2002).

نفس اتجاه هذا الطريق جنوب - شمال اتخذه المسلمون لفتح فلسطين وسوريا بين سنتي ٦٣٤ - ٦٣٦ ميلادي.

(Dauphin 1998: 361-366, Fig. 108).

أثبت اعتماد تحليل "الاتجاه العام للمعالم الخطية"، أنّ الاتجاه الذي يغلب على شبكة الطرقات القديمة كان يتسم بهيمنة المحور شرق-غرب، مروراً بنهر الأردن، وتحديداً في اتجاه القدس، المدينة التي كانت تمثل نقطة محورية لكل المنطقة (الشكل ٣، يسار).

المماليك: ديناميّة السكان وتنوع أشكال التعبير الثقافي. وقد اثبتت هذه الدراسة أن توزيع السكان يعتمد أساساً على العناصر الثلاث: مدى صلاحية التربة للزراعة، عنصر توفر المياه (الأنهار والعيون) وأخيراً شبكة الطرقات القديمة (Dauphin and Ben Jeddou) (2012, 2013).

شبكة الطرقات القديمة وتوزيع السكان

أظهرت عمليات التحليل الاحصائية المكانية (تحليل مقياس المسافة الموزونة وكذلك تحديد خرائط البقع الساخنة والباردة (المرتفعة والمنخفضة) التي تهدف إلى قياس المسافة الفعلية التي تفصل الموقع عن شبكة الطرقات القديمة)، تغييرات أساسية شهدتها الطرقات القديمة بجنوب الأردن على إثر الفتح الإسلامي.

خلال الفترة البيزنطية، كانت تجارة التوابل التي تأتي من بلاد الهند والشرق الأقصى، تتبع "طريق تراجان الجديد"، والذي امتد من ميناء إيلة على خليج العقبة إلى دمشق، مروراً بالبترا، التي كانت محطة استراتيجيّة تقع في نفس الوقت على طريق تجارة البخور القادم من جنوب الجزيرة العربية، حيث كانت تجلبه قوافل الجمال والقوارب إلى قاني بخليج عدن، لتخزينه هناك، ثم يقع نقله إلى شبوة ثم تمنع ومأرب قبل أن تتجه قوافله شمالاً إلى نجران، ومنها إلى المدينة ثم البترا ومن هناك تتجه غرباً عبر مدن

بدائرة الآثار الذي اصطحبنا في رحلتنا للحصول على مختلف الخرائط، نادية القيسي، سكرتيرة بمعهد الأبحاث البريطاني في بلاد الشام، عمّان، وذلك حتى ابريل ٢٠١٦ التي قدمت لنا مساعدة قيمة في العديد من المجالات، ساعدتنا دون شك على إنجاز مهمتنا.

نتوجه كذلك بالشكر الى معهد الأبحاث البريطاني في بلاد الشام، عمّان، لتبنيه تبنى مشروع بحثنا، وكذلك التمويل الذي تفضلت به مؤسسة أغسطس (موناكو - لندن) منذ سنة ٢٠١٤ والاهمية التي أولتها لانجاح عملنا.

وفي النهاية، لا يمكن أن ننسى المساندة التي لا تقدر بثمن التي قدمها لنا فتوح البناء، تقني كمبيوتر بدائرة الآثار العامة، والذي توفي سنة ٢٠٠٩، رحمه الله، وخاصة في سنة ٢٠٠٨ حيث اصطحب الدكتور محمد بن جدو الى سوريا، وكان طريق العودة من دمشق، هو نفس الطريق لقافلة الحج العثماني، محيين بذلك ذكرى رومانية تمتد لأكثر من ٦٠ سنة للكاتبة الصحفية ريني دوفان جوفراي لهذا الجزء الأردني من درب الحج الإسلامي والعثماني.

و نحن نتناول بالدرس "درب الحج الى مكة"، بالاعتماد على أنظمة المعلومات الجغرافية، نتمنى ان يكون هذا العمل، مساهمة في تكريمهم وأحياء ذكراهم.

١. تم جمع المادة المتعلقة بهذا البحث بالاعتماد على محاضرة نظمها المعهد البريطاني في عمان بمناسبة الذكرى ٢٦ على رحيل مؤسسته باحثة الآثار كريستال بينيت، بعنوان "رحلة الحج إلى مكة سيراً على الأقدام وعلى ظهور الجمال: درب الحج في الأردن"، بتاريخ ٢٥/٠٥/٢٠١٥ في مركز الحسين الثقافي، تحت رعاية سمو الأمير الحسن بن طلال المعظم، وبحضور سمو الاميرة عالية بنت الحسين وسمو الاميرة سميرة بنت الحسن وامين عمان الكبرى عقل بلتاجي.

ونود في هذه المناسبة أن نتوجه بالشكر والتقدير العميق إلى مدير عام دائرة الآثار العامة الدكتور منذر جمحاوي، ومساعدته كذلك جهاد هارون، لتمكيننا من فرصة الاطلاع على قاعدة البيانات الجغرافية للآثار في الشرق الأوسط (MEGA/JADIS). وكذلك لمساعدتنا في الحصول على الخرائط الطبوغرافية للمملكة الأردنية الهاشمية بالمركز الجغرافي الملكي بعمّان والخرائط المتعلقة بالتربة بوزارة الزراعة، الخرائط الجيولوجية بوزارة الطاقة والثروة المعدنية، وكذلك البيانات الرقمية المتعلقة بالأبار والعيون، بوزارة المياه والري.

كما نود بهذه المناسبة أن نشكر الدكتور عبدالقادر الحصان لمعلوماته القيمة التي أفادنا بها خاصة فيما يتعلق بدرب الحج العثماني، وكتبية الدسوقي، مساح أثري



٣. الاتجاه العام للمعالم الخطية: على الشمال:
الفترة البيزنطية، على اليمين: الفترة الإسلامية
- المملوكية.
(خريطة: © M. Ben Jeddou, C. Dauphin, Castex, J.-M.).

اتجاه الصلاة، قال تعالى: (أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أُنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدَهُ مِنْ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٠) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤١) سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (سورة البقرة: الآيات ١٤٠-١٤٢)، من القدس الى مكة، مولد الرسول صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ) (سورة البقرة: الآية ١٤٤) سنة ٦٢٤ ميلادي (في العام الثاني للهجرة).

خلال العهد الأموي، اتخذت طرق التجارة وجهة معاكسة، تميّزت بسيطرة المحور: شمال - جنوب، وهو الاتجاه الذي تسلكه قوافل الحج التي تنطلق من دمشق الى مكة، صاحب ذلك انتقال مركز الثقل من مدينة القدس لفائدة مدينة غزة في الجنوب الغربي (الشكل ٣، يمين). كانت هذه الأخيرة محطة رئيسية تتلاقى فيها بضائع الشرق والغرب، وجسراً للقوافل التجارية وذلك حسب خط يتجه نحو معان ثم ينعطف نحو الجنوب الشرقي للوصول إلى مكة.

من الملفت للانتباه أن التغيير في المشهد الطبيعي من المدينة، مدينة القدس - مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (سورة الإسراء: آية ١) إلى صحراء مكة، مدينة الدين الجديد، صاحبه كذلك تحوّل في



٤. العقيد جمال عبد الناصر، رئيس مصر (على الشمال)، مع وزير الدولة أنور السادات (على اليمين) أثناء أداء مناسك الحج، بتاريخ ١٦ أكتوبر ١٩٥٤، وعند وصولهما كان في استقبالهما الملك سعود، ملك المملكة السعودية.

الراشدين بعملية الإشراف على الحج بأنفسهم انطلاقاً من المدينة المنورة (تبعد مسافة ٤٣٠ كم على مكة) مقر إقامة الخليفة حتى عهد الخليفة علي بن أبي طالب (٦٠٠-٦٦١) ميلادية. و تروي المصادر التاريخية أنّ الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يشرف بنفسه على موكب الحج طيلة سنوات حكمه (٦٣٥-٦٤٤) ميلادية، وكذلك فعل خليفته عثمان بن عفان رضي الله عنه حتى وفاته سنة ٦٥٦ ميلادية.

كما تمت في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمارة وتوسعة المسجد الحرام، وكذلك قام الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه بتوسعة الحرمين الشريفين بالحجاز.

مقابل ذلك، اقتصر عمل الخلفاء الآخرين في البداية على الاعتناء بالمدينتين الشريفتين (مكة المكرمة والمدينة

أظهرت دراسة درب الحج الشامي الى مكة، منذ الفتح الإسلامي حتى القرن العشرين، تمكنت أدوات التحليل الإحصائي المكاني في تحديد هذا الطريق، و تتبع مراحل تطوره، لا سيما في الجزء الأردني منه.

الحج

قال تعالى: (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَخْلُقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ). (سورة البقرة الآية: ١٩٦).

قيادة الحج: الجمع بين السياسي والمقدس (الشكل ٤)

في شهر مارس ٦٣٢ ميلادي قبل وقت قصير من وفاة النبي في المدينة المنورة، عزم النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أداء فريضة الحج، وجمع بين الحج والعمرة، ثم خطب في الناس خطبته التي عرفت بخطبة الوداع والتي تعتبر دستور الإسلام، حث فيها المسلمين على الاتحاد وحذرهم من التفرقة ونادى بالمساواة بين الناس جميعاً.

(Abd al-Haleem 2012 : 31-32).

قاد الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه موكب الحج، وكان ذلك بمثابة سنة من بعده، ارتبطت بالإشراف على عملية الحج، والافتداء بها لاحقاً، حيث إن الإشراف على عملية الحج أصبح يشكل مظهراً من مظاهر ممارسة سلطة الدولة، لا سيما فيما يتعلق بحماية الحجاج وأمنهم في مواجهة العطش، الجوع ومخاطر القبائل البدوية طيلة الرحلة.

بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، حافظ الخلفاء

كلودين دوفان وآخرون: كل الطرق تؤدي إلى مكة

في السنة الثانية من حكمه، قام هشام بن عبد الملك (٧٢٤ – ٧٤٣) ميلادي آخر الخلفاء الأمويين، بتأدية مناسك الحج، مصحوباً بقافلة تعد ٦٠٠ بعير لحمل المؤونة، و قد أمر بشق قنوات الري، وحفر الآبار وإنشاء البرك على طريق الحج الشامي من دمشق الى مكة (Kennedy 92: 77-2012).

طرق الحج (الشكل ٥)

طريق الحج العراقي: درب زبيدة

في سنة ٧٥٠ ميلادي، استطاع العباسيون أن يزيحوا الأمويين، و قد سمي العباسيين كذلك نسبة إلى العباس ابن عبد المطلب، عم الرسول صلى الله عليه وسلم، الذي ينحدرون منه.

بدأت دعوتهم في جنوب الأردن، من الحميمة، نقل العباسيون مقر حكمهم إلى العراق، فأصبحت قافلة الحج السلطانية تنطلق من الكوفة، ثم من بغداد، (العاصمة الجديدة للخلافة) بداية من سنة ٧٢٦ ميلادي، فكان على القافلة أن تقطع الصحاري الشمالية للمملكة السعودية حالياً للوصول إلى مكة.

كانت الطريق العراقية تمتد على مسافة ١٣٠٠ كم تتخللها تضاريس متباينة، صحاري، جبال، أو سهول حجرية متواضعة تتخللها واحات. في مناطق عديدة، وقد وقعت تنقية الطريق من الحصى، أو نحتها وسط الصخور لا سيما في المناطق الجبلية، وتم تهيئة الطريق من خلال إزالة الحجارة والحصى وشق الطرق في المناطق الجبلية وتثبيتها على أرض رملية سميكة، نظراً لتسهيل مرور قوافل الحجاج.

أمر الخليفة عبدالله بن العباس وكنيته أبو العباس (٧٥٠-٧٥٤) ميلادي بإقامة علامات ومنارات ومشاعل ومواقد توضح مسار الطريق، ليَهتدي بها المسافرون ودوابهم ليلاً، هرباً من حر الشمس نهاراً.

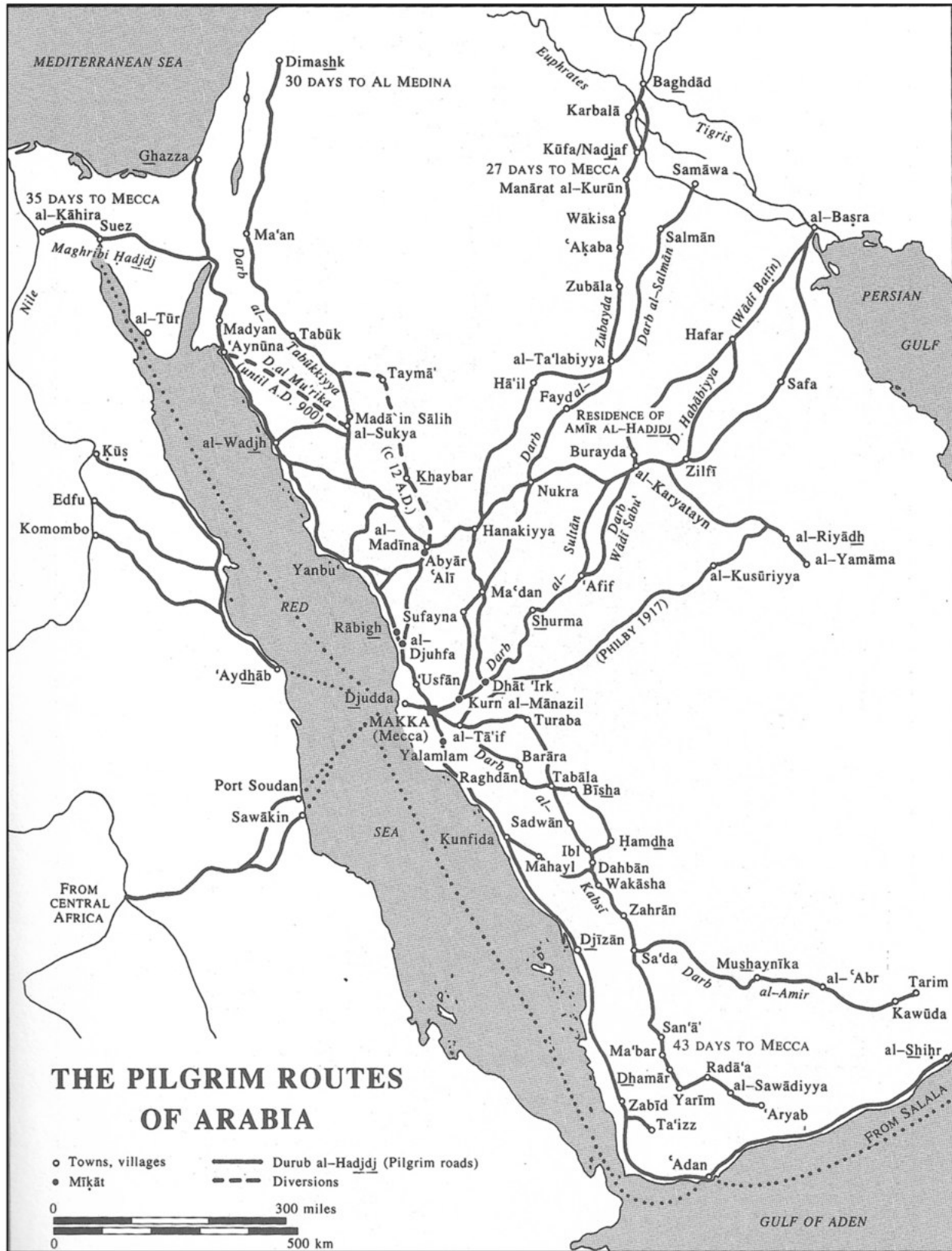
المنورة)، بالإضافة إلى بناء المساجد ومرافق الحجاج. وقد تم نقل مقر الخلافة من المدينة النبوية بالحجاز إلى الكوفة في أرض العراق، في عهد الخليفة علي كرم الله وجهه، ثم إلى دمشق في عهد معاوية بن ابي سفيان (٦٦١-٦٨٠) منافس علي وخليفته.

منذ بداية حكمه سنة ٦٦١ ميلادية، أولى معاوية مكانة هامة للحج، وقد اقترن ذلك بأمرين أساسيين: تسييس عملية الحج من جهة، ومن جهة أخرى إتخاذ جملة من الإجراءات تهدف إلى تسهيل أمور الحجاج، ومن ذلك أنّ كسوة الكعبة أصبحت من أمر الخليفة، وذلك بهدف إضفاء طابع شخصي وسياسي.

يذكر البيهقي (المتوفى سنة ٨٩٧) ميلادية أن العامة كانت ترى أن الخلافة تحق لمن كان بيده أمر الحرمين الشريفين (مكة والمدينة)، ولمن أقام الحج للناس، وقد أشرف معاوية على الحج في مناسبتين، إضافة الى تعيين اقاربه واصهاره على رأس قوافل الحج (AL- y'qobi: 188: 1883).

وفي هذا الإطار، فقد قام معاوية بتولية ابنه يزيد على رأس الغزوات العسكرية الصيفية ضد البيزنطيين، ثم مشرفاً على أمور الحج، في محاولة لتقديمه في صورة زعيم حقيقي جدير بتولي شؤون الأمة الإسلامية، على الرغم من المعارضة الجدية لاتجاه الخلافة عن طريق التوريث، و هو ما انتهى بأزمات دراماتيكية.

في سنة ٦٩٥ ميلادية، قرر الخليفة عبد الملك بن مروان (حكم بين ٦٨٥ – ٧٠٥) ميلادية، تأدية الحج، بهدف تثبيت حكمه أمام الحجاج وأمام العامة في الحرمين الشريفين، كما أنّ ولده وخليفته على العرش: الوليد الأول (٧٠٥ – ٧١٥) ميلادي أدى فريضة الحج مرة واحدة و كان ذلك سنة ٧١٠، في حين أعطى الأمر لحفر آبار في منطقة الحجاز، و تهيئة الطرقات لتسهيل حركة القوافل لا سيما في المناطق الوعرة، كما عمل على تزويد مكة بمياه الشرب.



٥ . طريق الحج إلى مكة (Peters 1994: xxiv).

(خريطة ١ مقابل الصفحة xxiv (Peters 1994, Princeton University Press, Princeton 1994, The Hajj, F. E. Peters). ©)

كلودين دوفان وآخرون: كل الطرق تؤدي إلى مكة

" يتجلى مثال الأعمال الخيرية النبيلة في شخص أم جعفر زبيدة كانت لها عناية بإصلاح السبل وعمارته، وتشبيد الخانات على طريق الحاج من بغداد إلى مكة، فجعلت فيه المرافق والبرك والآبار والمنازل التي لا تزال موجودة حتى يومنا هذا (كتاب مروج الذهب ومعادن الجواهر). ولهذا السبب أطلق على الطريق العراقي للحج اسم درب زبيدة (Loiseau 2014: 66-67). كان هارون الرشيد آخر الخلفاء العباسيين الذين استعملوا هذا الطريق للحج.

الفاطميون، الأيوبيون والمماليك : درب الحج المصري الفاطميون

حاولت الدولة الفاطمية منذ سنة ٩١٣ ميلادي فتح مصر عدة مرات حتى تمكنت من ذلك في سنة ٩٦٩ ميلادي، حيث قاموا بتأسيس عاصمتهم الجديدة: القاهرة، خارج مدينة الفسطاط، العاصمة التي يعود تاريخها الى سنة ٦٤٢ والتي شيدت إبان الفترة البيزنطية على يد عمرو بن العاص عقب فتح مصر. (Raymond 1993: 13- 85). كان الفاطميون يقدمون أنفسهم على أنهم المشرفين على عملية الحج، وخلال هذه الفترة، كانت كل من القاهرة ودمشق نقطة انطلاق لقوافل الحجيج، إلا أنّ القافلة المصرية كانت تحظى بأهمية أكبر، إذ أنها كانت تحتوي إلى جانب الحجاج المصريين الحجاج القادمين من الأندلس والمغرب عن طريق البر أو البحر وكذلك إفريقيا جنوب الصحراء، وخاصة مملكة مالي المتحولة إلى الإسلام. كانت بداية الرحلة من بركة الحاج الواقعة ١٥ كم شمال القاهرة، حيث تنطلق القافلة إلى القلزم (السويس)، تقطع صحراء سيناء، وفي العقبة تلتقي مع قافلة الحج القادمة من غزة غرار الخليل ينضم إليها الحجاج القادمين من القدس. ثم تسير بمحاذاة الساحل الشرقي للبحر الأحمر، وهو جزء خطير تنتشر فيه الآبار التي غالباً ما تكون بدون ماء. تقطع القافلة خلال هذه الرحلة ١٦٠٠٠ كم في ٣٥ يوماً وهي

وعلى غرار أحجار المسافة (الأميال) التي أقيمت على امتداد الطرق الشامية بأمر من الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (AL-Rashid 1980: 229- 241)، وقع اكتشاف علامتي مسافة على طريق الحج العراقي، على أحدهن وقع ذكر المسافة عن طريق الإشارات الإرشادية الرومانية في حين استعملت وحدة قياس (المسافة التي يقطعها المسافر في يوم واحد) في العلامة الأخرى.

على هذه الطريق، أقيمت خزانات مياه (برك) مربعة او مستطيلة الشكل (٣٠-٥٠ متر/ بعمق ٥ م)، واستخدمت الحجارة في بناء الجدران مع تغطيتها بطبقة جصية، وكان بإمكان الحجاج دخول هذه الخزانات عن طريق درج حجري. كما تم انشاء قلاع وخانات لإيواء العابرين، الذين كان اغلبهم ينامون في خيام، او في الهواء الطلق ملفوفين في ملابسهم.

قامت الخيزران وهي زوجة الخليفة المهدي ووالدة الخليفة هارون الرشيد مناسك الحج في عامي ٧٧٦ و ٧٨٨ ميلادي، وفي أثناء زيارتها الثانية قامت بشراء منزل الرسول وقامت بتحويله إلى مسجد.

أما شغب وهي زوجة الخليفة العباسي المعتضد وأم الخليفة العباسي المقتدر بالله، فقد وزّعت على الحجاج المحتاجين ألف ألف دينار من ممتلكاتها وقدمت العديد من التبرعات إلى المدن المقدسة. ومع ذلك، فإن الطريق ارتبطت بزبيدة بنت جعفر، حفيدة الخليفة المنصور، التي كانت تقية وورعة جداً، وهي زوجة الخليفة هارون الرشيد (٧٨٦-٨٠٩) ميلادي، الذي كرّس جزءاً كبيراً من ثروته الشخصية لتطوير البنية التحتية لخدمة القوافل (محطات الراحة، والتزود بالوقود وخزانات المياه). كما أنها تنافست في الكرم مع زوجها، و عرف عنها تأديتها لمناسك الحج في كثير من الأحيان، وقد قام هارون الرشيد بالحج تسع مرات في حياته (Kennedy 2012 : 106). كما كتب المؤرخ الموسوعي المسعودي (حوالي ٨٩٦-٩٥٦) ميلادي ما يلي:

المسافة بين القاهرة ومكة.

في سنة ١١١٥ ميلادي، أصبحت العقبة تحت سلطة الصليبيين، فنتج عن ذلك تغيير مسار قافلة الحج المصري نحو الجنوب، حيث كان الحجاج المصريون يركبون السفن النيلية إلى قوص، ادفو أو كوم امبو، لتقطع الصحراء الشرقية في اتجاه عيذاب ثم يعبرون البحر إلى جدة.

وبرغم أن الخلفاء الفاطميين لم يسلكوا طريق الحج المصري، إلا أنهم كانوا يمارسون سلطتهم على مكة عن طريق مؤونة الحبوب التي كانت تصاحب قافلة الحج، لتستفيد منها مكة والمدينة بهدف تلبية حاجيات الحجاج السنوية. وقد استعمل الفاطميون سلاح الحبوب، بالإمتناع عن إرسالها إلى مكة كلما حاول أميرها التمرد على الولاء الفاطمي، وذلك مثلما حدث سنة ٩٧٦ ميلادي. ومنذ البداية، أهتم الحكام الفاطميون بإرسال كسوة الكعبة كل عام من مصر، وكانت هذه الكسوة بيضاء اللون، في قطيعة رمزية مع اللون الأسود العباسي.

الأيوبيون

منذ سنة ١١٧١ ميلادي، لقب صلاح الدين بخادم الحرمين الشريفين مع الدعاء له أثناء خطبة الجمعة، كرمز للولاء السياسي للمدينة.

و في ظل الصليبيين، عرفت أراضي الأردن حتى خليج العقبة حالة من إنعدام الأمن، مما جعل طريق الحج المصري عبر سيناء وصولاً إلى العقبة محفوفة بالمخاطر، و بسبب ذلك اضطر الحجاج إلى استخدام الطريق الساحلي، عن طريق البحر الأحمر، أو القيام برحلة شاقة عن طريق بغداد (Loiseau 2014: 69- 70). وقد شهد أواخر العهد الأيوبي اضطرابات عديدة، حيث اغتيل آخر سلطان أيوبي: الصالح أيوب (١٢٤٠-١٢٤٩) في القاهرة في عام ١٢٤٩ من قبل فوج من العبيد الأتراك الكيشاك، اصلي جنوب روسيا، و في نفس الفترة تقريباً، وقع أحد

الإنفجارات البركانية قرب المدينة المنورة في عام ١٢٥٦، أدى إلى تدمير جزء من المسجد الكبير. كما سقطت بغداد على يد المغول عام ١٢٥٨ وأعدم الخليفة العباسي، وبذلك انقطع نشاط قافلتني الحج المصري الشامي في اتجاه مكة، لفترة طويلة.

المماليك

اتخذت دولة المماليك البحرية جزيرة الروضة في بحر النيل مركزاً لهم، و كانوا قد بسطوا حكمهم على كل من مصر وسوريا بين سنتي (١٢٥٢ - ١٣٨٢) ميلادي، كما شهدت فترة حكمهم عودة الحج الى مكة. سمحت انتصارات الظاهر بيبرس (حكم بين سنتي ١٢٦٠ - ١٢٧٧) ميلادي على الصليبيين من إعادة نشاط قافلة الحج المصري سنة ١٢٦٦ ميلادي عبر الطريق البري مروراً بالعقبة (الشكل ٦). ترجع تقاليد إرسال الكسوة إلى مكة لتكسى بها الكعبة، إلى الملك الظاهر في نفس السنة، وهو عبارة عن نسيج حريري أسود اللون كان يتم تطريزه في مصر، وكان يقود القافلة موكب المحمل: جمل يحمل إطار خشبي مربع وفوقه هرم، ويسدل عليه كسوة من الحرير الأصفر (رمز السلطة المملوكية) وعلى أطرافه ستور من الديباج عليها زخارف مطرزة تطريزاً فاخراً بالذهب. ويحمل المحمل مصحفين صغيرين (الشكل ٧). وبعد الحج يعود المحمل حاملاً الكسوة القديمة للكعبة بعد ابدالها بالكسوة الجديدة. وهذه العادة، من شأنها أن تركز هيمنة السلطة المصرية على المدينتين المقدستين، وكذلك على قوافل الحج المصرية والشامية وطرقها، كما تكسب السلطان لقب حامي الحرمين الشريفين.

كان للمماليك أفعال كثيرة في طريق الحج، منها حفر أبار جديدة وتشبيد الخانات ومحطات الإستراحة على الطريق المصري (Abd al-Malik 2013: 52- 58)، كما كان فقراء



٦ . مقامات الحريري، بقلم يحيى الواسطي،
العراق ١٢٣٧، المقامة الحادية والثلاثون:
«قافلة الحجاج» إلى مكة، محمل (الحج)
وعليه غشاء من حرير أصفر، رمز السلطة
المملوكية.

يدقون الطبل ويرفعون الرايات. ومع مرور الزمن، تحول
الموكب تدريجياً لكرنفال وضع العثمانيين حداً له، مع
الحفاظ على تقاليد الموكب نفسه.

العثمانيون

دخلت جيوش السلطان سليم الأول العثماني بلاد الشام
ومصر بعد انتصارها على المماليك الشركس أو المماليك
البرجية (١٣٨٢-١٥١٧) من أصل شركسي أو الجورجي،
الذين سكنوا خاصة في أبراج القلعة (البرج). أرسل السلطان
العثماني سليم الأول (١٥١٢-١٥٢٠) إلى مكة المكرمة في
سنة ١٥١٦ قافلة من دمشق محملة بأموال الأوقاف والهدايا
إلى أهالي الحرمين الشريفين، وكسوة مطرزة تحمل اسم
اسلافه. ومنذ ذلك الحين، أصبحت المحامل العثمانية تغطى

الحجاج يتمتعون بالخدمات الوقفية (الوقف) لاستئجار دابة
وتجهيز أنفسهم لعبور الصحراء.

وعلى الرغم من أن الحج يقع في الشهر الثاني عشر
من السنة (ذي الحجة)، كان المحمل يطوف الشوارع قبل
الخروج إلى الحجاز، في الشهر القمري السابع (رجب)،
أو في الشهر العاشر (شوال). كان يصاحب هذا الإحتفال
تعيين الوالي أمير الحج، من بين رجاله المشهود لهم بالكفاءة
والتقوى، ومن ثم يبدأ أمير الحج باختيار أعوانه ورجاله.

في سنة ١٣٢٥، بدأ ابن بطوطة رحلته إلى مكة برا
عبر ساحل شمال إفريقيا، وقد نقل لنا وصف موكب المحفل
وهو يمر في شوارع القاهرة، ويخرج خلفه الجمال التي
تحمل المياه، وأمتعة الحجاج، يليهم الجند الذين سيحرسون
الموكب حتى الحجاز، ثم رجال الطرق الصوفية الذين



٧ . المحمل المصري الشريف في جبل عرفات، الطباعة على الورقة باستخدام الحبر الملون، بداية القرن العشرين Cairo Punch.

الوسطى، من الفتح الإسلامي (القرن السابع) حتى سلطنة المماليك (القرن الخامس عشر)؛ درب العثماني (من القرن السادس عشر - حتى أوائل القرن العشرين) وأخيراً، الخط الحديدي الحجازي الذي وقع افتتاحه في عام ١٩١٠ في ظل تراجع أهمية الإمبراطورية العثمانية.

المصادر التاريخية الإسلامية

تعتبر هذه الطريق واحدة من أهم الطرق الرئيسية بين الجزيرة العربية ودمشق، عاصمة السلالة الحاكمة الأولى من الأمويين. وقد وقع التطرق إلى درب الحج الشامي الأردني في العديد من الكتب، خصوصاً الجغرافية منها (AL-Wohaibi 1973). إلا أنّ المعلومة المتوفرة في هذه المصادر تقتصر في بعض الأحيان على ذكر بسيط لأسماء الأماكن.

أول أثر لرحالة تحدّث عن درب الحج الشامي الأردني عام ١٣٥٧، هو ما نقله لنا ابن الجوزي عن الرحالة ابن بطوطة (طنجة ١٣٠٤ - المغرب ١٣٦٨ - ١٣٦٩ أو ١٣٧٧) والذي خط منها كتاباً بعنوان "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب

بالحرير الأحمر أو الأخضر عوضاً عن الأصفر. وهذا المحمل، هو عبارة عن قطعة من القماش المتين، كتب عليه بالخيوط الذهبية الآيات القرآنية، كان يوضع في مكان تجمع الحجاج، ويوم المحمل، يخرج موكب الحج الشريف مع المحمل والسنجد إلى وسط دمشق استعداداً للرحيل، حيث يوضع (المحمل) على ظهر جملٍ جميل الشكل قوي وعال لا يستخدم لأي عمل سوى الحج، ويحمل إضافة للمحمل الكسوة السلطانية إلى الكعبة الشريفة، وكان هذا الحدث مناسبة لتوزيع الصدقات والهدايا على الفقراء والأشراف والسادات والعلماء.

درب الحج الشامي الأردني من الأمويين إلى المماليك

إنّ أهمية أي طريق بالذات، لا تستطيع أن تحدده التقلبات السياسية وحدها، ولكن أيضاً شهادات المصادر وما تبقى على أرض الواقع. وفي هذا الإطار، تكشف البقايا الأثرية والمصادر الخرائطية أن مسار درب الحج الشامي من دمشق إلى مكة المكرمة شهد تغييراً على مر القرون، وهناك في الواقع ثلاثة دروب للحج الشامي: درب العصور

كلودين دوفان وآخرون: كل الطرق تؤدي إلى مكة

في نهاية القرن التاسع عشر، مصحوبين بحوالي ١٠٠٠٠ رأس من الدواب (خاصة الجمال، البغال، والأحمر) بحسب داوتي (Doughty 2001: 40) الذي اصطحب قافلة الحج من دمشق إلى مدائن صالح في خريف ١٨٧٦. ولعل أفضل من كتب عن قافلة الحج المصري هو العلامة عبد القادر الأنصاري الجزيري، كاتب ديوان الحج بمصر في القرن السادس عشر، والذي ترك لنا مخطوطاً هاماً عن تنظيم شؤون القافلة.

(Jomier 1953 ; Faroqhuhi 1994: 33-35).

كانت قافلة الحج المصري يتقدمها عدد من البدو، الذين كانوا يقومون بمهمة الدليل، ثم نجد فريق السقّانين، يليهم الأشراف المكلفين بشؤون المحمل والكسوة والأعيان المشرفين على صندوق المال والقوت والنساء والبضائع الثمينة والتي كانت توضع وسط القافلة، كما تقرّر لحراسة المحمل قوة عسكرية من الجنود الرماة (أيضاً المدفعية في العهد العثماني) بالإضافة إلى حملة القناديل للإضاءة ليلاً في الصيف لتجنب حرارة الشمس اليومية الحارقة، وأخيراً يتبع القافلة ركب الحجاج العاديين.

وقد وصف داوتي القافلة حيث يتقدمها أمير الحج، يمتد خلفه رتل من الجمال والحجاج على مسافة ميلين (١٥ - ٢٠ دقيقة بين أوّل القافلة وآخرها). في مقدمة القافلة، عادة ٣ أو ٤ جمال يحملون أجراساً كبيرة، مشدودين يتقدمهم الجمالين (الشكل ٨). وفي العادة، فإنّ جمال الحج لا ترعى أبداً أثناء المسير ولكنها تغذى أثناء الاستراحة بعلف تحمله على ظهورها. وفي الخانات والقلاع المنتشرة على طول الطريق، يودع الحجاج ودائعهم وبعض الطعام لدوابهم للعودة. وباعتبار قلة المراعي خاصة بجنوب الأردن، كان علف الدواب يتكون أحياناً من خبز الشعير أو من البقية. ورغم أنّ الحجاج يحملون معهم قوتهم، إلا أنهم يضطرون في بعض الأحيان لشراء ما يحتاجون إليه من البدو أو من المدن والقرى. وفي سنوات الجفاف، يضطر الحجاج لحمل

الأسفار" أو ما يعرف اختصاراً باسم "رحلة ابن بطوطة". في البداية، سار ابن بطوطة من القاهرة إلى عيذاب، قاصداً الإبحار من هناك إلى الحجاز عن طريق البحر الأحمر. ولما تعذّر سفره بحراً، بسبب حرب قامت بين البجاة والمماليك، رجع إلى مصر، وتابع رحلته عن طريق فلسطين، ولبنان، وسورية (١٣٢٦)، فالحجاز.

عرفت دمشق خلال القرن الخامس عشر تواجد عدد من الحجاج المسيحيين القاصدين أو الوافدين من الأماكن المسيحية المقدسة، وقد صادف تواجد برتراند دولا بروكيار سنة ١٤٣٢ Bertrandon de la Brocquière عودة قافلة الحج الشامي، حيث تستغرق عودة ٣٠٠٠ بعير إلى مساكنها بالمدينة يومين وليلتين (Wright 1848: 301-302 and 309).

يعتبر لودفيكو دي فارتيماء، أصيل مدينة بولونيا، أوّل مستشرق يصل مكة المكرمة، حيث زار في شتاء ١٥٠٣ كل من الاسكندرية، بيروت، حلب، وادعى كونه أحد المماليك المعتنقين للإسلام حتى يتمكن من الذهاب إلى الأماكن الإسلامية المقدسة وعينوه حارساً من حراس القافلة. وبذلك أمّن لنفسه مكاناً في القافلة الذّاهبة إلى مكة المكرمة انطلاقاً من دمشق خلال شهري أبريل ويونيو (Jones and Badger 1863 eds: 16-19).

قافلة الحج السورية الاردنية

ما هي خصائص هذه القافلة؟

وصفت بعض الدراسات قافلتنا الحج المصرية والشامية على أنها "مدن صغيرة متحركة" (Irwin 2012: 143). (Small Towns on the Move).

بلغ تعداد الحج في ذروة الحج العثماني (القرن السادس عشر - القرن الثامن عشر)، ما بين ٢٠٠٠٠ و ٦٠٠٠٠ حاج (Petersen 2012: 34). ليتدنّى هذا العدد الى ٦٠٠٠ فقط (حيث الحجاج سيراً على الأقدام أكثر من النصف)

ولحماية طرق هذه القوافل كانت الدولة العثمانية تقيم الحصون والقلاع على طول مسار الحج، وكان كل والٍ لولاية عثمانية مسؤولاً عن حماية قافلة الحج الشامي حتى تصل إلى حدود الولاية الأخرى، ولتأمين سلامة القافلة من هجمات البدو وجدت الدولة العثمانية حلاً يتمثل في شراء ولاء القبائل العربية الكبرى التي تسيطر على الطريق، مقابل عمل بعض أبناء القبائل كأدلاء للقافلة في الصحراء، وتجنيب القبيلة للدفاع عن الحجاج إن لزم ذلك، وكان أمراء الحج يدفعون نصف المبلغ في مرحلة الذهاب، والنصف الآخر أثناء الإياب حيث تكون القافلة محملة ببضاعة الحجاج، وقد تأخذ هذه الاعتداءات في بعض الأحيان طابعاً دراماتيكيًا. ومن ذلك فإنه خلال القرن الثامن عشر، وبسبب اقضاء قبيلة عنيزة لقبيلة بني صخر فيما يتعلق بالأموال التي كانت تدفع للبدو من السلطات العثمانية، تعرضت الجردة (وهي قافلة مؤن تُعد لإسعاف الحجاج في طريق عودتهم إلى بلاد الشام خشية أن يكون ما عندهم منها قد نفذ) التي خرجت لملاقاة الحجاج العائدين من الحج في ١٧٥٧ لهجوم من طرف قبيلة بني صخر، بين القطرانة ومعان جنوب الأردن، و قد حاول أمير الحج، حسين باشا، والي دمشق التصدي لبني صخر دون جدوى. أما قافلة الحج، فبينما هي عائدة على الطريق السلطاني، إذ بها تتعرض بين منزلتي تبوك وذات حج إلى هجوم عنيف من طرف قبائل بني صخر. وحوصرت في تبوك زمناً، و قد قتل معظم الحجاج والعسكر الذين معهم، بسبب الجروح، الجوع والعطش، وكان من بينهم أخت السلطان عثمان الثالث (1754 - 1757) (Peters 1994: 161 - 162).

منهج وأسلوب الدراسة

إن دراسة الجزء الأردني من درب الحج الشامي من طرف الباحثين الأردنيين، وخصوصاً عبد القادر الحصان (١٩٩٩، ٢٠٠٧، ٢٠٠٨) وزياد السلامين (٢٠١٠)، إضافة إلى علماء الآثار البريطانيين أمثال بيترسون



٨. حجاج في طريقهم إلى مكة، لوحة زيتية على قماش ١٨٦١، (طول : ١٦١ سنتيمتر x عرض : ٢٤٢ سنتيمتر).
(Hervé Léwandowski © Musée d'Orsay, Paris).

حاجتهم من الماء على ظهور الجمال.

كان الحجاج غالباً ينقسمون إلى مجموعات تتكوّن من ١٠ إلى ٢٠ شخص، يتم الإتفاق في البداية على كراء الجمال مع المقيمين الذين يتعهدون بخدمة الحجاج وتأمين راحتهم من ركوب وإقامة وطعام، بل ويتعهدون حسب الإتفاق بتغيير الجمال التي تموت في الطريق، و في بعض الحالات يتعهد المقوم باصطحاب القافلة، مع عدد وافر من الجمال من جميع ما يلزمها من عدّد، وهي الخيم ومعداتها، التخوت، والمحابر، والشباري وغيرها، مع وجود أنواع الخدّمة، من عكّامة وغلّمان، وطباخين، ومهاترة، وسقاية... على أن يكون سفره يوماً قبل سفر القافلة الرئيسيّة أو يوماً بعدها (Petersen 2012: 34).

مخاطر الطريق

كانت المخاطر التي تواجهها طريق القافلة الشاميّة عديدة: ففي فصل الشتاء: فيضانات بسبب الأنهار بعد هطول أمطار غزيرة، وعواصف رملية تعيق الرؤية في فصلي الخريف والربيع، إضافة إلى ظاهرة السراب عندما تسطع الشمس في الصيف. إلا أن الأشدّ خطورةً على المهاجرين هو خاصة غزوات البدو. ولذلك، فإن من مصلحة هذه القافلة أن تكون تحت حماية السلطات الرسميّة لضمان أمنها.



٩. مشهد من التلال البركانية بين بطن الغول و المدورة، (C. Dauphin ©).

من ١٤٥٠ مم إلى ٢٤٠٠ مم. كما تعوض النباتات الفقيرة بقيقان الأودية خاصة بجنوب الأردن، طبقة الغطاء النباتي الهامة بالشمال. وباعتبار ارتفاع التضاريس في جنوب منطقة دراستنا، يصبح المناخ جافاً أكثر تدريجياً من الشمال إلى الجنوب، ومن الغرب إلى الشرق. في مثل هذه البيئة الطبيعية القاحلة، كان على الحجاج الاستعداد لمواجهة الظروف المناخية الصعبة انطلاقاً من جنوب عمان.

قاعدة البيانات الأثرية

بفضل اطلعنا على القاعدة الرقمية للبيانات الأثرية بدائرة الآثار العامة بالأردن، أتاحت لنا فرصة تسجيل جميع المواقع الأثرية التي تغطي زمنياً الفترة الممتدة من العهد البيزنطي إلى العهد العثماني، وجغرافياً، المنطقة الواقعة من الرمثا في الشمال على الحدود السورية، إلى مدورة جنوباً على الحدود السعودية.

وبترخيص من دائرة الآثار العامة بالأردن ومن المعهد الجغرافي الملكي، أمكن لنا الحصول على الخرائط الطبوغرافية ذات مقياس ١:٥٠٠٠٠، بعد تحديثها ودمجها في خريطة واحدة، وهو ما مكّننا في النهاية من إنشاء ٤ خرائط تفاعلية ذات صبغة زمنية - مجالية.

Hugh (2012) وكنيدي وAndrew Petersen (2012) Kennedy تركّزت خاصة على دراسة المعالم، من خلال القلاع التي أقيمت على درب العثماني.

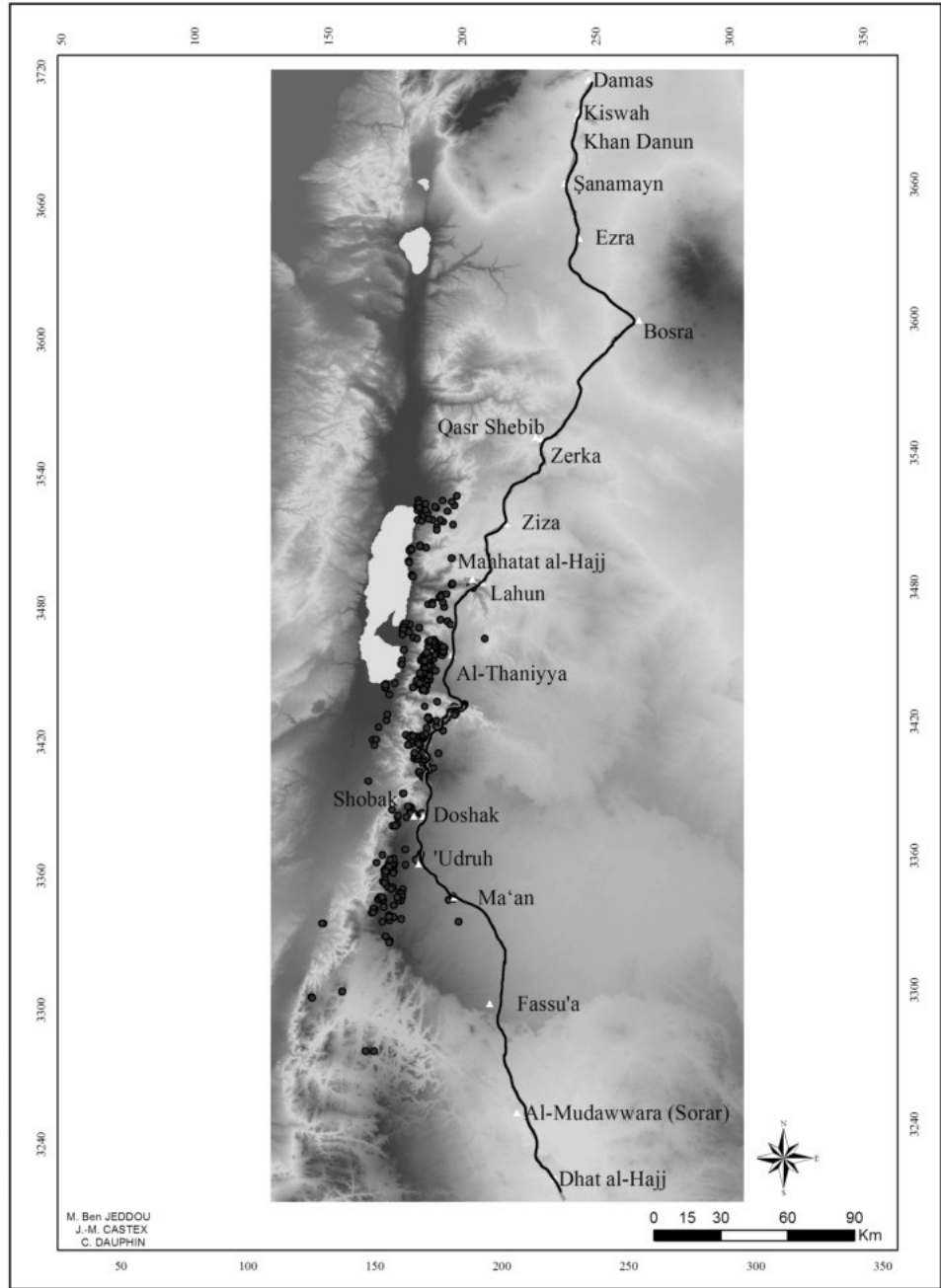
خلافاً لذلك، تذهب دراستنا إلى الربط بين الآثار في علاقة بالمشهد الطبيعي، وذلك باستخدام التحليل الإحصائي المكاني في إطار مشروع نظم المعلومات الجغرافية، وهو ما يمكننا من الإجابة على بعض الأسئلة من قبيل: كيف يمكن ان نفسر تغيير درب الحج لمساره؟ هل أن اختيار درب الحج خضع لعوامل طبيعية أم انسانية؟ إلى أي مدى كان اختيار المسار مثاليًا، بالنظر للعوامل الطبيعية أساساً، بالنسبة لكل فترة؟

قاعدة البيانات الطبيعية

تهدف مقاربتنا للموضوع إلى مراجعة العلاقات بين الطرق الثلاث، وخاصة في علاقتها بأهم مكونات المشهد الطبيعي (الشكل ٩)، بالإضافة إلى إنشاء خرائط تفاعلية، وذلك مثل نموذج الارتفاع الرقمي، وكذلك إجراء حسابات تتعلق بدرجات الإنحدار واتجاهه، شبكة الأنهار، العيون و مخازن المياه (الشكل ١٠). والهدف من ذلك هو محاولة إيجاد قواعد تترجم تأثير المشهد الطبيعي في إنشاء الطرق بالإعتماد على أدوات التحليل الإحصائي المكاني، وهذه الإجراءات تتم في إطار مشروع نظم المعلومات الجغرافية. كما تسمح لنا هذه العمليات بمحاولة تحديد أقصر مسار متغيّر حسب الفترات الزمنية، وفي النهاية، مقارنة ما توصلنا اليه بالطريق الواقعي.

العديد من المعطيات يجب أخذها بعين الإعتبار، منها خاصة، مجال الرؤية، توفر مسافة الأمان من خلال ما يسمح به الارتفاع والرؤية، العوائق الطبيعية وعنصر المناخ.

على مستوى التساقطات، تتراجع كمية معدلات الامطار من دمشق إلى معان، من ٣٠٠ مم إلى ٤٠٠ مم، على أن كمية النتح التبخري المحتمل السنوية تتضاعف



١٠. خريطة توزع نقاط المياه (العيون) في علاقة بطريق الحج في الفترة الإسلامية) خريطة © M. Ben Jeddou, (Dauphin, C. ; Castex, J, M

- الفترة العثمانية: ٩٩٥ موقع أثري

من خلال قراءة سريعة لهذه المعطيات، يمكن لنا أن نلمس التراجع الديمغرافي التي شهدته منطقة جنوب الأردن إلى غاية الفترة المملوكية (وهو ما نلاحظه كذلك بفلسطين في نفس الفترات). (Dauphin 1998: 351-352).

يلي ذلك تحسناً طفيفاً في الفترة العثمانية (الأشكال ١٤-١١). مع احتفاظ منطقتين بجنوب بلاد الشام (منطقة

وفي مرحلة ثانية، قمنا بتقسيم زمني للمواقع الأثرية

إلى ٤ أقسام :

- الفترة البيزنطية حتى بداية الفتح العربي سنة ٦٣٦ :

٢٣٦٧ موقع أثري

- الفترة الإسلامية: وهي تغطي الفترة الأموية، العباسية والفاطمية: ١١٨١ موقع أثري.

- فترة الصليبيين، الأيوبيين والمماليك: ٨٩٤ موقع أثري

كلودين دوفان وآخرون: كل الطرق تؤدي إلى مكة

درب الحج خلال العصر الإسلامي (الشكلين ١٢، ١٣)

لم يكن طريق الحج مجرد محطات استراحة أو نقاط عبور فقط، بل كان أيضاً وسيلة تحايل على العوائق الطبيعية. وهذا ما يفسر تعرضنا بالتدقيق في هذه الدراسة لوصف مكونات المشهد الطبيعي خلال الرحلة، وذلك حتى يتسنى للقارئ مشاركة الحجاج طريقهم في صورة قريبة من الواقع.

سنتابع قافلة الحج الشامية وقد خرجت من دمشق، حيث كان الحجاج قد تجمّعوا أمام ساحة المسجد الأموي الذي أمر الوليد بن عبد الملك بتشيدده في وسط دمشق سنة ٧١٦، وسط احتفالات عظيمة تتم تحت إشراف الوالي نفسه، وبمجرد أن تغادر دمشق، كان على القافلة ان تقطع سهلاً خصبياً يصل معدل ارتفاعه إلى ٦٨٠، ويتميز بتربته المتنوعة والمتمثلة خاصة في الرسوبيات الجليدية الصغيرة مثل الطين الطمي. ورغم كمية التساقطات المتواضعة (٢٠٠م)، فإن هذه المنطقة التي تتبع ريف دمشق، تمثّل بساطاً أخضراً من مختلف الأشجار والزرور وتسقى من مجموعة أنهار من فروع نهر بردى، وتسمى الغوطة (الشكل ١٥).

شكلت الغوطة لوحة من الفسيفسائية تزيّن الرواق الغربي من فناء المسجد الأموي، ويطلق عليها "لوحة بردى" لما تتضمنه من رسوم وزخارف تبرز طبيعة دمشق الخلابة وغطتها ونهرها الجميل: بردى (Brisch 2001 ; Flood 1988).

وصف ابن بطوطة مدينة "الكسوة" على أنها قرية (الرحلة ٤)، وهي مدينة صغيرة حسب الإدريسي، سنة ١١٥٤، كانت تضم موضع راحة المسافرين، (Musil 1926: 328) وهذه المدينة متاخمة لنهر "الأعوج" دائم الجريان، وفي هذه المنطقة، يكون قعر المجرى المائي واسعاً وتتكون تربته الخصبة من تشكيلات متنوعة شكلت مصاطب نهريّة رسوبية منذ العهد الميوسيني: جيرية،

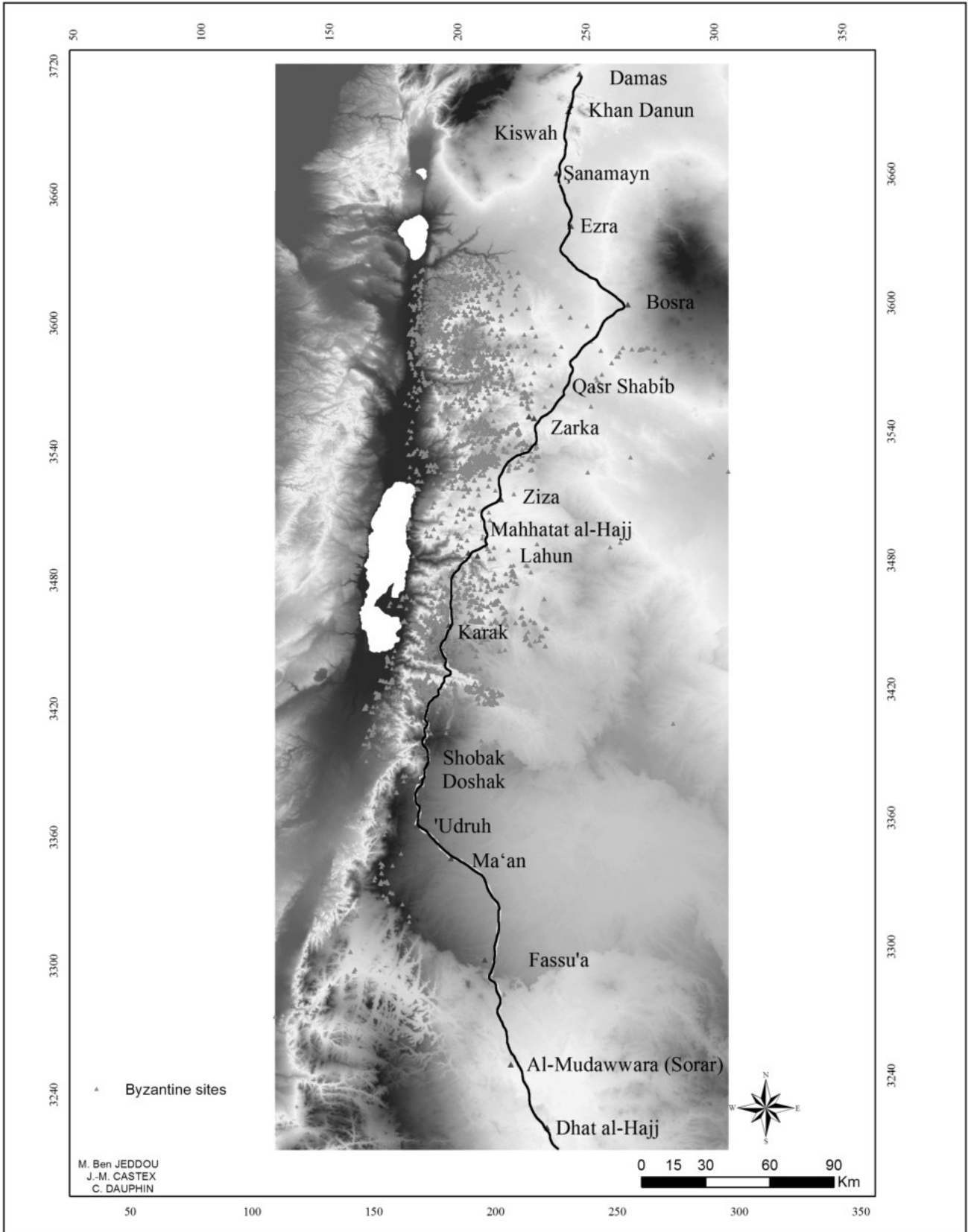
الديكابولس ومنطقة الكرك) بكثافة سكانية عالية على الرغم من تراجعها إلى النصف بين العهدين البيزنطي والإسلامي، ثم انخفضت هذه الكثافة إلى الثلث ما بين الفترة الإسلامية وفترة الصليبيين، الأيوبيين والمماليك.

تمثّل الديكابولس المنطقة الأولى، وأبرز مدنها: جراسا (جرش)، جادارا (أم قيس) وهي عامة شمال الأردن: الوديان الزراعية الخصبة التي تقع في منطقة البلقاء والتي تمتد جغرافياً من البحر الميت إلى تلال غابات الفستق البري، البلوط، والصنوبر الحلبي، وسهول الحبوب ومساحات من أشجار الزيتون والتين خاصة حول قلعة عجلون التي بناها القائد عز الدين أسامه عام ١١٨٤ أحد قادة صلاح الدين الأيوبي، بهدف درء انتشار القوات الصليبية المتواجدة بغرب الأردن في بلفوار "المنظر الجميل": قلعة المؤابيين (الكرك).

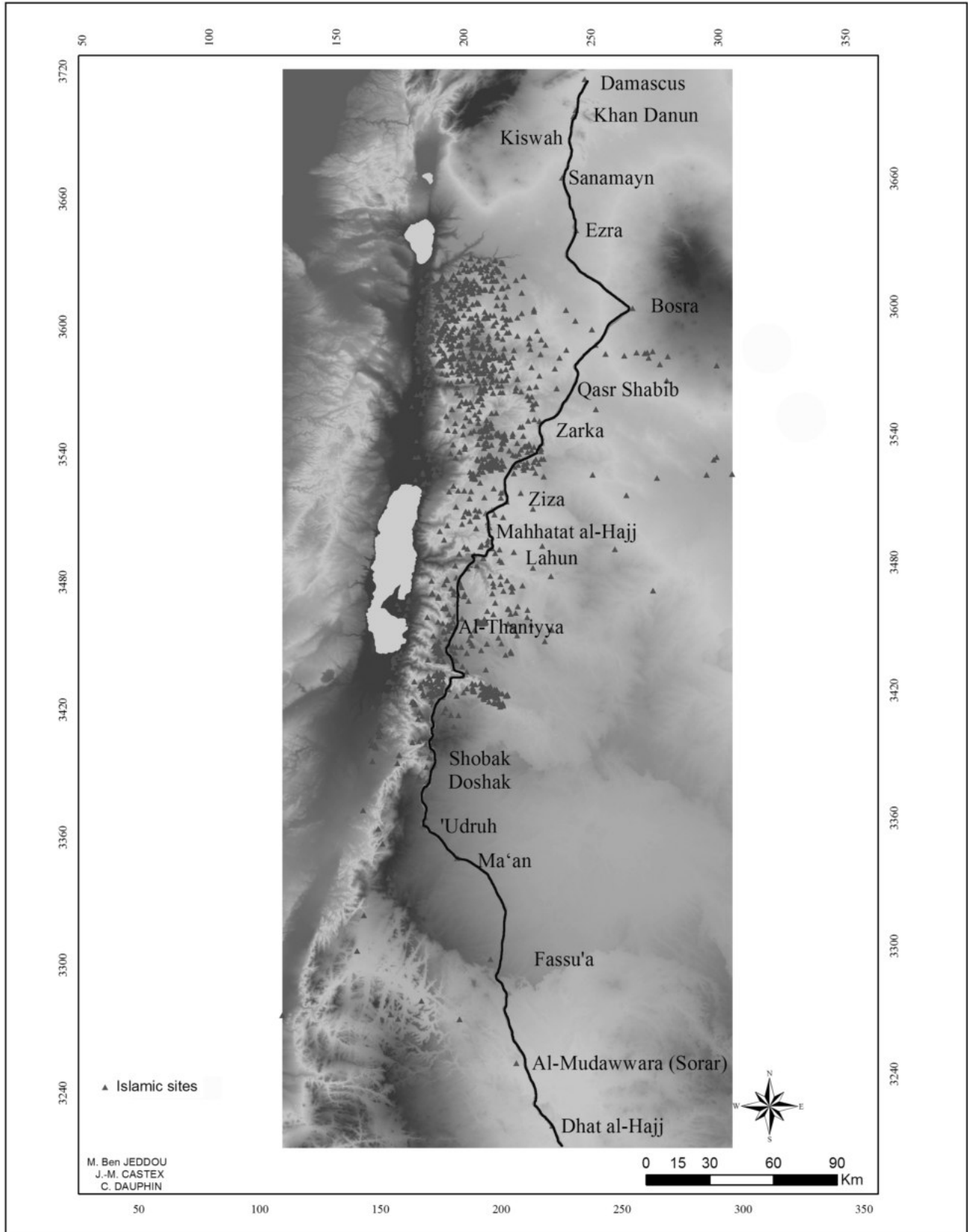
أما المنطقة الثانية فهي منطقة الكرك المعروفة بخصوبة تربتها وبأراضيها الزراعية على شكل نظام المصاطب والتي تشكّل في نفس الوقت نقطة إلتقاء للطريق التجارية التي تربط من جهة شمال البلاد بالمناطق الصحراوية (طريق الملوك أو درب السلطاني) ومن جهة أخرى الطريق التي تربط بين الصحراء الشرقية والبحر الميت غرباً.

شكلت هذه الطريق منذ العهد البيزنطي حتى العهد المملوكي حداً "طبيعياً" فاصلاً أمام إمكانية تواجد المواقع الأثرية شرقاً، باستثناء منطقة الكرك حيث نلاحظ استيطان بشري شرق هذا الحد.

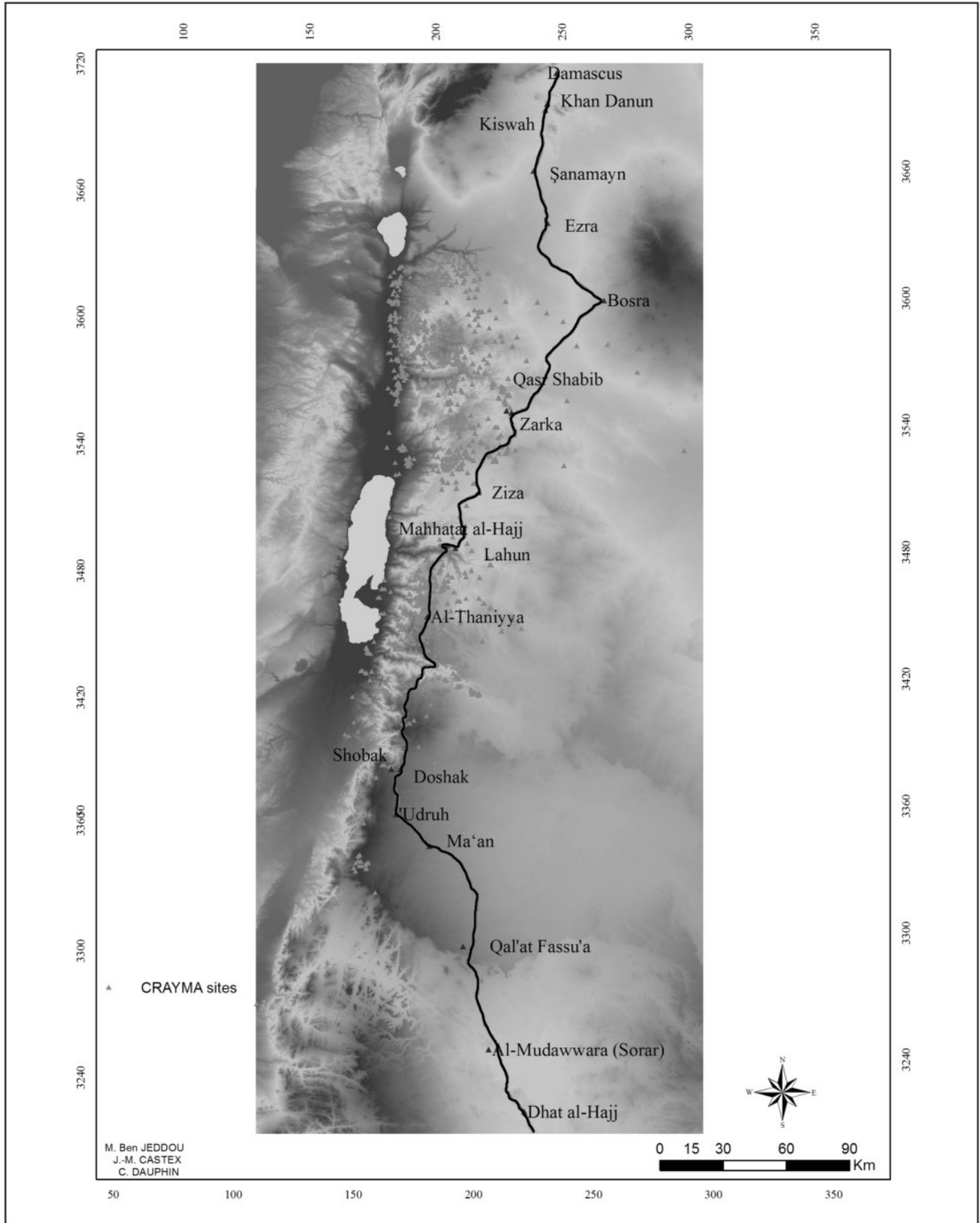
يعتبر التحوّل الديمغرافي الذي شهده شرق الأردن من أبرز نتائج تأسيس درب الحج الجديد من طرف العثمانيين، فقد تضاعف عدد المواقع الأثرية بشرق الكرك وجنوبها، إضافة إلى تركّز مجموعات جديدة وإنشاء قلاعاً على جانبي هذا الطريق، بهدف تلبية حاجيات الحاميات المتواجدة بالصحراء وكذلك مستلزمات الحجاج خاصة من المواد الفلاحية (الشكل ١٤).



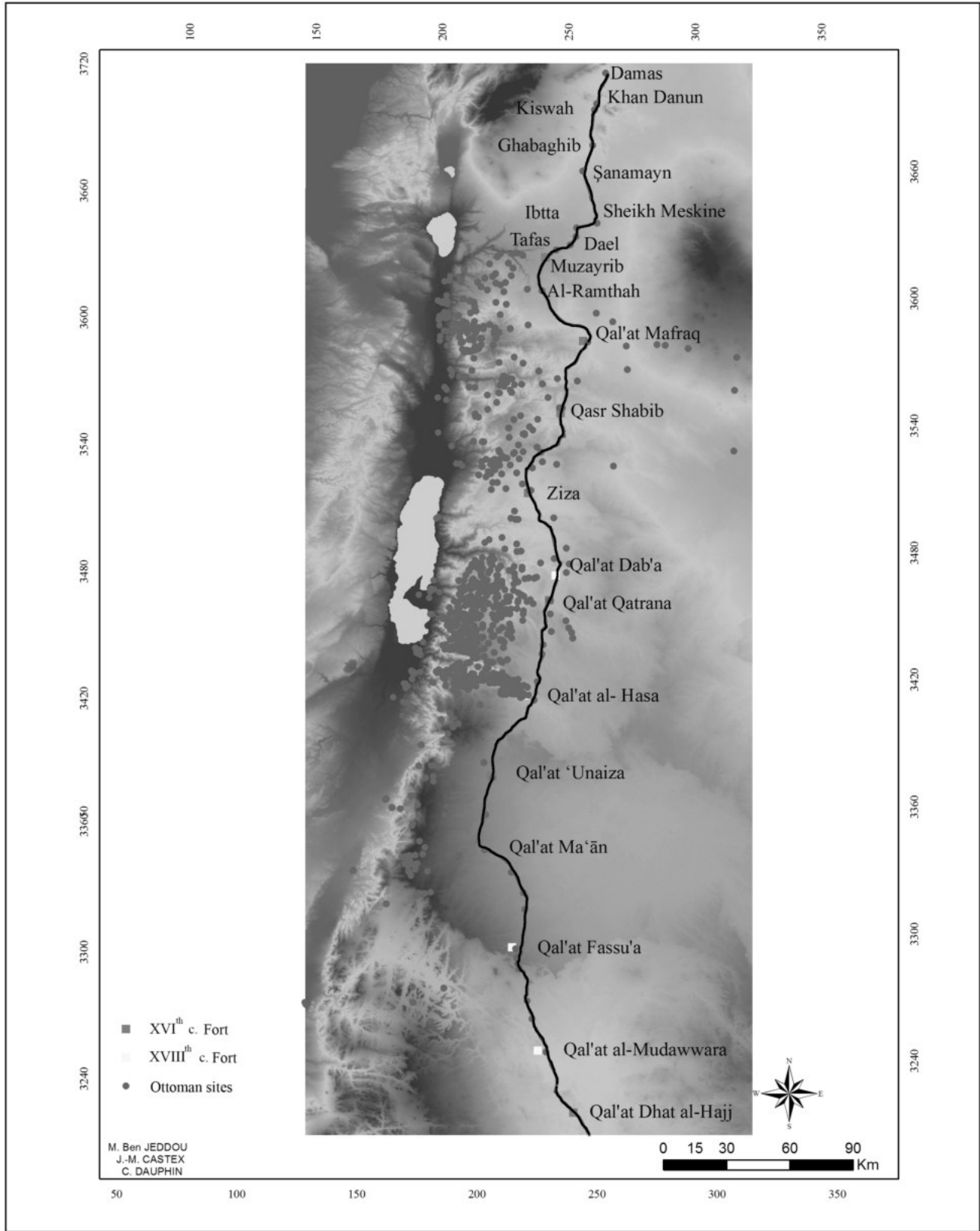
١١. خريطة المواقع الأثرية البيزنطية بالأردن إبان الفتح الإسلامي، سنة ٦٣٦، (خريطة © M. Ben Jeddou, C. Dauphin, J.-M. Castex).



١٢. خريطة المواقع الأثرية الإسلامية بالأردن إلى جانب طريق الحج خلال هذه الفترة، (خريطة © M. Ben Jeddou, C. Dauphin, J.-M. Castex).



١٣.. خريطة المواقع الأثرية بالأردن خلال الفترات: الصليبية، الأيوبية والمملوكية إلى جانب طريق الحج خلال هذه الفترة.
(خريطة © M. Ben Jeddou, C. Dauphin, J.-M. Castex).



١٤. خريطة توزع المواقع الأثرية والخانات خلال الفترة العثمانية، القرنين السادس عشر، والسابع عشر.

(خريطة © (M. Ben Jeddou, C. Dauphin, J.-M. Castex

وهي تقع في نفس الجزء من سهل حوران، على مقربة من هضبة ذات منشأ بركاني، حديثة التكوين، غير أن تربتها ذات الطبيعة الصخرية تكون أقل عمقاً وأقل خصوبة.

بمحاذاة أودية محلية، تواصل القافلة سيرها في سهل فسيح تشكّل من مقذوفات بركانية قذفها جبل العرب قبل ملايين السنين، وهو ما جعل النشاط الزراعي إلى جانب غراسة الزيتون، ممكناً لا سيّما في الجيوب الترابية بها.

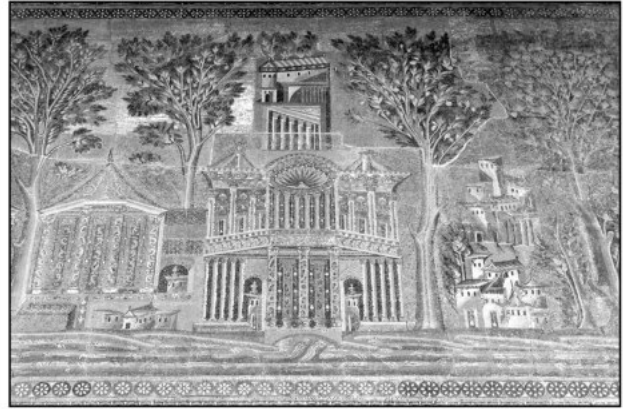
تمثل **بصرى** (تقع على ارتفاع ٨٣٩ م) المحطة الثالثة في رحلة قافلة الحج، وهي تقع على الحدود الجنوبية من اللّجاة، على سهل منبسط، حيث الأودية قليلة العمق والتربة كثيرة الخصوبة، وهي عموماً تربة بازلتية داكنة. ومن عادة قافلة الحج، أن تقيم بهذه المدينة أربعة أيام ليلحق بهم المتخلفين عن الرحلة والقادمين خاصة من دمشق.

عديدة هي الآثار التي تعود إلى الفترة الإسلامية بهذه المدينة، نذكر منها خاصة المسرح الروماني الذي تحوّل إلى قلعة محصنة بدءاً من العصر الأموي، إضافة إلى ٦ جوامع أثرية يعود تاريخها إلى القرنين الثاني عشر والثالث عشر. كما توجد في بصرى عدة حمامات، منها ما هو روماني، ومنها ما يعود للفترة الإسلامية المملوكية، ومن أهمها الحمّام الذي يقع قبالة الجامع العمري، و قد بناه الأمير المملوكي سيف الدين منجك اليوسفي حسب ما تفيد به نقيشة تُوّرخ بسنة ١٣٧٢، ويبدو من مساحته (٤٥ x ٥ م) أنه كان مخصصاً للحجاج الذين يعبرون المدينة.

وفي الجنوب الشرقي للمدينة، يوجد خزان للمياه (١٦٠م-١٢٥م)، ويعرف ببركة الحاج، ويبدو أنه استخدم في العهد الأيوبي لسقاية قوافل الحجاج بمحاذاة مدرسة قرآنية في الزاوية الشماليّة الشرقيّة.

(Dentzer-Feydy, Vallerin, Fournet, Mukdad) (and Mukdad 2007).

بحسب الأمام إسحاق بن الحسن بن ميمون الحربي (المتوفى سنة ٨٩٧)، كانت مدينة الزرقاء محطة استراحة



١٥. المسجد الأموي (٧٠٦-٧١٥)، دمشق، لوحة بردى، فسيفساء في الرواق الغربي يطلق عليها «لوحة بردى» لما تتضمنه من رسوم وزخارف تبرز طبيعة دمشق الخلابة و غوطتها ونهرها الجميل بردى.

غرينية أو طينية على عمق ٢٠٠ متر، بين التلال التي تشكلت قبل ملايين السنين نتيجة البراكين والحمم. وسميت المدينة الكسوة نسبة إلى الاحتفالات بكسوة الكعبة التي تنطلق من دمشق.

أثرياً، تعتبر الزاوية الصوفيّة أحد المعالم التاريخية ويعود تأسيسها إلى ١٣٧٠ وتقع على بعد ٥ كم جنوب مدينة الكسوة، إلى جانب خان كبير "خان دانون" الذي بني سنة ١٣٧٦ من أجل توفير مكان للمبيت لقافلة الحج.

تتوقف القافلة في الكسوة ثلاثة أو أربعة أيام لإنظار المتأخرين والقوافل القادمة من المدن السورية الأخرى. ثم تواصل رحلتها عابرة أراضي بازلتية تمتد بشكل منحدر على مسافة ٣٣ كم بين الكسوة (تقع على ارتفاع ٧٠٨ م) لتصل إلى قرية عظيمة تعرف **بالصنمين** (تقع على ارتفاع ٦٣٥ م) على حد تعبير ابن بطوطة.

تقع هذه الأخيرة على مفترق طرق، جنوب تلال الصهارة البركانية، ذات الإتجاه شمالي غربي/جنوبي شرقي، وتتميز بينتها الجغرافية بتشكّل الأتربة البنية والأتربة الحمراء الغضارية التي تتخللها الصخور البركانية بكثافة.

تمر القافلة بعد ذلك بالقرب من مدينة ازراع (زراع حسب المصادر التاريخية) (تقع على ارتفاع ٥٦٦ م)

كلودين دوفان وآخرون: كل الطرق تؤدي إلى مكة

الجافة حيث أن كمية التساقطات لا تزيد عن ٣٥٠-٤٠٠ مم. على مسافة من الزرقاء، حوالي ٥٠ كم جنوباً، تقع بركة زيزيا، شرق مادبا (الشكل ١٦)، وهي المحطة الخامسة على طريق القافلة (تقع على ارتفاع ٧٥٠ م)، وهي عبارة عن هضبة صخرية خفيفة التموج، تتخللها أودية ضحلة العمق ذات اتجاه شرق-غرب، غالباً ما تحتوي على طبقة من الصخر الصغيرة والحصى التي تقطع الطريق الرئيسية في هذه المنطقة. كما نلاحظ وجود طبقة سميكة من الصوان المغطاة بتشكيلات من الرمل والحصى، إلى جانب تكوين الموقر الطباشيري المارلي الباليوسيني.

تحتوي هذه التكوينات على طبقات سميكة من المارل والصوان والفوسفريت، وتكون التربة في بعض الأحيان من نوع تربة المتوسط الصفراء أو البنية، مبتدئة التطور وهي تسمح بالزراعة وغراسة الزيتون خاصة إذا ما توفرت فيها رطوبة جيدة (المعدلات الحالية تتراوح بين

١٨٠-٢٠٠ م). Calcixerollic, Xerochrepts.

تحتوي مدينة زيزيا على خزان ماء كبير (٩٠x١٠٠ م) بعمق ٦ م يقع إلى الشمال من القلعة العثمانية بنحو ٣٠ م، كما يوجد بالقرب منه مسجد يعود للفترة الأولى، تحدت عنه الرحالة البريطاني تريستام (Tristram 1873: 187) و يبدو أنه اندثر. (Petersen 2012: 61-68; Genequand 2012).

هل كان طريق الحج يمر عبر قرية اللجون أم اللاهون؟ يحتوي موقع اللجون على حصن عسكري يغطي مساحة (٤x٦) بالقرب من أودية، وخاصة وادي اللجون، وقد قع استغلاله خلال الفترة النبطية والرومانية، وربما قبل هذا التاريخ، و من غير المستبعد أن هذا الحصن كان مركز الفيلق الروماني، إلا أن الحفريات لم تعثر على بقايا أثرية ما بعد القرن ٥ ميلادي. (Parker 1986 and ed 1987).

لقافلة الحجاج، وهي تقع بين أذرع (درعا حالياً) وقصر القسطل الأموي (Bisheh 2000 and 2005)، تذكر المصادر التاريخية أن الزرقاء عبارة عن مكان يتوفر فيه المياه بكثرة إلا أنه خالي من العمارة (Bakhit 2008; Majali and Mas'ad 1987: 314).

يقترح بيترسون موقعين يقعان بهذه المنطقة، من الممكن أنهما كانا أيضاً على علاقة بدرج الحج في العصر الوسيط: قصر شبيب وهو يقع على نتوء بين وادي الزرقاء وأحد روافده وادي الحويجر، وكذلك خربة المكحول على قمة تلة بين بلدتي الزرقاء والسخنة (Petersen 2012: 14) من بين الشواهد الأثرية التي لا تزال موجودة بالسخنة، يمكن أن نذكر سور بيضوي الشكل تتخلله غرف صغيرة، وفي وسط المبنى توجد على الأقل ٤ غرف متلاصقة. يشكل هذا المعلم في مجمله مخيم موسمي شبه دائم، كان ينزل به الحجاج أثناء رحلتهم. إلا أن الموقع الجغرافي الحقيقي لخربة المكحول، والذي يقع على مسافة بعيدة من ناحية الشمال، يطرح إشكالاً حول علاقته بدرج الحج.

شيد قصر شبيب (الذي ينسب إلى الأمير شبيب المهداوي الجذامي) على أنقاض قلعة رومانية بحسب ما تفيدنا به نقش لاتينية تعود إلى سنتي (٢٥٣-٢٥٩)، وقع إعادة استعمالها فوق القوس المحيط بباب القصر في العهد الإسلامي. وقد تحولت وظيفة القصر في العهد الإسلامي والعثماني لخدمة الحجاج وحماية طرق القوافل التجارية. وهو ما يسمح لنا اعتبار قصر شبيب المحطة الرابعة في طريق قافلة الحج الشامي (Petersen 2012: 58-61). تقطع الطريق التي تمر شرق مدينة الزرقاء أودية صغيرة محفورة في الصخور، تابعة لمجموعة البلقاء (صخور كلسية طباشيرية، رواسب رملية وطينية وصخور جيرية).

تتميز التربة بلون فاتح مقارنة بجنوب سوريا، وهي خاصة ترب من النوع المبتدئة التطور، تشكل إطاراً بيئياً ملائماً لإنتاج غطاء نباتي من صنف النباتات المتوسطة

الجغرافية، يمكن القول أنّ الطريق كان يربط محطة بركة زيزا بمحطة الحاج، مروراً باللاهون، وهو ما يعتبر واقعياً منطقي. وعند عبورها وادي الموجب، كان على القافلة أن تسير على منحدرات صخرية خطيرة مع تعرجات ضيقة وطويلة.

يمثل موقع محطة الحاج الأثري، المحطة السادسة في طريق قافلة الحج حسب كينيدي (٧٥٠ ميلادي) (Kennedy 2000: 137).

يحتوي الموقع على قلعتين صغيرتين، تتكون كل منهما من حصن مستطيل الشكل، يقع إحداها في منتصف الطريق الصاعد جنوباً في حين يقع الثاني غير بعيد على حافة الوادي الجنوبية، حيث تنتهي الطريق الصاعدة (Kennedy 2004: 144-146).

يتكون المشهد الطبيعي في هذه المنطقة من تلال قباية مدبية، تعلوها قشرة كلسية، وذات سفوح شديدة الإنحدار، وهو ما يسبب انزلاقات التربة، فتغطي قدم السفوح وتتشكل الحادورات المغطاة بالحصى. ولا تختلف نوعية التربة في هذه المنطقة كثيراً عما هو موجود باللجون أو اللاهون، وهي تغطي طبقات من الحجر الجيري دقيق التبلور والصوان والفوسفريت، من النوع الذي يوجد كذلك بمنطقة القطرانة. وبالنظر لمعدل كمية التساقطات، (٢٥٠-٣٠٠ مم)، فإنه من الممكن زراعة الحبوب بهذه المنطقة.

ومن هذه المحطة، يواصل الحجاج مسيرتهم حتى مدينة الكرك (قديماً تعرف باسم كاراكومبا) التي كانت مركزاً أسقياً مهماً في الفترة البيزنطية، وسط مقاطعة كثيرة السكان، إلا أنها كانت تشهد تراجعاً حاداً في أوضاعها تحت حكم الأمويين والعباسيين.

شهد المشهد الفلاحي انتعاشاً هاماً في فترة الصليبيين، الذين انشؤوا، سنة ١١٤٠، إحدى أكبر وأهم القلاع في المدينة الموابية، وقد تم تأسيس بارونية في الكرك تتبع لمملكة بيت المقدس اللاتينية، وقد كانت مسرحاً للصراع



١٦. بركة زيزا، المحطة الخامسة في درب الحج الشامي (C. Dauphin © صورة).

وقع استخدام هذا الحصن خلال الفترة الأيوبية (السلطان الأيوبي، الملك العادل : ١٢١٨ - ١٢٣٨) و كذلك في فترة المماليك باعتبار شواهد قطع الخزف والنقود المكتشفة داخله و التي تعود إلى ١١٩٦-١٢١٨ وكذلك ١٤٨١-١٤٨٣ (Brown 2006: 374-375, 382-384;-31) (Milwright 2013: 30).

وفي تقدير بيترسون، فإن هذا الموقع لا ينطبق على ما وصفه ابن بطوطة (14: Petersen 2012).

ويذهب بيترسون إلى أن المقصود هو قرية اللاهون، التي تقع على الضفة الشمالية لوادي الموجب (نهر أرنون في المصادر البيزنطية) وقد كشفت الحفريات الحديثة عن فترات استيطان بهذه المنطقة تمتد من العصر البرونزي حتى العصور الوسطى (De Meulemeester 2008).

يضم الموقع مستوطنة أموية (القرن السابع- القرن الثالث عشر) يتوسطها مبنى يحتوي على فناء مستطيل، يبدو أنه لعب دور الخان في تلك الفترة، كما كشفت الحفريات الأثرية عن وجود مسجداً مملوكياً يعود تاريخه إلى القرن ١٥، إضافة إلى وجود منازل متجهة نحو القبلة، وقد بقي الموقع مسكوناً حتى الفترة العثمانية. وبالاستعانة بتقنية تحديد أقصر مسار عن طريق برامج نظم المعلومات

كلودين دوفان وآخرون: كل الطرق تؤدي إلى مكة

خفيفة، حيث تتكون من طبقات طباشيرية تحتوي على عنصر الصوان (تكوين عمان الجيري السيليسي: صخر صوان صلب وطباشير كتلي تعلوه التوضعات الرسوبية، إلى جانب وجود فوسفوريت الحسا).

في الجهة الشرقية، على سفوح المنحدرات تغطي طبقة من الحصى البليوسيني صخور بركانية سطحية ناتجة عن تجمد الحمم البركانية، وتتميز البنية الجيولوجية بوجود بعض الصدوع المحلية الخفيفة (ذات اتجاه شمال جنوب).

في مستوى تصل فيه معدلات الأمطار إلى كمية ٣٠٠ مم، تتكون طبقة الأشجار خاصة من البلوط السنديان، إلى جانب النباتات الرعوية وأهمها الشيح، خصوصاً في نطاقات الترب المبتدئة التطور (تربة الراندين)، كما ان زراعة الحبوب والأشجار المثمرة شهدت تطوراً هاماً خلال العهدين الأيوبي والمملوكي بهذه المنطقة.

سنة ١١١٥، قام بودوان الأول، ملك القدس، ببناء قلعة في الشوبك، حيث كانت تسمى "كرك مونتريال"، وهي تقع على جبل به عينين ماء، وبقيت القلعة في أيدي الفرنج إلى أن استسلمت أمام قوات صلاح الدين العام سنة ١١٨٩.

وعلى مسافة ٥ كم من جهة الشرق، أنشأت مدينة الدوسق (الشكل ١٧)، على نتوء يشرف على وادي نجل، وذلك بغية السيطرة على طرق شرق الأردن التجارية، ومن الناحية الجغرافية، يمكن أن نلتصم بوجود تطابق بين موقع الدوسق من الشوبك، وموقع مدينة الثنية من الكرك.

و تمثل الدوسق المحطة الثامنة في طريق الحج، وهي تقع على مقربة من "طريق تراجان الجديد"، حسب ما تؤكد حجارة إرشادية رومانية وأجزاء باقية من الطريق الروماني (Milwright 2008: 111-112; 2013: 30).

يحتوي الموقع على ٣ مجموعات من المباني محاطة بسور، مع بقايا مسجد صغير و بركة مياه (٨، ٣x٤٧x٣٣م) يمكن النزول إليها عن طريق مدرج حجري (Field 1960). (ed.: 83).

الأيوبي الصليبي.

كانت مقاطعة / مملكة الكرك تمثل قوة اقتصادية واستراتيجية هامة بالنسبة للدولة المملوكية: إذ كانت بمثابة سلّة الحبوب والغلال بالنسبة لمصر، إلى جانب زراعة قصب السكر التي كانت نشيطة في هذه الفترة، وقد عرفت مملكة الكرك في العهد الأيوبي باسم مملكة الكرك الأيوبية (Hamarnah, Ben Jeddou, Dauphin and) (Castex 2015).

لم تكن قافلة الحج تمر من الكرك، فبشهادة ابن بطوطة نزلت القافلة خارج الكرك أربعة أيام، بمنطقة الثنية (٨٥٠ ميلادي)، التي تبعد عن الكرك مسافة ٢,٥ كم.

يقع الموقع نفسه على رأس واد صغير عند تقاطع الطريق السريع (طريق الملوك) والطريق بين الشرق والغرب الذي يربط القطرانة بالبحر الميت.

أما على صعيد البيئة الجغرافية (الطبيعية)، يتميز المشهد الطبيعي للثنية بخصائص متجانسة، حيث تهيمن التلال المدوّرة على نطاق واسع، وتغطي التربة طبقة من تكوين الموقر الطباشيري المارلي، إلى جانب الترسبات الطينية في بطون الأودية.

تكشف دراسة الخزف في الفترة الأيوبية والمملوكية عن ظهور انتاج وافر لمختلف أنواع الخزف: سواء الخزف المزخرف بأشكال نباتية أو حيوانية، أو الخزف ذي البريق المعدني، كما عثر بموقع الثنية على أجزاء عديدة لمجموعة من الجرار الفخارية كبيرة الحجم كانت تستخدم لحفظ وخرن السوائل، خاصة الزيت، دبس السكر، وعصير التمر (Milwright 2008: 111-112; 2013: 30).

تترك القافلة الثنية في اتجاه الجنوب نحو الشوبك (تقع على ارتفاع ١١٠٠م)، والتي تقع على مسافة ١١٢ كم، حيث يتحوّل الطريق أحياناً إلى ممر ضيق يمثل الحد الطبيعي الفاصل بين منطقتي الأغوار والجفر.

تكثر بهذه المنطقة التلال والربى ذات منحدرات



١٧. الدوسق، ثامن محطة في درب الحج الشامي (© C. Dauphin وصوره).

على أفق كلسي تكوّن نتيجة ترسّب الكالسيوم وتراكمها، ولذلك تنعدم النباتات تقريباً خارج بطون الأودية. يعتمد النشاط الإقتصادي بمدينة معان على خدمة قوافل الحجيج وحماية خط القوافل (Petersen 2012: 16, 107-109).

وقد أخذت هذه المدينة أهمية خاصة في العهد المملوكي، حيث أصبحت مركزاً جهويّاً، معروفاً بأهمية سوق العبيد الذي كان ينتظم بها (Elisséeff 1965: 897). من معان إلى فسوعة (تقع على ارتفاع ١٠٩٣م)، المحطة العاشرة في طريقنا للحج، يتبع الطريق تلالاً تتخللها أودية ضيقة العمق ١٠م، وتكون مدرعة بنثير من الصخور الصغيرة الحجم.

تشكل الكوكينا ظاهرة مميزة في هذه المناطق إلى جانب تواجد الفوسفات العدسي، وتكوين عمان الجيري السيليسي بالإضافة إلى وجود طبقات الفوسفات المغطاة بالتربة وبطبقة من الحصى البليوسيني في اطار تربة ابتدائية، قليلة التطور.

يذكر ابن بطوطة في رحلته "ارتحلنا إلى معان، وهو آخر الشام ونزلنا من عقبة الصوّان إلى الصحراء" (Petersen 2012: 113).

نعتقد أن الموقع كان عبارة عن قلعة صغيرة محصنة، أو ربّما خان صغير تنزل فيه القوافل في العهد الوسيط. وفي هذه المنطقة، تترك القافلة "طريق تراجان الجديد"، لتلتحق بالطريق المؤدي إلى تبوك، وبحسب ابن بطوطة، تتجه القافلة مسافة ٢٥ نحو الجنوب الشرقي، وهي المسافة التي تفصل الدوسق عن أذرح، حيث ترتفع التضاريس مع انحدار في اتجاه الشرق (١٣٤٠م)، مقارنة بالمرحلة السابقة: الثنية - الدوسق.

من ناحية التكوين الجيولوجي، تحتوي هذه المحطة على نفس خصائص تكوينات المحطة السابقة تقريباً: فإلى جانب تكوين عمان الجيري السيليسي، نلاحظ وجود طبقات من تكوين فوسفوريت الحسا وكذلك من الحصى البليوسيني وخصوصاً في المناطق المنخفضة حديثة التكوين.

المشهد الطبيعي هنا، عبارة عن انحدارات مغطاة بالحصى، وبالمخاريط الفيضية، مع غطاء نباتي فقير وقليل الإنتاجية باعتبار كميات الأمطار التي لا تتجاوز ١٠٠-١٥٠مم.

تصل القافلة مدينة معان (١١١٠م)، وهي المحطة التاسعة في طريق قافلة الحجيج. وقد كشفت الحفريات الحديثة (Genequand 2003) أن المدينة شهدت ازدهاراً وتوسّعاً في الفترة الأموية (Schick 1995: 392-393) يتكون المشهد الطبيعي من تلال وأكوام صخرية تتخللها أودية ضيقة العمق يبرز من خلالها تكوين الموقع الطباشيري المارلي وتكوين أم الرجام الصوّاني الجيري وسط شرائط من الحصى البليوسيني (Muwaqqar Umm Rijam Chert Limestone).

تصل كميات الأمطار في هذه المنطقة إلى حدود ٤٠مم، في حين تصل كمية النتح التبخري المحتمل إلى ٢٤٢٧مم. وبالنسبة للتربة، فهي ضعيفة التطور، ولم يحدث بها تكوين آفاق بيدوجينية لحدائتها كونها، ولضعف أثر العوامل المكوّنة للتربة عليها، مثل مجموعة الكالسي أورثيدز، وهي عادة ترب الأراضي الجافة، والتي تحتوي قطاعاتها

- رحلة ابن بطوطة
1987 تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب
الأسفار، دار إحياء العلوم، بيروت.
المسعودي
1965 مروج الذهب ومعادن الجوهر، الطبعة الأولى،
بيروت، دار الأندلس.
زياد السلامين
2010 الشواهد الأثرية المكتشفة بالقرب من طريق
الحج الشامي في منطقة عقبة الحجاز و
جوارها - جنوب الأردن، المجلة الأردنية
للتاريخ والآثار في عمان ٢٤: ١٧١ - ٢٠٢.

Bibliography

- Dauphin, C.
1998 *La Palestine byzantine: Peuplement et
Populations*, Vols I-III, BAR International
Series 1000, Archaeopress, Oxford.
Dauphin, C. and Ben Jeddou, M.
2012 *Fallahin and Nomads in the Southern
Levant from Byzantium to the Crusades:
Population Dynamics and Artistic
Expression*, *CBRL 2012 –The Bulletin of
the Council for British Research in the
Levant* 7: 84-86.
2013 *Fallahin and Bedu between the Desert
and the Sown: the Population Dynamics
of a buffer-zone from Byzantium to the
Mamluks*, *The Bulletin of the Council for
British Research in the Levant* 8: 18-29.
Dentzer-Feydy, J., Vallerin, M., Fournet, Th.,
Mukdad, R. and Mukdad, A.

تمثل مدينة المدورة (مدينة سراغة أو سرار في
المصادر التاريخية) المحطة الحادية عشر في طريق قافلة
الحج (تقع على ارتفاع ٧٢٠م)، وهي تقع على تضاريس
قليلة الانحدار، و تسير الطريق في هذه المنطقة بمحاذاة
الأودية متجنباً الاكام.
تغطي المساحات المرتفعة بطبقة من المختلطة ببعض
الحصى والحصاء من نوع الحصى البليوسيني، أما بطون
الأودية فتكون عادة مغطاة بطبقة عميقة من الرواسب
الرمليّة.
ورغم ذكرها في العديد من المصادر التاريخية، يبدو أن
المدورة لم تكن استراحة على طريق قافلة الحج على الأقل
خلال القرن الرابع عشر (Petersen 2012: 123-124).
ذات الحاج هي محطتنا الثانية عشر في رحلتنا الى مكة
(تقع على ارتفاع ٧١٠م) و فيها يتميز المشهد الطبيعي
برتابته، اذ تحتفي فيه عنصر التلال أو الهضاب التي تغطي
عادة المكان، والتي تكون عادة ذات إتجاه جنوب شرقي-
شمالي غربي.
تغطي المكان، مساحات شاسعة من الرمل و الحصى،
كانت على القافلة أن تعبرها في رحلتها.

المراجع

- عبد القادر الحصان
1999 محافظة المفرق ومحيطها عبر رحلة العصور،
الطبعة الأولى، الأردن، دار الأرز للنشر
2007 عبد القادر الحصان، قلعة القطرانة خلال الفترة
العثمانية، حولية دائرة الآثار العامة، المجلد ٥١،
(٢٠-١٣).
عبد القادر الحصان
2008 القلاع والخانات التركية العثمانية على طريق
الحج الشامية في الديار الأردنية، منشورات
وزارة الثقافة الأردنية، عمان.

- 2007 *Bosra. Aux portes de l'Arabie*, Presses de l'IFPO, Institut français du Proche-Orient, Beyrouth-Damas.
- D'Hulster, K. and Steerbergen, J. Van (eds.)
2008 *Continuity and Change in the Realms of Islam. Studies in Honour of Urbain Vermeulen*, Orientalia Lovaniensa Analecta 171, Peeters, Leuven.
- Doughty, C.M.
1888 *Travels in Arabia Deserta*, Vol. 1-2, Clarendon Press, Cambridge.
- Elisséeff, N.
1995 *Ma'an*, in *Encyclopaedia of Islam*, 2nd ed., Vol. 5 : 897-898.
- Faroquhi, S.
1994 *Pilgrims and Sultans: The Hajj under the Ottomans*, London.
- Field, H. (eds.)
1960 *North Arabian Desert Archaeological Survey, 1925-1950*, Papers of the Peabody Museum of Archaeology and Ethnology, Harvard University, Vol. 45, No. 2, Cambridge, Mass.
- Flood, F. B.
2001 *The Great Mosque of Damascus: Studies on the Makings of an Umayyad visual Culture*. Islamic History and Civilization: Studies and Texts 33, E.J. Brill, 2001, Leiden and Boston: Chs 2 and 3.
- Genequand, D.
2003 *Ma'an*, an early Islamic settlement in southern Jordan: preliminary report on a survey in 2002. *Annual of the Department of Antiquities of Jordan* 47: 25-35.
- Groom, N.
2002 Trade, incense and perfume. in St John Simpson (ed.) Pp: 88-101, *Queen of Sheba. Treasures from Ancient Yemen*. The British Museum Press, London.
- Hamarneh, B., Ben Jeddou, M., Dauphin, C. and Castex, J.-M.
2015 Population Dynamics in the al-Karak Region in the Byzantine and Islamic Periods. *SHAJ* 12: 683-702
- Irwin, R.
2012 *Journey to Mecca: A History (Part 2)*. in Porter (2012 ed.): 136-219.
- Jomier, J.
1953 *Le Mahmal et la Caravanne Egyptienne des Pèlerins de la Mecque (XIIIe-XXe)*, Le Caire.
- Jones, J.W. and Badger, G.P. (eds.)
1863 Varthema, L. *di. The Travels of Ludovico di Varthema in Egypt, Syria, Arabia Deserta and Arabia Felix, in Persia, India and Ethiopia*, A.D. 1503 to 1508, Hakluyt Society, London.
- Kennedy, D.L.
2000 *The Roman Army in Jordan*. Council for British Research in the Levant, British Academy, London.
- Kennedy, D.

- 2004 *The Roman Army in Jordan*. Council for British Research in the Levant, London.
- Kennedy, H.
- 2012 Journey to Mecca: a History. PP: 69-135. in Porter .
- Loiseau, J.
- 2014 Routes et histoire: le *hajj* dans l'islam classique, in Saghi and Abdul Kareem, al-2014 eds: 65-84.
- Majali, R. and Mas'ad, A.-R.
- 1987 Trade and trade routes in Jordan in the Mamluke era (AD1250-1516). in Haddidi 1987 ed.: 311-316.
- Meulemeester, J. de.
- 2008 Rural Settlement from the Byzantine to the Mamluk times at Lehun (District of Madaba, Jordan), in D'Hulster et Steerbergen 2008 eds: 159-168.
- Milwright, M.
- 2008 *The Fortress of the Raven: Karak in the Middle Islamic Period (1100-1600)*, Islamic History and Civilization Studies and Texts 72, Leiden.
- Milwright, M.
- 2013 Trade and the Syrian Hajj between the 12th and the early 20th centuries. Historical and Archaeological Perspectives, in Porter and Saif 2013 eds: 28-35.
- Morlier, H.
- 2005 ed. *La mosaïque gréco-romaine IX*, Collection de l'École française de Rome 352, Vol. 1, Rome.
- Musil, A.
- 1926 *The Northern Hegaz*, American geographical Society, Oriental Explorations and Studies No. 1, New York.
- Parker, S.T.
- 1986 *Romans and Saracens: a history of the Arabian Frontier*, ASOR Dissertation Series 6, Eisenbrauns, Winnona IN.
- Parker, S.T.
- 1987 ed. *The Roman Frontier in Central Jordan: Interim report on the Limes Arabicus Project*, 1980-1985, BAR International Series 340, Vols 1-2, Oxford.
- Parker, S.T.
- 2006 ed. *The Roman Frontier in Central Jordan: Final Report of the Limes Arabicus Project*, 1980-1989, Vol. 2, Washington DC.
- Peters, F.E.
- 1994 *The Hajj. The Muslim Pilgrimage to Mecca and the Holy Places*, Princeton University Press, Princeton.
- Petersen, A.
- 2012 *The Medieval and Ottoman Hajj Route in Jordan. An Archaeological and Historical Study*, Levant Supplementary Studies 12, Oxbow Books, Oxford and Oakville.
- Porter, V.
- 2012 ed. *Hajj journey to the heart of Islam*, The Trustees of the British Museum, The

- British Museum Press, London.
- Porter, V. and Saif, L. (eds.)
2013 *The Hajj: Collected Essays*, The Trustees
of the British Museum, London.
- Rashid, S.A. al-
1980 *Darb Zubayda: The Pilgrim road from
Kufa to Mecca*, Riyad.
- Raymond, A.
1993 *Le Caire, Fayard, Paris*.
- Saghi, O. and Abdul Kareem, F.A. Al- (eds).
2014 (eds.) *Hajj. Le Pèlerinage à La Mecque*.
Institut du Monde arabe, Paris.
- Schick, R.
1995 *The Christian Communities of Palestine From
Byzantine to Islamic Rule. A Historical and
Archaeological Study*, Studies in Late Antiquity
and Early Islam 2, The Darwin Press, Inc.,
Princeton, New Jersey.
- Soucek, P.
1988 ed. *Content and Context of visual Arts in
the Islamic World*, The Pennsylvania State
University Press, University Park and
London.
- Tristram, H.B.
1873 *The land of Moab. Travels and Discoveries
on the East Side of the Dead Sea and the
Jordan*, John Murray, London.
- Varthema, L. di. *The Travels of Ludovico di
Varthema in Egypt, Syria, Arabia Deserta
and Arabia Felix, in Persia, India and
Ethiopia*, A.D. 1503 to 1508, in Jones and
Badger (1863 eds).
- Al-Wohaibi, A.
1973 *The Northern Hijaz in the writings of the
Arab geographers 800-1150*, Al-Risalah
Publishers, Beirut.
- Wright, T.
1848 *Early Travels in Palestine*, H.G. Bohn,
London.
- AL-y'qobi
1883 *Ta'rikh ibn Wadih*, Houtsma, M. 1883
(ed.), Leiden